مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

ديوان

خليل مردم بك

(١٨٩٥-١٩٥٩)

قدم له

الدكتور جميل صليبا

عضو المجمع العلمي العربي

أشرف على طبعه وعلق عليه

ولده

عدنان مردم بك

مقدمة الديوان

الشعر والشاعر

بقلم

الدكتور جميل صليبا

إذا ذكر خليل مردم بك ذكر معه الصدق ، والوفاء ، ولطف الأخلاق ، والإباء ، والمروءة . فقد كان رحمه الله زكي النفس ، حسن العشرة ، صادقاً في قوله وعمله ، متودداً محبباً إلى كل من يكلمه ، وكان صاحب أخبار ونوادر ، وله معرفة بأحوال الناس . وهو كاسمه خليل وفي ، لم يقدّم نفسه على غيره في النفع ، ولا تعاطى أمراً إلاّ وجاء فيه مبرزاً . وكلٌّ من أنس بصحبته اعترف بفضله ، ودماثة طبعه ، ومرونة تفكيره ، ولين عريكته ، وهو إلى ذلك قوي الإرادة ، ذكي الفؤاد ، مرهف الحس ، جيد الحكم ، واسع الخيال ، حسن الثقافة ، فصيح اللسان ، حلو الحديث ، يحب الضبط في الأفكار والدقة في المعاملات ، ويكره الشذوذ والإغراب ، فلا يحدثك إلاّ عما ترغب فيه نفسك ، ويستمتع به خاطرك ، يحدثك عنه في اتزان وهدوء وتأنٍ وصبر ودعة . وإذا حدثك عن الناس لم يذكر لك من أخبارهم إلاّ ما فيه مثل وعبرة ، لأنه على ولعه بالأخبار لا يميل إلى النقد والذم ، ولا يلذ له الحديث إلا إذا كان منزهاً عن الإيذاء والنميمة. وقلما سمعته يحدثك عن نفسه وأخباره ، أو عن شعره ونثره ، أو عن مشكلاته وأحزانه ، لأنه على رغبته في التنفيس عما في قلبه لا يحب أن يحزن قلبك ، ولا أن يؤذي سمعك ، ولا أن يتعاظم أو يتكبر عليك . لذلك أحبه الناس وقدروا فضله لعلمهم أنه مجبول على الخير لا يؤذي نملة ولا يجرح إحساساً ، ولذلك أيضاً خلا شعره من الهجاء إلا في مواطن القدح على المستعمرين والانحاء باللائمة على المتصاغرين أمامهم .

وكما خلا شعره من الهجاء فكذلك خلا من ذكر المجون والعبث واللهو ووصف اللذات الحسية . فهو لا يتفنن في وصف الرقص إلا ليقول إن الرقص لهو ولعب ، يهون به كل

صعب ، ويتيسّر فيه كل عسير ، ولا يصف مجالس الشراب إلاّ ليطلب من الله أن يغفر له زلاّت الصبى ، ويتقبل منه التوبة . وأنّى لشاعر لطيف النفس مثله أن يتغنى بالشهوات الجامحة وأن يلوث صوره الفنية الرفيعة بأدران الوحل والدم . إن إحساسه المرهف لا يريه في الطبيعة إلا الألوان الجميلة والألحان العذبة والحركات اللطيفة فيحدثك عن الرياض الزاهرة والخمائل الوارفة والخميم المتموج ، والطيور الصدّاحة ، والغدران المائرة ، ويعرض عن الصخور الصمّاء ، والبراكين الثائرة ، والجبال الشاهقة ، والزلازل الهوجاء والصحارى الساكنة . وأحب الفصول إلى قلبه فصل الربيع لأنه ألطف فصول السنة لانسجام ألوانه ، ورقة صوره ، وعبق أزاهيره ، واعتدال حرارته . أما برد الشتاء وحرّ الصيف واحتضار الطبيعة في الخريف فليس لها في شعره أثر لأنها صور قاسية لا تستطيع نفسه اللطيفة أن تتمثلها ، فهو إذن يحب الطبيعة الجميلة لا الطبيعة المخيفة ، وإذا كان يصف البحر على شدته وقسوته وخوفه منه فمرد ذلك إلى ليونة البحر وكثرة ألوانه وحركاته على خلاف الصحارى الساكنة والرمال الطامئة فإنها على قربها من دمشق لم تأخذ بشغاف قلبه ولم تسترع انتباهه .

ومن عجيب أمره أن الريف البريطاني الجميل لم يستهو فؤاده ولا حرك شاعريته رغم اقامته فيه عدة سنين ، فليس في ديوانه قصيدة واحدة تصور لندن وضواحيها الجميلة أو تصور قصورها وحدائقها ومعالم حضارتها ، ولعل ذلك أن يكون ناشئاً عن جو لندن القاتم وطغيان ضبابها وكثرة ضجيجها ، ومن عجيب أمره أيضاً انه لم يصور رحلة من رحلاته الجوية ولا وصف أزيز محرك الطائرة في سكون الليل ولا الأحاسيس التي يشعر بها المسافر وهو ينظر إلى الأرض من خلال الغيوم ، وماذلك إلا لأنه كان يخاف ركوب الطائرة ويفضل الأمن على الخوف ، والدعة والطمأنينة على المخاطرة بالنفس .

نشأ في بيت كريم وفرّ له من الوجاهة ونعمى العيش ما مكنه من الاستغناء عن التكسب بعلمه وأدبه ، وأعانه على تثقيف نفسه ثقافة كاملة جمع فيها بين محاسن الأدب العربي والأدب الغربي فهو وجه دمشق الحق ، وشاعر الغوطة الملهم ، وعالم الشام الفاضل ، تتمثل فيه طبائع أهل الشام على أحسن وجه واتم صورة .

قرأ التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه على كبار علماء دمشق ، ويلوح على شعره اثر

اللغة والتاريخ الى المام بالعلوم العقلية . وكان هواه السياسي مع القوميين حتى عرف بمناوءته للمستعمرين ، وظل يقول الشعر كل أيام حياته إلا في زمن تقلده الوزارة ، ولم يكن يعنى بالسياسة عنايته بالعلم والأدب ؛ قال :

أنا لست أعنى بالسياسة إنما   هي نفثة من ذي جوًى منهوك

وأبواب شعره على كثرته قليلة طغى عليها باب الوصف في الطبيعة والفن ، فليس له في الحكمة والرثاء والاجتماع إلا قصائد معدودة ، وليس له في المدح والفخر إلا أبيات قليلة أتت ضمن قصائده المختلفة ، على أن له قصائد كثيرة في الحماسة الوطنية والنسيب واخرى في الحنين إلى دمشق والتفجع على فراقها ذكر فيها مسارح صباه ومعاهد أنسه .

لم أجد بين شعرائنا المعاصرين شاعراً وصف غوطة دمشق كما وصفها خليل مردم بك ، فهو يصور رياض الغوطة وأزاهيرها وجداولها وخمائلها وأطيارها تصويراً دقيقاً مفعماً بحنان القلب وأحاسيس النفس ؛ وهو يحن إليها حنين العاشق إلى معشوقه ، يلقاها بوجه باسم ونفس متعطشة إلى شذى رياحينها فيشجيه عبق الزهر ، وساجع الطير ، وانسياب الغدير ، وتعانق الغصون ، فيقف أمام الطبيعة وقفة المسحور ، يعاطيها أحاسيسه وتعاطيه صورها ، ولا يصورها إلا بعد أن يغمس ريشته في مداد قلبه ، ولا ينثر في سمائها أحلام نفسه وهوى فؤاده إلا ليتحد بها اتحاد الصوفي بمعبوده ، فكأن نفسه مرآة تعكس أسرار الطبيعة ، وكأن الطبيعة صورة من صور نفسه . والدليل على ذلك انه يشبّه صور الطبيعة بآثار النفس الإنسانية: فللزهر مقلة وسنى ، وخدّ ناضر ، وثغر باسم ، وجفن حائر ، وجبين يعرق ويرشح كما يرشح جبين البكر حياء ، وللغصون أذرع ممدودة للتعانق ، وللرياح تأوّه ، وللأطيار حركات تحكي حركات القيان الراقصة ، وتغريد يشبه ألحان المغنين ، كأن الطبيعة التي يصفها كائن حي له قلب يدق ، وعرق ينبض ، وأنفاس تتدفق .

كان يحب التجول بين خمائل الغوطة بخطى حائرة فلا يقف إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض يمتع ناظره بما يراه من صور الجمال الساحر ، فلما وصف نهر بردى طاف بواديه من منبعه إلى مصبه عدة مرات فكان يسمع غمغمة النهر ، وهزجه ، وترنيمه ، ويرى انسرابه ، وزبده اللجب ، واستدارة مجاريه ، ورشاشه المبثوث هنا وهناك كالفراش أو كثؤول النحل

أو كالوابل السحّاح في مهب الريح ، أو كعقد الدر في نحر الغانية ، فأحسّ وهو يصف هذا النهر بنفحات الروح تهب عليه ، وبالنهر يمد أنامله إليه ، وبالشمس ترسل اشعتها على الرياض لتلونها بأصابعها الجميلة ، فانتزع من ذلك كله صوراً حسية مزجها بأحلام قلبه ورؤى نفسه .

ان لجميع الحواس أثراً في هذا الوصف ، ولكن أعظمها تأثيراً فيه حاستا السمع والبصر لأنها أدق الحواس ولأنها تكشفان عما في الأشكال والحركات والألوان من توازن واتساق وانسجام .

١ – فما يدل على أثر حاسة البصر في شعر خليل مردم بك انه إذا وصف الزهر جاءك بصور بصرية متميزة فشبّه الزنبقة بخود شمرت عن ساقها لتستقي الماء ، أو بعذراء وضاءة الجبين تسربلت بغلالة من استبرق ، فكأن الزهرة في نظره فراشة بيضاء ، وكأن أطباقها أنامل أو جفون طويلة الأهداب ، وهو في ذلك يقول :

كم زهرة رفت فخلت فراشة　　بيضاء رق جناحهـــا بترفق
أطباقها مثل الأنامل شبكت　　في كل كم تلتقى في مأزق
أو كالجفون طويلة أهدابهـا　　من ناعس ومغمّض ومحـــدّق

وإذا وصف الشمس عند شروقها شبه احمرارها بشعلة نار علاها سحاب من الدخان ، فإذا بدت في السماء عارية أعشى سناها كل ناظر ، ومسح نورها دموع الليل عن وجنة الأزهار ، ولجّ في تقبيلها حتى تحمر خدودها كما تحمر خدود العاشقين ، فكأنها مرآة لاح على صفحتها نور وجه الله ، وكأن اشعتها المخترقة جسم الغيم ظُبى دامية . إذا سفرت بسم كل شيء ، وإذا احتجبت عبس الجو اكتئاباً ، وبكاها من وجد بدموع المزن ، وإذا ما غربت في الأفق عند المساء رأيت نهراً من النور تموج فيه الألوان ، وتتراءى من خلاله صور الأشياء كما تتراءى ظلال الراح ، كأن الأفق ستار سينما ، أو اشباح أفلام ، أو كأنه بحر مائر ، أو بركان ثائر حتى إذا جاء الليـل رأيته يزحف حبْواً كأنه مدّ بحر ساكن ، وكأن نجومه زهرات ذات أكمام .

٢ - ومما يدل على أثر حاسة السمع في شعره أنه إذا وصف الطير أسمعك سجعه وتغريده فتسمع الحمائم تهدر وتنوح كالثواكل ، وتحس بتفجعها وهتافها وبكائها كأن سجعها نوح

الحزين وكأن غزلهـــا وتهدارها وقرقرتها صوت زامر ينفخ في الرقص . فمن قوله في وصف الورقاء :

ورقاء ذات تفجع　　هتفت ففاضت أدمعي
هاجت بتقطيع النياحة　　لوعتي وتقطعي
فكأنهــا تبكي على　　ألف هناك مضيع
في سجعها نوح الحزين　　وأنة المتوجــع
يشجي على علاتِهِ　　في وصله والمقطع

ومن قوله في وصف الغوطة :

تتجاوب الأطيار في أفنانها　　من هاتف أو ساجع أو صافر
غنت بلحن يستثير لواعجاً　　ويهيج من طرب دفين ضمائر

ومن قوله في وصف بردى .

ما مرَّ في بقعة إلا وخاطبها　　طوراً بغمغمة طوراً بإفصاح
في كل مرحلة لحن فمن هزج　　إلى هدير إلى ترنيم نواح

ومثل ذلك كثير في شعره ، إلا أن أثر حاسة البصر فيه أقوى من أثر حاسة السمع ، ومع أنه كان يحب الطير ويطالع الكتب التي تصف حياتها ومواطنهـا وأخلاقها فإنَّ وصفه لتغريدها أقل من وصفه لألوانها وحركاتها .

أعجب بانسجام الحركات إعجابه بانسجام الألوان والأصوات فوصف حركات الراقصين ورفرفة الطير وكرَّه وفرَّه ، وذبذبة ذيله ، وتدويم الفراش صعوداً وهبوطاً وانطلاقه وتزاحمه في الفضاء ، كأن الطير وهو يضرب بأجنحته النسائم راقص يرسم بحركاته الألحان فيوحد صور السمع والبصر ويمزجها بعضها ببعض ، فمن قوله في وصف حركات الفراشتين :

أفانين من الحركات زاغت　　لها عيني وعي بهــا بياني
فمن ضم الى نشر لوثب　　لرفرفة إلى حرب عوان
تحيرتا هنا وهناك طيشاً　　كما في الريح حارت ريشتان
إذا ماهبَّتا لبلوغ قصــد　　بــدا لهما فوجهتا لثان

وإن احداهما انطلقت فجدت   بمتن الريح مطلقة العنان
ترى الأخرى تزاحمها اعتراضاً   أفي رحب الفضا تتزاحمان

٣ — ومما يسترعي الانتباه أن لحاسة الشم في مواطن شعره أثراً لا يقل عن أثر حاسة السمع كقوله :

عبقت في الكأس من انفاسها   نفحة تهدي إلى الندمان روحا

وقوله :

يا عجباً لطيب ريح الترب   إذا تندى بدموع السحب
ونفحة في دمر والربوة   فواحة لها دبيب النشوة
دقت عن الأوصاف والأسماء   لكنها رائحة الفيحاء
طاب بها التراب والهواء   وعبقت بطيبها الأرجاء

فهو يحب روائح دمشق ويشعر عند شمها بالنشوة تدب في قلبه ، وكم مرة ودَّ لو مرغ وجهه في تراب دمشق ليشم رائحته الزكية . لقد أعطته الغوطة كل شيء ، أعطته الصور الحسية التي أثرت في خياله ، وأعطته الأحاسيس والمشاعر التي صاغ فيها هذه الصور ، وليس المهم أن ينتزع الشاعر صوره من الطبيعة ، وانما المهم أن يعبر عنها تعبيراً دقيقاً يجمع بين متانة الأسلوب وسهولة اللفظ وعذوبة المعنى . وشعر خليل مردم بك في الوصف يشبه بعضه بعضاً في قوّة التعبير وجزالة المعنى ودقة التشبيه . قيل له مرة انك تكثر من وصف الصور الحسية ولا تصف شيئاً من الصور النفسية التي تختلج في صدرك ، فقال : إني لا أصف الصور الحسية إلا لأنها رموز تعبر عن رؤى قلبي وأحلام نفسي ، فهو اذن لا يتفنن فى وصف الصور الحسية إلا ليطل من خلالها على صور نفسه ، والدليل على ذلك أنه كان يضمن وصفه الحسي كثيراً من الشوق والحنين كقوله بعد أن وصف البحر :

قلت للسرب وقد أقبل من   افقٍ قلبي به عانٍ رهين
أيها القاطع عرض البحر هل   لك عهد بروابي قاسيون

وكقوله في وصف الغوطة :

مرآة أحلامي ومرتع صبوتي   وهوى فؤادي بل ومتعة خاطري
في كل مغنى من فؤادي شعبة   وبكل واد هائم من خاطري

ولعل أحسن دليل على ما ترمز إليه صوره الحسية من معان عقلية قصيدتان الأولى قصيدة: (قالت لي السمراء) والثانية قصيدة (يا ليتني) ففي القصيدة الأولى يصف الشاعر شروق الشمس فوق البحر من وراء السحاب في يوم مطير هبت فيه الرياح الهوج وطغت أمواجه وقصف رعده وومض برقه فيصور ألوان الأفق بعد الصحو وأشباح السحب وأشلاءها المتناثرة في السماء ويردد ما قالت له السمراء ما بين السطور فيقول :

قد يكون اللحن والايماء أبدى للضمير

وفي القصيدة الثانية يتكلم على نفسه فيقول :

يا ليتني لما شربت الكأس صرفاً لم أثنّ
أوليتني لما انتشيت من المدامة لم أغن
أو أنني لما أرتويت تركت شيئاً للتمني
بل ليتني لما شممت الورد لم أقطف وأجن
أو ليتني لم أنتقل في الروض من غصن لغصن

إلى أن يقول :

لكنني مازلت من سحر الجمال أصوغ لحني
لي في مواكبه فؤاد ضعت منه وضاع مني
كم بت رهن هواه في كف الجمال وبات رهني
ورويت عنه من الروائع ماوراه الناس عني
ملك ومن عجب له في كل نفس سحر جني
ويشوقني أن أجتليه على التمنع والتجني

وهنا نلمس الميزة الأولى لشعر خليل مردم بك وهي اتخاذه الصور الحسية وسيلة رمزية للتعبير عن رؤاه وأحلامه. أثرت الطبيعة في خياله فأفاض عليها صوراً نفسية صبها في الألفاظ الجميلة وصاغها كما يصوغ الخزاف الطين ، فجاءت مفعمة بسحر الجمال . إنه يعبر عن الإحساس الجميل باللفظ الجميل ولا يتصدى لتصوير القبيح أو التافه أو الخسيس ،

تصباني الجمال وفي الفؤاد هواه منغرس

إنه يحب الجمال لأنه مرآة ينعكس عليها وجه الله لا بل هو ظل الله وقبس من نوره . إنه يلمحه من وراء الصور الحسية فيبصر ألوانه بعينيه ويسمع ألحانه بأذنيه ولكنه لا يستطيع أن يحده بما يرى ويسمع ، لأن هذه الأعراض الحسية زائلة وجوهر الجمال خالد . وغاية مايطمح إليه أن يصور هذه الأعراض لعله إذا أحسن تصويرها يستطيع أن يكشف عن جوهر الجمال الحقيقي ، والجمال لايتجلى في أنفاس الزهر وألوان الربيع وتغريد الطيرفحسب بل يتجلى أيضاً في وجه المرأة وقدها ورشاقتها وسحر عينيها ، فصورة المرأة في نظره أجمل صورة في الطبيعة ، سحر الجمال الحق من سحر عينيها ، ووحيه من وحي جفنيها ، لا بل إن رحيقها ألذ من الخمر ، وأنفاسها أطيب من أنفاس الربيع ، فلا غرو إذا ملأ حبها قلبه فتغنى بجمالها ووصف حبه وشوقه إليها ، وعذره في هواه أنها جميلة وأنه لاذنب له في غرامه بها.

إن كان ذنبي أنني بك مغرم   فعلام حسنك فتنة للرائي

إننا لا نعرف من هي (لمياء) التي يتغزل بها في شعره ، ولكننا نلمح من وراء وصفه وغزله مشخصات ترينا أن (لمياء) فتاة مسيحية جار عليها أهلها ومنعوها من لقائه فنزحت عن دمشق ، وأنه على شدة غرامه بها كان يعف عنها ، فلا يجتمع بها خلسة إلا ليبثها شوقه وهيامه ، ولا يضع يده بيدها إلا ليشكو إليها صبابته ولوعته ، فمن هذه المشخصات قوله :

فأي كتاب بعد هذا وسنة   تباعدني أن لا أدين بدينها

لئن فرقت كتب الديانات بيننا   لتجمعنا صحف الهوى بغضونها

وان حرّج الإنجيل وهو محرف   ففي صحة القرآن حل وضينها

وقوله :

فكأننا إذ ذاك زوج من قطا   يتطاعمـان بروضة غناء

قد كان في طوقي بلوغ مآربي   لولا زواجر عفة وحياء

وأكثر شعره في النسيب يرجع إلى زمان الصبى ، وهو الزمن الذي تفتحت فيه قريحته عن سحر الجمال ، فلما خبت نار حبه اتجه إلى الطبيعة وطرق أبواباً مختلفة من الشعر ، إلا أنه عاد إلى وصف المرأة في قصيدة عنوانها (واها لأيام الشباب) وهي آخر مانظمه .

وهو يرى أن الشاعر يتلقى الوحي من سمـاء الخيال فيعي سر الوجود والعدم ويمثل

الصور العلوية بالألفاظ ، فإذا شاهد احمرار الشفق قال هذا نجيع الشهداء ، وإذا سمع هزيم الرعد قال هذا صراخ البائسين . فمن لم يكن صوغ القوافي سجية له فلا يتعب نفسه بخوض بحور الشعر ، لأن ميزان الشعر هو الطبع ، وسحره هو الإلهام .

فلم يبق بعد الوحي من نبأ السما | إلى الأرض غير الشعر معجزة كبرى

ومتى أدرك الشاعر هذه المنزلة من السحر غمرت نفسه الطبيعة والمجتمع ، فتغنى بالشعور القومي والشعور الإنساني معاً وعمل على اصلاح حياة الإنسان . لذلك اهتم خليل مرم بك بالنواحي القومية والإنسانية اهتمامه بوصف الطبيعة ، قال في قصيدة الشعر :

إذا لم ينبه شاعر القوم قومه | فذاك بأن يشقى به قومه أحرى
أرى الشعر أنفاساً يصرفها الفتى | فيُطفي بها جمراً ويُذكي بها جمرا
وينفخها روحاً بميّت أمة | فتنسلّ من أجداث غفلتها تترى

فلا يكون الشاعر شاعراً إذن إلا إذا نبه قومه وأيقظهم من سباتهم ، فذكرهم بأمجادهم القديمة وأذكى حماستهم وأطلعهم على نقائصهم . وأي فضل لشاعر عربي معاصر لا يرثي شهداء العروبة ولا يتغنى بالاستقلال ولا يدعو إلى الثورة على الاستعمار ، ولا يقدس الوحدة العربية الكبرى . لقد جمع خليل مردم بك في شعره الحماسيّ بين هذه الأغراض كلها فبكى على الشهداء :

يا دين قلبي من يوم ورى كبدي | وطال همي لذكراه وتسهادي
في ميسلون من الأشجان سلسلة | نيطت بأطرافها أرجاء أرواد
هل من سبيل الى الإنصاف في زمن | جلت رزاياه عن حصر وتعداد
في مسمع الدهر وقر من شكايتنا | فهل يصيخ إلى سمعي وإنشادي

ودعا إلى الثورة والنضال :

بني العروبة كم من صيحة ذهبت | لو يستثار بها الموتى إذن ثاروا
يا ليت شعري ماذا يستفزكم | كم أرسلت شرراً بالقدح أحجار

ووصف الثورة السورية فقال :

مصيبة ميسلون وإن أمضت | أخف وقيعة مما تلاها

فما من بقعـة بدمشق إلا تمثل ميسلون وما دهاها
فسل عما تصبب من دماء تخبرك الحقيقة غوطتاهـا
ولم أر جنة أمسى بنوها وقود النار فائرة سواهـا
سأقصر فالقوافي اليوم جمرٌ أخاف على المسامع من لظاهـا

ودعا إلى الوحدة العربية :

فكيف ترجى جمع قيس ويعرب وشملك يا هذا شتيت مفرق
وكيف ترجى وحدة عربية ومن دون راشيًا حدود وبيرق

فهو ينتقد الذين شغلتهم السياسة المحلية عن المطالبة بالوحدة العربية الكبرى ، ويرى أن انقسام الشام إلى دول صغيرة مخالف لطبائع الأشياء ، وأنه ينبغي للقائلين بالوحدة العربية أن يعملوا أولاً على توحيد أقاليمهم الصغيرة فان الوحدة لا تتجزأ ، وإذا تجزأت قصرت عن بلوغ غايتها ، وانه لمما يحزن القلب أن ترى كل حاضرة من الحواضر العربية داراً لمملكة مستقلة ، فما علينا لو اتحدنا جميعاً في دولة عربية واحدة تضم أجزاء الوطن العربي كله . وهو في ذلك يقول :

ماذا عسى أنكرت من جلق حلب بل ما عسى أهل لبنان يريبهم
بلادنا ويد التقسيم تعلقها كأنها رقعة ينتابها جلم
أكل حاضرة دار لمملكة أبعاد ما بينهن الفتر والبصم

ويرد على الذين يزعمون أن اختلاف الأديان يمنع من تحقيق الوحدة العربية فيقول :

قالوا وفي الدين بون دون وحدتنا إلى متى باسم هذا الدين نقتسم
لئن أصروا على أهواء أنفسهم لا الدين يبقى ولا الدنيا ولا الشيم

فشعره الوطني يريك أنه كان يعبر عن منازع أمته أحسن تعبير ، تؤثر فيه الأحداث التاريخية فتارة يصف الفتح العربي وتارة يخاطب اللجنة الوطنية العليا وتارة يدعو إلى النضال والوحدة ، وأكثر شعره الوطني يرجع إلى أيام النضال ضد المستعمرين .

ويعجبني من شعره الاجتماعي قوله في الطفل :

ولد المرء إذا أنصفته وتدبرت مربي الوالدين
ولدي شطر فؤادي إنما بك أنشا الله خلقي مرتين

وقوله في ولد الولد :

أحب أولادك من　　أنت له أب وجد
أسبابه أكثر في القربى　　م وأعلى وأشد
ليس أحب من ولد　　للأب إلا ابن الولد

فالطفل في نظره أمل باسم ، لا بل هو صورة من صور الله خطت يد الله على وجهه آيتين من الطهر والبهاء ، وهو زينة العيش ، والساعد المسعد والعون المرتجى ، ومن حق آبائك في إحسانهم إليك أن تربي طفلك تربية صالحة .

على أن عناية خليل مردم بك بأسرته لم تكن أشد من عنايته باصلاح الفساد الاجتماعي . مارس التعليم عدة سنين فنشأ تلاميذه على تذوق الجمال والحق والخير ، ودعا إلى تهذيب الفتاة ، وذم من يتمسك بالقشور من رجال الدين ، وانتقد العادات الفاسدة ونادى بضرورة الأخذ بما جاء في الحضارة الغربيّة من قيم صالحة .

ووشعره الاجتماعي متصل بشعره الإنساني ، أثرت فيه حوادث الحرب العالمية الأولى فوصف الجوع والفقر والمرض ، وشكا الدهر ، وصوّر المحزون والبائس واليتيم والأعمى ، وتكلم على الحرية والحق والإنصاف والسلام . ومن أحسن ما قاله في الحرية مخاطباً (شهيد إيرلندا)

كأنك من ذوي قرباي لما　　رثيتك باكياً نظماً ونثرا
ولم تك ذا ولاء في معدّ　　ولم تبلغ بك الأجداد فهرا
ولكني بكل فتى كريم　　أخي ثقة عزيز النفس مغرى
فنبئني أعيش المرء خير　　بذل أم رداه فانت أدرى
إذا كانت حياة المرء أسراً　　فإن الموت بالأحرار أحرى

ومن قوله في وصف المحزون :

ورأى الظالم لا يرقب في المظلوم ذمه
فبكى حزناً لمن عُرّيَ عن عدل ورحمه
وعلى من بشديد الجور والظلم مُني

• • •

قال ياذا المال مافي المال لي من مطمع

أي شيء هو أغلى مِن لآلى الأدمع
هل رأت عينـــاك دراً غيرها في الأعين

فالدموع عنده أغلى من المال لأنها تكشف عن ظلال المحن وثروتها لا تنفد والظالم الذي لا يرعى ذماماً أشقى من المظلوم .

ومن شعره الإنساني قول في قصيدة عنوانها إغاثة البائس :

صنع الجميل وفعل الخير إن أثرا　　　أبقى وأحمـد أعمال الفتى أثرا
لو أعوز المـال أصحابي سقيتهم　　　دمي ولست على العـلات معتذرا
ماراض جامح نفسي للقريض سوى　　　معنى الحنان ومعنى البؤس اذ خطرا

ومثل ذلك كثير في شعره ، إنه يعارض الحكم بالاعدام لانه قتل

وقاتل النفس لو صحت عدالته　　　كمن يداوي بفقء المقلة الرمدا

وليس يملك فك الروح عن الجسد إلا الذي خلقها . وإذا كان الانسان يظلم أخاه الانسان فمردّ ذلك إلى الشر المندرج في طبيعة الوجود ، ومن خبر دهره ازداد شؤماً على شؤم ، إلا أن الشاعر لا يستسلم لليأس ، بل ينقذ نفسه من التشاؤم بالالتجاء إلى رحمة الله ، لأن الله خير ، واليأس من رحمته كفر . إننا لا نعرف الله إلا بآثاره فهو المصور المنشىء ، وهو المبدع والمبقي ، ولكننا لا نعرف حقيقته ، ولا حقيقة الروح والحياة ، ولا معنى الوجود والعدم ، ولا معنى الجبر والاختيار ، وغاية مايطمح إليه الشاعر أن يعبر عما يعلمه بالذوق لا بالنظر العقلي:

الذوق والوجدان والمعقول　　　والحب آيات سمت وفصول
امّا الجمال فانه تمثيـــل　　　يدنو به التفسير والتفصيل
عرض صفا فأضاء منه الجوهر

هل فاز بالايمان من لم يجحد　　　فالعين لا تغفو إذا لم تسهد
لم يدر معنى الخفض من لم يجهد　　　والماء لا يلتذه غير الصدي
والفجر من خلل الدياجي يسفر

وهكذا يصوّر لنا الشاعر تجربته الفلسفية وشكه في حقيقة الروح وفوزه بالإيمان بعد الشك واعتماده على الذوق والوجدان في إدراك حقيقـة الجوهر . وإذا اعتمد الشاعر على

الذوق أدرك أن العالم كله ديوان شعر ، وأن صوره الحسية رموز وأعراض يتلألأ فيها الجمال ، وأن الكائنات جميعها تصلي لله وتسبح ، وأن الشعر إلهام وغناء وسحر .

لقد ظل خليل مردم بك يتغنى بسحر الجمال كل أيام حياته ، فلم ينقطع عن الغناء إلا في فترات معدودة ، وهي فترة إقامته في لندن وفترة حزنه الشديد على وفاة ولده ، وفترة تقلده الوزارة ، ولكنه كان خلال هذه الفترات يملأ قلبه من الإحساسات والتجارب حتى إذا تخمرت نظمها في سلك من اللآلئ الجميلة .

وبواكير قصائده تريك أنه كان ينحو منحى المتنبي ويترسم خطاه ، وهو شديد الإعجاب بالبحتري يشبهه في بعض قصائده من حيث دقة الوصف ، وكأن حبه للجزالة والسمو أغراه بتخير القوافي الجميلة والتراكيب الفخمة . وتَنَفَسُه في قصائده كامل الاعتدال لاهو بالقصير ولا هو بالطويل ، على أنّ تأثره بالأدب الغربيّ جعله يحافظ على وحدة القصيدة وترتيب معانيها ، وقلما قال الشعر ارتجالاً أو عفواً ، بل الشعر الذي تقرأه في ديوانه يدل على جهد طويل ، وتخمر بطيء وتأمل مبدع ، لا يخرج قصيدته إلا بعد أن يصقلها ويرتب مقاطعها ويتخير لها أحسن الألفاظ فتجيء غاية في المتانة والرقة .

والجميل في شعره أنه يدل على أخلاقه وشخصيته ، وينم على طبعه ولطف نفسه فهو لا يتكلف النظم ولا يقول الشعر إلا للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره ، وإذا كلف النظم في بعض المناسبات ولم يكن عنده ما يقوله امتنع عن القول .

وكان على نبل أسرته ويساره وعلمه وأدبه وشاعريته زاهداً في الاعتداد بالنفس يغلب عليه الجد والتصاون ، فلم يكن مختالاً ولا فخوراً ، ولا سباباً ولا طعاناً . ولعل غلبة الجد عليه جعلته شديد الكتمان ، شديد الانطواء على نفسه كأن هناك صراعاً عنيفاً بين باطن حياته وظاهرها ، بين الانفعالات الشديدة التي تحتدم في نفسه ، والدعة والأناة واللطف والتواضع التي يظهرها لمحدثه ، فأدى هذا الصراع العنيف إلى ظهور علامات الشيخوخة عليه ، وهو لا يزال غض الشباب ، فمن قوله في الشيب الذي علا رأسه .

حناني الوجد حتى خلتني م حـــزت الثمانينـــا
وشاع الشيب في رأسي ولم أبلـــغ ثلاثينـــا

وقوله :

كأنما الشعرات البيض اذ سطعت	شهب لقد رجمت دوني الشياطينا
ان الشبيبة نار إن خبت تركت	من المشيب رماداً ثابتاً فينـــا

وانضاف إلى ذلك كله محن كثيرة أدت إلى اعتلال صحته وهو لايزال في ميعة الصبى ، فظل كل أيام حياته نحيلاً ضعيف القوى حتى أدركته الوفاة . وكان خلال مرضه الأخير كما كان دائماً صابراً مؤنساً ، متزناً هادئاً ، هاشاً باشاً كريماً ، لطيف النفس ، مؤمناً بالله ، متفائلاً بالخير .

الدكتور جميل صليبا

حياة الشاعر

بقلم

الدكتور سامي الدهان

خليل مردم بك

١٨٩٥ — ١٩٥٩

في الحادي والعشرين من شهر تموز ١٩٥٩ قضى[1] رئيس مجمعنا العلامة الشاعر الأستاذ خليل مردم بك اثر مرض لازمه شهوراً ، فسرى نعيه في الاقطار العربية ، وجزع الصحب ، وهلعت قلوب الأحبة ، ومشى الحزن في الصدور ، فقد طوى الموت بفقده مزايا نادرة وصفات باهرة في الخلق والادب والانتاج ، وانحسر علم في الشام ظل مرفوعاً خفاقاً منذ أهل القرن .

كان « الخليل » نموذجاً رائعاً من رجال البيان لصدر هذا العصر في أدبه وانتاجه ، يلاز بالفحول من الشعراء في مصر والعراق ولبنان ، ويلحق بكبار الأدباء من الصفوة المختارة ، رفع اسم بلاده عالياً ، وقضى حقها كاملاً ، وناضل في سبيلها كل حياته ، فأصبح منارة يستضيء بها الجيل الصاعد ، وغدا أمثولة تحتذى وسيرة تقرأ ، فقد كان من الأوائل الذين استساغوا الأدب الضخم والعبارة الفخمة والشعر المتين ، عكف على تراثنا الخالد ، وأفاد منه ، وحببه الى الناس فخدم الأدب العربي خدمة لاتنسى ، وكان صلة الوصل بين القديم والحديث ، جمع أطايب القول وأحاسن الصور ، وعرضها في أجمل ثوب وأحسن حلي ، وقاسى في سبيل ذلك ما لايقاسيه جيلنا من فقد المصادر ، وندرة الخزائن ، وقلة الثقافة ، وضآلة التعليم ، وجفاف الينابيع .

كان القرن التاسع عشر يتنفس آخر سنيه ، شقياً بما شهد من ظلم وعسف وضيق ، وكانت الأنوار تظهر حيناً وتختفي أحياناً ، وفي سنيه الأخيرة ، قبل أن يموت هذا القرن ،

---

(١) وذلك في صبيحة الثلاثاء الواقع في ١٥ محرم ١٣٧٩ ، ودفن في دمشق بباب الصغير ، وحمل نعشه الى المجمع العلمي تحية أخيرة ووداعاً كريماً وسار وراءه علية القوم ورجال الحكم في قلوب واجفة وعيون دامعة ، وابنه في المجمع الشاعر الأستاذ أنور العطار بقصيدة من جيد الشعر

ولد خليل مردم بك حوالي سنة ١٨٩٥ (١) بدمشق ، لأب هو أحمد مختار مردم بك ، وأم هي السيدة فاطمة الحمزاوي ابنة السيد محمود الحمزاوي مفتي دمشق وعلامتها ، وصاحب التصانيف المعروفة من شعر ونثر . ولم يكن له أخوة من الذكور ، وانما كانت له خمس شقيقات ، فدفع به أبوه الى التعلّم ، وسلكه في مدارس ذلك الزمان ، وهي ضعيفة الثقافة ، فنشأ الصبيّ كما نشأ أقرانه ، ودرج في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية . ولكنه ما كاد يتم الخامسة عشرة من عمره حتى فقد أباه ، ثم فقد أمه بعد أربع سنوات ، فغدا في صدر حياته يتيم الأب والأم ، يسير بين أشواك الدنيا حذراً قلقاً متردداً ، حيياً خجولاً ، وكأن المصيبة طبعته بطابع الصمت والحذر والسكون ولازمه ذلك طوال حياته

ومضى الشاب إلى إكمال تحصيله رغم يتمه ، يتابع الدروس على أساليب تلك الأيام ، فأقبل على الحديث والفقه والنحو والصرف ، فدرس الحديث على المحدث الشيخ بدر الدين الحسني ، والفقه على مفتي الشام الشيخ عطاء الله الكسم ، والصرف والنحو على الشيخ عبد القادر الاسكندراني ، وهم علماء دمشق والمقدمون في مجالي الثقافة والمعرفة ، فأفاد منهم ، وأخذ عنهم ، حتى علقت به أساليب القدماء وطرقهم ، فوقف على العربية وهو مازال يزحف نحو الثالثة العشرين من سنيه ، وراح يقرض الشعر ، ويتلهى بقوافيه ، يقلّد القدماء ويجري على سننهم حتى أصبحت له ملكة في الشعر ، فدار اسمه ولمع صيته في بلده .

وانقضت سنة ١٩١٨ بويلاتها وشرورها ، وجلا الأتراك عن دمشق ، فعيّن الشاب مميزاً لديوان الرسائل العامة ، ينقح ما بين يديه من أوراق ، ويصلح ما يعرض عليه من كتب في التعابير والجمل ، ويضع ما يرى من كلمات ويختار أشرف الألفاظ ، ويمارس الوظيفة مترقياً في مراتبها حتى أواخر سنة ١٩١٩ . وقد شهد خلال هذه الحقبة كثيراً من الرجالات الرسميين عن كثب ، واستمع الى أحاديثهم ، ورأى بعينيه تاريخاً جديداً للأمة العربية يسطر ويكتب ، فاهتز قلبه للأمجاد ، وتفتحت نفسه للمناصب ، وظل عمره كله يذكر تلك الحقبة السعيدة من سنيه ، ويتغنى بأنه رأى أمته تنشىء الحياة وتبني العز من جديد بعد ركود طويل . فآمن بعروبته ، وتعشق بطولاتها ، وسحر بتاريخها ، وأحب أن تعود كما كانت

---

(١) ذكر بروكلمن ٣ / ٣٥٦ في ترجمته للفقيد ، أنه ولد سنة ١٨٩٥ ، ولعله نقلها عن كامبفماير الذي استكتب أدباء دمشق وسيرهم ، بأقلامهم .

اتسابق النجوم وتصافح المفاخر ، فمال قلبه إلى الشعر الوطني ،وتغنى لسانه باستقلال العرب .

ولما دخل الفرنسيون دمشق ترك الوظيفة ، وانصرف إلى خدمة القوم ، وتغلغل في قلبه كرههم ، وعرف بذلك كل حياته ، وعشق الشعر المهجري ، وأطال صحبته لإنتاج الرابطة في نيويورك ، فكان من ذلك أن أسس مع صحبه « الرابطة الأدبية » ، دخلها معه أدباء ذلك العهد ، وفيهم : محمد الشريقي ، ايفانوس ،شفيق جبري ، حيدر مردم بك ، سليم الجندي، حليم دموس ، أحمد شاكر الكرمي ، قبلان الرياشي ، عبد الله النجار ، جورج ريس ، نسيب شهاب ، ماري عجمي ، عز الدين علم الدين ، نجيب الريس ، فخري البارودي وغيرهم.

وعقد أعضاء الرابطة أول اجتماع لها في شهر آذار سنة ١٩٢١ ، ووضعوا قانوناً لجمعيتهم، وانتخبوا خليل مردم بك رئيساً للجنة الإدارية وعمره ست وعشرون سنة .

وكانت الجمعية تعقد كل أسبوع اجتماعاً ، يلقي فيه أحد الأعضاء محاضرة في موضوع معيّن . ثم أنشأت الرابطة مجلة باسمها « مجلة الرابطة الأدبية » فكانت من خيرة الصحف لذلك الزمان في موضوعاتها وفي أسلوبها ، تختار أطايب القول في الشعر والنثر ، وتترجم عن فحول الغربيين ، وتعنى باللغة ومفرداتها . وقد صدر العدد الأول منها سنة ١٩٢١ ، وفي صدرها شعارها : « انشاء جامعة أدبية تلم شملهم وتوحد قوتهم » .

وفي هذه المجلة نشر الفقيد شعراً ودراسات،وكان الشعر في الغزل ، وهذه مطالع بعضه:

الهوى يا ميّ صعب	فارحمي من لك يصبو (١)
أما ينفك قلبك مستطاراً	إذ ما البرق أومض واستطارا
هل تذكرين بسفح دمر ساعةً	فيها افترشتِ يدي وفضل ردائي

وهذه القصائد مشبوبة العاطفة ، مضطرمة اللوعة ، تمثل الشاب في هذا السن ، وقد تفتح قلبه للهوى وخفقت ضلوعه للحنين ، وسات في دروب حفظه أشعار البحتري وابن المعتز وقصائد العذريّين ، فكان صورة عنهم في الرقة والأسلوب وفي كثير من معانيه ، فقد سلك الشباب في حب الشعر القديم والتراث الخالد منذ هذه السن مسلكاً عجيباً ، وعكف

(١) الديوان ص ٢٣١ .

على المخطوطات ، وأخرج مع زملائه من أعضاء الرابطة كتاب «معاني الشعر» للأشنانداني(١) وطبعه بدمشق سنة ١٩٢٢ . وطفق بعد ذلك يكتب مقالات ودراسات في مجلة المجمع العلمي عن المخطوطات ونقد الكتب المحققة ، فكان لأساتيذه القدماء فيما نظن أثر في توجيه هذه الوجهة ، بل كان للمحققين في زمانه يد في هذا الحب ، وفيهم الشيخ طاهر الجزائري والأستاذ محمد كرد علي .

وظلَّ الرجل يعمل للرابطة وحلقاتها ومجلتها حتى شعر المستعمرون أنه محور يقظة ، وموضع بعث فأغلقوا المجلة ، وحلّوا الجمعية ، وانتثر العقد ووقفت الرابطة بعد أن قامت بنشاط منتج ، وأصدرت من المجلة تسعة أعداد سدت بها فراغاً كبيراً .

* * *

ولا شك في أن هذا النشاط وهذا الانتاج دفعا بالمجمع العلمي العربي إلى تقدير شاعرنا وانتخابه عضواً في المجمع (٢) ، فتقدم إليه برسالة عن « شعراء الشام في القرن الثالث » نمت على حذق وفهم وحبّ عميق للشعر الأصيل ، وعكوف على هذه الطبقة المختارة من شعراء العرب ، ظل فقيدنا يغذيها بقراءاته وبحوثه ، وجهوده في جمع الدواوين طوال عمره حتى كاد يستكمل حلقة الشعر في الشام منذ القرن الثالث حتى السابع . وقد نشر دراسته هذه في مجلة المجمع (٣) أولاً ، ثم طبعها على حدة في كتاب صدر سنة ١٩٢٥ .

وهكذا احتل الرجل مقعداً من مقاعد الخالدين . وكانوا خلاصة الأعلام وسادة الثقافة والبيان ، ينظر إليهم العرب في أقطارهم على أنهم معقد الأمل وحصن العربية ومصنعها الضخم ، عنهم تصدر المقالات الرصينة ، وفي دارهم تعقد الندوات الأدبية الرفيعة ، وبيدهم تحرر أوثق مجلة علمية ولدت مع فجر الاستقلال العربي . وما زالت كذلك إلى اليوم تطيف على عالمنا كؤوس المعرفة صافية ، ودراسات الأدب نقية ، خالية من شوائب العصر ، بعيدة عن السياسة كل البعد ، حتى غدت منارة وحدها بين الصحف تولد وتموت ، وتظهر وتطوى ،

(١) طبع بنفقة الرابطة سنة ١٩٢٢ في ٢٠٨ صفحات .
(٢) انتخب في ٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ .
(٣) انظر مجلة المجمع سنة ١٩٢٥ (ص ٢٩٤ وما تليها) وكتاب شعراء الشام ، طبع دمشق سنة ١٩٢٥ ، في ٩٦ صفحة .

ولكنها كالمجمع نفسه جبلت على الخلود ، والخلود لا يمسّه عيب ولا يلحق به نقصان . وكان هذا المجمع مثالاً ناجحاً احتذاه علماء القاهرة وبغداد ، فأنشؤوا في كل من الحاضرتين مجمعاً ومجلة ليسيروا بهما على غرار دمشق

وفي هذه المجلة نشر الفقيد مقالات يجب أن تجمع ليوم ذكراه ، كما فعل في جمع مقالات صحبه ، فقد كان الرجل مثال التواضع والتفاني فصرف همته إلى دواوين غيره ومقالات زملائه ، ولا يصح أن ينصرف زملاؤه عن العمل لمقالاته ودراساته .

وفي هذه السنة نفسها (١٩٢٥) نشر الفقيد « كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا ، وكتاب وقف فاطمة خاتون بنت محمد ابن السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري » وكتب على الغلاف : « وقف على طبعها خليل بن أحمد مردم بك » (١) .

ولم تكن أعمال النشر والتحقيق والمقالة وحدها هي التي تستبد بوقته ، فقد كان يؤمن بأن للنضال عليه حقاً ، لذلك عاش حياته كلها يعمل للأدب ويتغنى بالثورة ، فهو في برزخين أبداً يتنقل من هذا إلى ذاك ، كما يتنقل الطير من فنن إلى فنن ، فكان ينظم الشعر في الجمال كما ينظمه في خير وطنه وفي إثارة الشعب ورد الطغيان ورفع الظلم ، فكانت منه قصائد عامرة نظمها في الوطنية والعروبة وطرد الفرنسيين ، ردّدتها دمشق وتغنت بها ، فلما نشبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ، وقام اللهب والحريق والقتل في جنبات الغوطة الغناء وفي رحاب دمشق الفيحاء أرسل قصيدته المشهورة « يوم الفزع الأكبر » ومطلعها (٢) :

أمدّه الدمع حتى غاض جائده   فمن بأدمع عينيه يرافدُهُ

فتناقلها الناس ، ونشرتها الصحف العربية ، وتلفت الفرنسيون إلى هذا النور ليطفئوه ، وأرسلوا في أثره يطاردونه ، ففر إلى لبنان ، واستخفى فيه بقرية « المروج » بمساعدة الشاعر أديب مظهر . وما علمت السلطة بوجوده هناك حتى راحت تلاحقه للقبض عليه ، فهرب إلى الاسكندرية سنة ١٩٢٦ ، ونزل عند شقيقته السيدة فائزة زوجة المرحوم الدكتور أحمد قدري (وهو من أعلام الثورة العربية ومن رجال فيصل الأول المقربين) .

---

(١) طبع بدمشق على نسخ قليلة ، سنة ١٩٢٥ في ٣٠٠ صفحة .

(٢) انظر ديوان الثورة ، جمع محمد ياسين عرفة ، مصر ١٩٢٦ ، ص ١٢٤ .

ولبث الفقيد في مصر أربعة أشهر كان لها أثر كبير في حياته ، فقد كان يقرأ عن بعد الأدباء المصريين ، ويستمع إلى أخبارهم ، ويتلقف آثارهم ، ويشتاق إلى معادن العربية من مكامنها ، فلما بلغ إليهم اتصل بالأعلام ، وعرفهم كما عرف من قبل رجال السياسة العربية في بلده . وقد عرفنا من أحاديثه الشخصية ما كان يلقى من إكرام ومايصيب من ود ، ورجوناه أن يسجلها لجيلنا ، فكان منه مقالتان في ذكرياته مع حافظ ابراهيم بالاسكندرية وحلوان ، نشرهما في مجلة المجمع العلمي العربي (١) ، وتحدث فيها عن شاعر الشعب في أدق عيشه وحركاته .

وتأثر الخليل من غير شك بجو الاسكندرية وثقافتها ، فعزم على الدراسة في الغرب ، وقرر أن يقصد الى انكلترة ، فسافر اليها وانتسب الى جامعة لندن ، والقي فيها آفاقاً رحبة واستمع الى كتاب الانكليز ، وظل طوال عمره يذكر أثر ذلك ، وما كان من استماعه إلى ويلز وغيره من الكتاب الغربيين . ولبث في تلك البلاد أربع سنوات درس فيها الآداب وحصل على شهادة تعادل الدكتوراه . وقد كان لوقوعه على الأدب الأنكليزي ورحلته في الغرب أثر هام في شعره . وظهر الأثر في قصائده : سكران وسكرى ، والغوطة ، وبردى والرقص ، فجمع جزالة العبارة الى براعة الصورة ، وأفاد من الشعر الفحل في مصر ، واللون الغربي ، ووفق في الموسيقى والخيال ، وارتفع بالشعر الشامي المعاصر إلى مراتب الجودة والتوفيق .

وعاد إلى دمشق سنة ١٩٢٩ مشوقاً ظمآن إلى مواطن صباه ، والجراح تحت ردائه لما أصابها من نكبات وهزات ، فاستقبلها بقصيدة لعلها من خير شعره ؛ حيا فيها عاصمة بني أمية، وجعل عنوانها « سلام على دمشق » قال في مطلعها :

تلاقوا بعد ما افترقوا طويلا   فما ملكوا المدامع أن تسيلا

فاهتزت مشاعر قومه ، وصفق له الأدباء ، ورأوا فيه شاعراً ألان القوافي ليراعته ، فأكبروه وأحلوه مكانة الود والإكرام . وعيّن مساعداً لرئيس الأدب العربي في الكلية العلمية الوطنية ، وظل فيها تسع سنوات من (١٩٢٩ — ١٩٣٨) وفي هذه الكلية

(١) انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥٦ (ص ٣٥٣ - ٣٧٠) ، (ص ٥٢٩ - ٥٤٣) .

تخرج على يديه دباء وعلماء سلكوا في دروب المعرفة ، ورفعوا لبلادهم في مختلف الميادين ذكراً لاينسى .

وفي سنة ١٩٣٣ حنَّ من جديد إلى الصحافة الأدبية ، فأصدر مع الدكاترة جميل صليبا ، وكاظم الداغستاني ، وكامل عياد مجلة « الثقافة » جاء في مقدمتها كلام يبين عن بعض أهدافها : « للأدب أبلغ أثر في تكوين هذه الثقافة ، فهو روح النهضات ، ومظهر حياة الأمة ، ولقد طغت عليه جلبة السياسة في هذه الأيام حتى كادت تخفت صوته في ضوضائها ، فأصبح من الواجب إقالته من عثرته والأخذ بيده ، وتقديس حرمه ، وانتهاج طريق واضح له في الدراسة والوضع » . وهذه السطور تغني عن شرح كثير في وصف الحال ورسم البواعث التي أهابت بالخليل ورصفائه إلى إنشاء هذه الصحيفة .

وكانت « مجلة الثقافة » الدمشقية صورة للصحف الراقية في بحوثها ومقالاتها وصورها الفنية ، تختار الشعر الجميل والقصص البديع والترجمات الحسنة . وكان للرجل فيها شعر ونثر ، كما كان في مجلة الرابطة من قبل . ولكنه هنا أبلغ وأحسن ، فقد سار بخطى نحو الجمال والإتقان ، وأصبح يفهم الشعر أحسن ما تفهمه الآداب الراقية ، وكتب مقالاً نشره في هذه المجلة نتخذه دليلاً على أسلوبه في الكتابة والنثر ، وشاهداً على مانقول من فهمه لرسالته في الأدب قال(١) :

« الشاعر : مخلوق خالق ، وروح خالد ، يصور من خفقات قلبه وخلجات ضميره وإبداع فكره أشباحاً ينفخ فيها من روحه فاذا هي من الخالدين . ملاك أو جني ، هبطت روحه من عالم الغيب ، فتمثلت بشراً سوياً ، فهو مع بني الإنسان ، ولكنه غريب عنهم ، فما يزال يصيخ الى هينمة الملائكة في السماء أو عزيف الجن في الصحراء ، ويستشف من وراء الأفق عالماً نورانياً ، ويتبيّن في الجو مسارح أنسه الأولى ، ومعاهد هواه القديم :

لابنة الجني في الانس طلل . . . .

فهو يقظان حالم ، أنكر الناس أمره وحاروا في شأنه ، وقالوا : شاعر أو مجنون .

---

(١) انظر مجلة الثقافة بدمشق ، تموز ١٩٣٢ (س ٣١٧ - ٣١٨) .

« يأنس بالوحدة لأنه من نفسه في عالم ، ويؤثر السكون ليسمع جلجلة الوحي وأصداء الأرواح، ويسكن إلى الظلام ليشاهد الرؤى والأشباح ، ويغمض عينيه ليرى مافي السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » .

وهذا أسلوب جميل ، يجري بغير تكلف ، ويقتبس من القرآن الكريم ، ويسمو في فهم الشاعر ، لأن كاتبه يصف نفسه في حال الوحدة والسكون حتى يصطاد خفقات قلبه وما يحك في صدره وما يشع في بصره وما يفيض من عينيه . والذين أطالوا الاستمتاع بحديث الخليل وسكروا معه بكؤوس الصداقة هم الذين يعرفون كيف كانت تحوم أشباح الشعر حول عينيه وشفتيه وهم الذين يعرفون نشوة الشاعر حين يحس أضلاعه تهمس همساً ألذمن نسمات الصباح على أوراق الشجر مع أوائل النور، يجوس خلالها الشعر وتطرق القوافي، فينشرح صدره وتضحك عيناه .

وهذا الشعر وهذه القوافي ظلت تنطلق في آفاق العرب فتسكر وتطرب ، وترفع من شأن الشاعر ، وتذيع صيته بين الفحول ، يتلمس المثقفون فيها ذوب عاطفته وغناء قلبه وأماني قومه ، حتى تجمع منها على مر السنين ديوان كبير من الشعر ، هو هذا الديوان ، يعرض له الصديق العالم الدكتور جميل صليبا بريشته البارعة وعمقه الواعي ، فيكفينا مؤونة الدرس لشعره في هذه المرحلة من حياته وغيرها من المراحل .

وخلال هذه السنوات السعيدة الخصبة التي كان ينظم فيها الشعر ويدرّس فيها الأدب العربي راح الرجل يؤلف الدراسات الأدبية ويترجم لفحول الأدباء القدماء ، فأصدر عدداً من الكتب جعلها بعنوان : « أئمة الأدب » ، ونشر منها خمسة : « الجاحظ ، وابن المقفع ، وابن العميد ، والصاحب ، والفرزدق » (١) وهي دراسات مبسطة تجمع حياة الشاعر إلى مختار شعره ، وتعرضه عرضاً واضحاً موفقاً تعين طلاب البكالوريا وتفتح باباً للكتب المدرسية في الأدب العربي ببلادنا .

---

(١) الجاحظ ٩٦ صفحة - ابن المقفع ٩٦ صفحة - ابن العميد ١٤٤ صفحة - الصاحب ٢٥٦ - الفرزدق ١١٢ صفحة ، وكلها من القطع المتوسط .

ووقعت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، وقد جاوز الخليل الأربعين من العمر ، وعرفه العالم العربي ، وأكبره قومه ، واحتل بين إخوانه في المجمع مكانة سامية ، فانتخبوه أميناً للسر سنة ١٩٤١ ، وراح يعمل سحابة أيامه مع الرئيس الأسبق المرحوم محمد كرد علي في انسجام وصفاء .

وكانت المجالس الصباحية في المجمع أشبه بمجالس القدماء تطوف فيها كؤوس النوادر الأدبية ، والصفحات العلمية ، فكان الصبوح في « دارة الخالدين » أشهى ما يشرب الناشئة وألذ ما يعالج الشيوخ ليومهم . وكأن الحرب مادارت منها رحى ، وكأن ظـلام الدنيا ما اختلف إلى هذه العقول النيرة ، وعاش الرضا بين جدران « المدرسة العادلية »[1] شهوراً جميلة أعاد إليها جهاد العلم ، وانتصار الثقافة ، وسمو الانتاج .

وفي سنة ١٩٤٢ ، شاءت الحكومة أن تختطف العلاّمة الأديب من جدران المجمع لتجعله وزيراً للمعارف في ظروف قلقة ، فترك ما بين يديه من دواوين إلى حين . ولكنه عاد بعد ذلك إلى أمانة السر لتقر به عيون الأعضاء ، ويفرح به الرئيس الجليل .

ومنذ سنة ١٩٤٦ ، أصبح العلامة الشاعر يحيا حياة جديدة أحبها منذ صباه ، وهي العكوف على المصادر القديمة ، واحياء الشعر الشامي يترنم به ويتغنى ، ويبحث وينقب ، حتى عرف كل حيّ من أحياء دمشق في قديمه وحديثه ، وأتقن كل لفظة دمشقية جاءت على لسان الشعراء قبله ، فغدا مرجعاً وثقة في هذا ، كما كان رئيسه ثقة في تاريخ الشام وحضارة الإسلام . والذين يتذوقون الأدب القديم ويعشقون الرحلة في مطاويه ، ويصبرون على التجوال في هوامش الكتب يجدون في تعليقات علامتنا سطوراً لا تضاهيها صفحات كثيرة ، ففيها من اللذة والجمال ما ليس في كتابات كثير من العصريين المجددين المتأدبين ، فهي حدائق من الأدب لا يسمو إليها خيالهم ، ولا تحملهم إليها قوائمهم .

وهذه التعليقات نجدها في الدواوين التي حققها الرجل واحداً إثر واحد على كمال متصاعد ، ما يزال يحسّن فيه حتى يبلغ الذروة . فقد حقق ديوان ابن عنين الدمشقي سنة ١٩٤٦ ،

(١) مقر المجمع العلمي العربي اليوم .

وديوان علي بن الجهم سنة ١٩٤٩ ، وديوان ابن حيوس سنة ١٩٥١ ، ثم ديوان ابن الخياط سنة ١٩٥٨ . وطبعها كلها المجمع العلمي بدمشق ، وصدّرها علامتنا بمقدمات ودراسات تقارب كلّ مقدمة منها خمسين صفحة ، ولو جمع بعضها إلى بعض ، ولو جردت من صدور الدواوين لكانت تاريخاً للأدب في الشام ، يكمل الدراسة التي أنشأها عن القرن الثالث للهجرة في صدر شبابه . فقد كان الشاعر منسجماً مع ماضيه يسير على خط مستقيم في عمله ، يعرف كيف يتم ، لا يصرفه نقد بعض المتطلعين لأعماله وأعمال المجمع ، ولا يغضبه قولهم فيه ، فهم يرون أن التحقيق والنشر من العبث والترف ، ويظنون أن الأدب كل الأدب قصة تنشر وقصيدة تخطر ، ومقالة تروج ، وخطبة تلقى فحسب .

وقد كان الرجل يلقى عند المستشرقين اكباراً واعجاباً وثناء لو جمع في ذكراه لأغنى القائلين في مدحه ، كما كان يلقى عند رصفائه من أعضاء المجامع العربية والدولية إكباراً وثناءً ، فتهافتت عليه المجامع العلمية والمدارس العالية تهدي إليه عضويتها ، وتلتمس إليه قبول الانتساب إليها . فانتخبه مجمع اللغة بمصر عضواً سنة ١٩٤٨ ، والمجمع العلمي العراقي عضواً كذلك سنة ١٩٤٩ ،ومدرسة الدراسات الشرقية بلندن عضواً سنة ١٩٥١ ، ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين عضواً في تحريرها سنة ١٩٥١ ، ومجمع البحر المتوسط في بالرمو عضواً سنة ١٩٥٢ ، والمجمع العلمي السوفياتي عضواً سنة ١٩٥٨ .

وفي سنة ١٩٥١ ، عادت إليه الحكومة السورية لتدعوه إلى تسنّم منصب وزير مفوض لها في بغداد ، فسافر إليها وكان فيها موضع الحب والتقدير ، وغدت دارتنا هناك ملتقى العرب الأعلام .

وفي سنة ١٩٥٣ اختير وزيراً للخارجية .

وفي السنة نفسها ، انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ، فبلغ أعلى ما يطمح إليه عالم وأديب ، وقضى أماني قلبه ووثبات روحه واشراقة نفسه ، وأصبح في الذروة تعقد عليه الآمال وترنو الأبصار .

فلما انصرف عن السياسة والمناصب ، عاد الى المجمع العلمي ليسير بمنشوراته العلمية سيرة مجامع الغرب ، فاطرد العمل ومضت المجلة في ثوبها الجديد ، تثب في قوة وجلاء حتى قطعت

إلى اليوم من عمرها قرابة أربعين سنة ، وقد كان فقيدنا يقطعها أجمل ساعاته ويخصها بأخصب عنايته ، يكاد يقرأ مقالاتها كلها قبل النشر ويراقب ترتيبها ،ويحث على المضي في طبعها وتصحيحها ، واخراجها في نظام موقوت ، فكأنها قطعة من حياته ، كما كانت قطعة من حياة سلفه قبله .

أما مطبوعات المجمع فكان يعمل لها في جدّ متواصل ينظر فيها ويدققها كأنها بقلمه ، وكم راجع أصحابها وزودهم بما يعرف من أمور ، واشترك معهم في التعليق والتصويب . وكان بهذا الحرص المتواضع والجهد الدائم يدفع الشباب الى العمل ، ويحبب برسالة المجمع ، ويستزيد من الأصدقاء ، ويجمع حوله القلوب .

ولم يكن يدفع إلى الإنتاج فحسب ، وإنما كان يضرب الأمثال بنفسه ، فيحبر المقالات في دراسة الأدب ونقده وتحقيق نصوصه كما كان يفعل منذ أول نشأته في « الرابطة الأدبية » فهو في الستين من عمره كما كان في الخامسة والعشرين ، يعشق الأدب ، ويميل إلى التحقيق ، فيقبل على شعره يسجل همسات خاطره ، ويقبل على شعر أهل الشام فيعنى به ، وكان آخر انتاجه « ديوان ابن الخياط » ـــ الذي ذكرناه ـــ أتمه قبل عام من وفاته على أحسن مايصنع المحققون في العالم العربي ، فحشد له ثماني نسخ خطية ، جمعها من أطراف الدنيا ، وسار في التعليق عليها وموازنتها سيراً لا انقطاع فيه ، فاذا خلا من زواره انقلب إلى عمله يرسم بخطه الجميل أبيات الشعر ، كما رسم غيره من الدواوين لايعتمد على ناسخ او ناقل ، فكأنه في الثلاثين من عمره جداً وجهاداً ، لا يفتر ولا يني ، حتى ملك الإتقان في هذا الديوان ، وكان لنا شرف الحديث عنه في مجلة المجمع (١) ، فألمنا إلى أياديه على الجيل في هذا الكتاب وفي غيره ، وبسطنا خطته في تاريخ الأدب العربي لإقليمنا ـــ كما قلنا ـــ ورجونا أن يتم السلسلة إلى القرن السابع الهجري حيث وقف الشعر العربي عن فيض إبداعه. ولو قد مدالله في عمر الفقيد لعمد إلى طبع ابن منير الطرابلسي وابن القيسراني ، وقد حدثني عنها ، وأطال في الشوق الى اخراجها ، فوفر لهما النسخ والمصادر ولكن المنية بالمرصاد للنفوس الكبيرة المجاهدة التي تستقل ساعات الحياة دون تحقيق مشاريعها الضخمة .

---

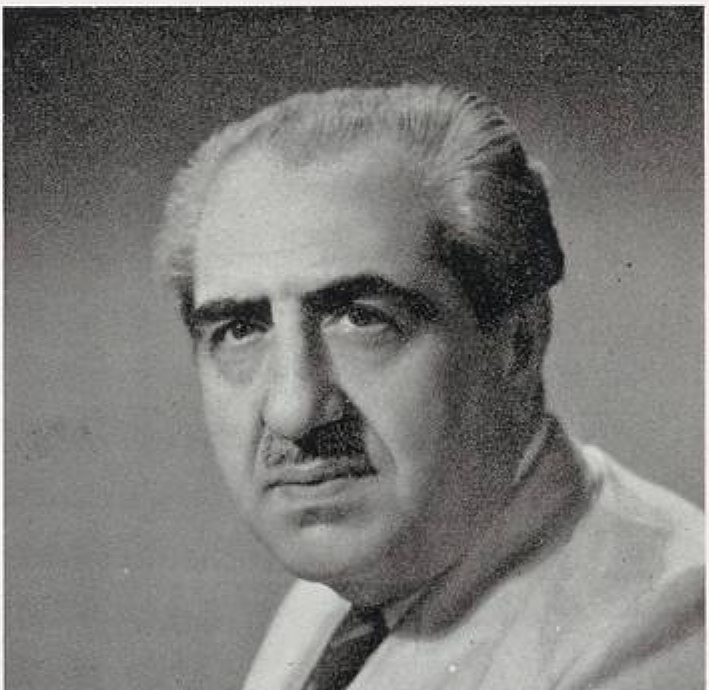
(١) انظر المجلد ٣٤ ، سنة ١٩٥٩ (ص ١٢٦ - ١٣٣) .

ولعلّ هذا الاجهاد من غير راحة بعد بلوغه الستين قد أضر بجسمه ، فأورده موارد المرض والعلة ، وأقعده عن السعي الى المجمع ، فافتقده اخوانه وصحبه وهم كثر ، ورأوا مكانه خالياً لا يسد ، فلا مرجع يرجعون اليه ، ولا مشير يعلقون على رأيه الأمل . فقد كان مستودع الأسرار ، شديد الحرص عليها وفياً لصحبه ، جميل التواضع ، كأن الشعر الرفيع سكب عليه برداً من أجمل أبراده ، فكساه بأجمل الحلي وزينه بأنقى الصفات . فقد كان رحمه الله صورة للرقة في حديثه ومجلسه ، ما تنقطع بشاشته عن خدينه ، حتى لكأنه ورد الربيع ينشر العطر ، ويجمّل الذكر ويكسو الحديث أطيب النكهة . فما عرفنا أن لسانه الحيي المتردد انطلق مرة إلاّ في خير الناس ونفع الأدب ، وخدمة المجمع ومجد العرب . وكانت عيناه الواسعتان تشعان أبداً بنور النبل والحياء الجم والتواضع الجميل تفرحان للجمال ، وتضحكان للنكتة البريئة ، وتسبران غور الحدث ، وكان في حركاته مثالاً للرجل الرصين الرزين الوقور ، على مر السنين : فتى يافعاً ، وأديباً ناشئاً ، ومدرساً نافعاً ، وعضواً عاملاً ، ووزيراً متواضعاً ، ورئيساً مخلصاً ، تقلّب في حياته على الغنى والجاه وتنقل في المراتب والمناصب ، فما أبطرته ولا أسكرته ، لأنه كان فوق ما أعطته ، ولأنها كانت دون ما يستحق .

ولهذا غدت سيرته في صحبه ورصفائه من أعضاء المجمع وأصدقائه الأدباء نفحة عطر وأوراق زهر وصفحات خلود وسطور أمجاد ، ما يستطيع قلم مهما أوتي من قوة أن يرسم مبلغ صفائها ونقائها ، وما يبلغ بيان إلى وفائها حقها . فهي جوانب كثيرة لا يلم بها مقال مهما طال ، لأنها أخذت من كل روض وجمعت من كل أفق فغدت باقة في الاعمار ، كلما كشفنا عن زهرة منها فاح عبق ، وكلما قلبنا ورقة منها ملأت وجه الأفق ، فهي سيرة تفيض على السنين التي عاشها ، ولا تعد الأعمار الكريمة بالأعوام ، ففي كل مرحلة من مراحل عيشه التي ألمعنا اليها أثر كبير وخير كريم .

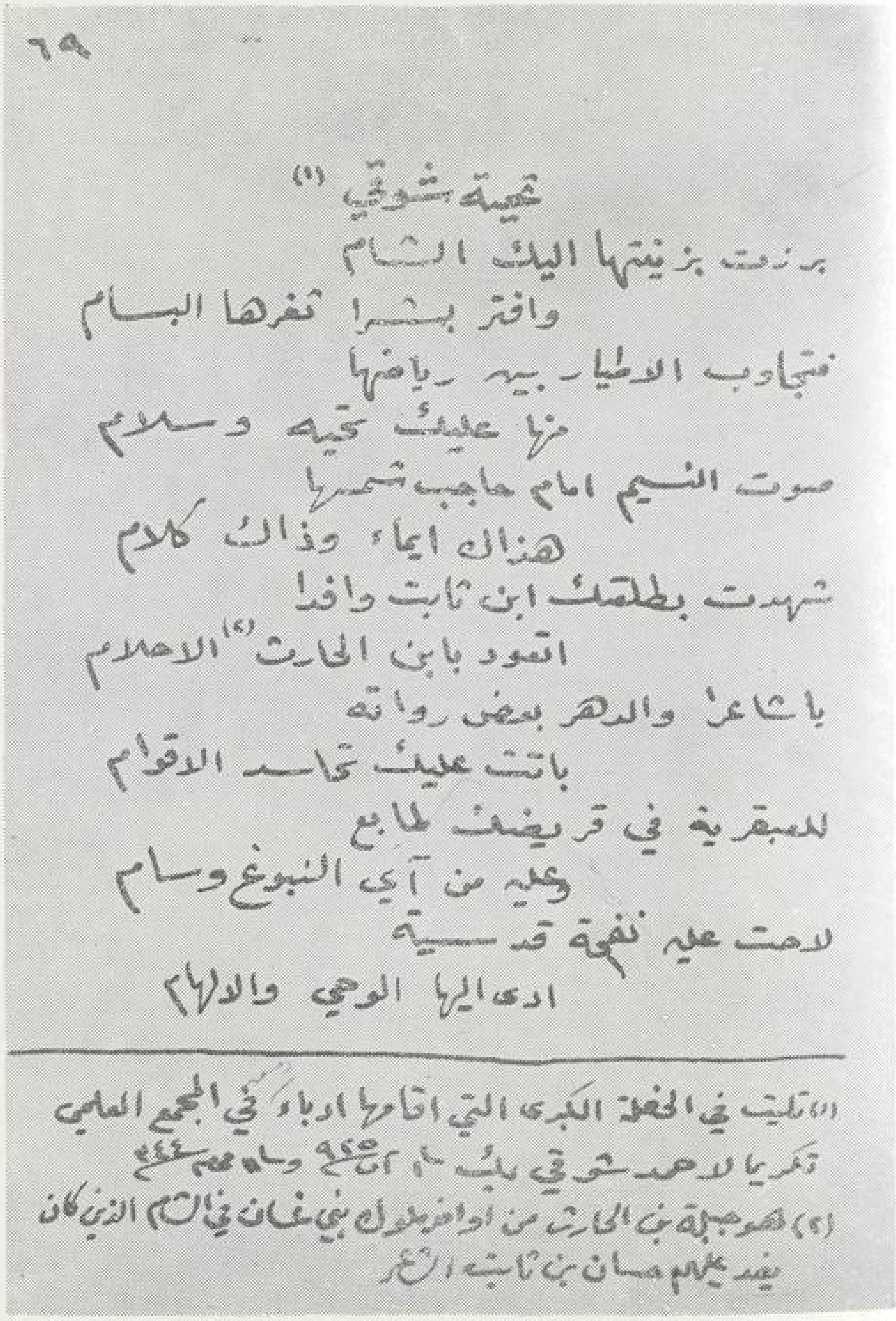
رحم الله الشاعر رحمة واسعة

الدكتور سامي الدهان



١٨٩٨ — ١٩٥٩

آخر صورة للشاعر خليل مردم بك سنة ١٩٥٧

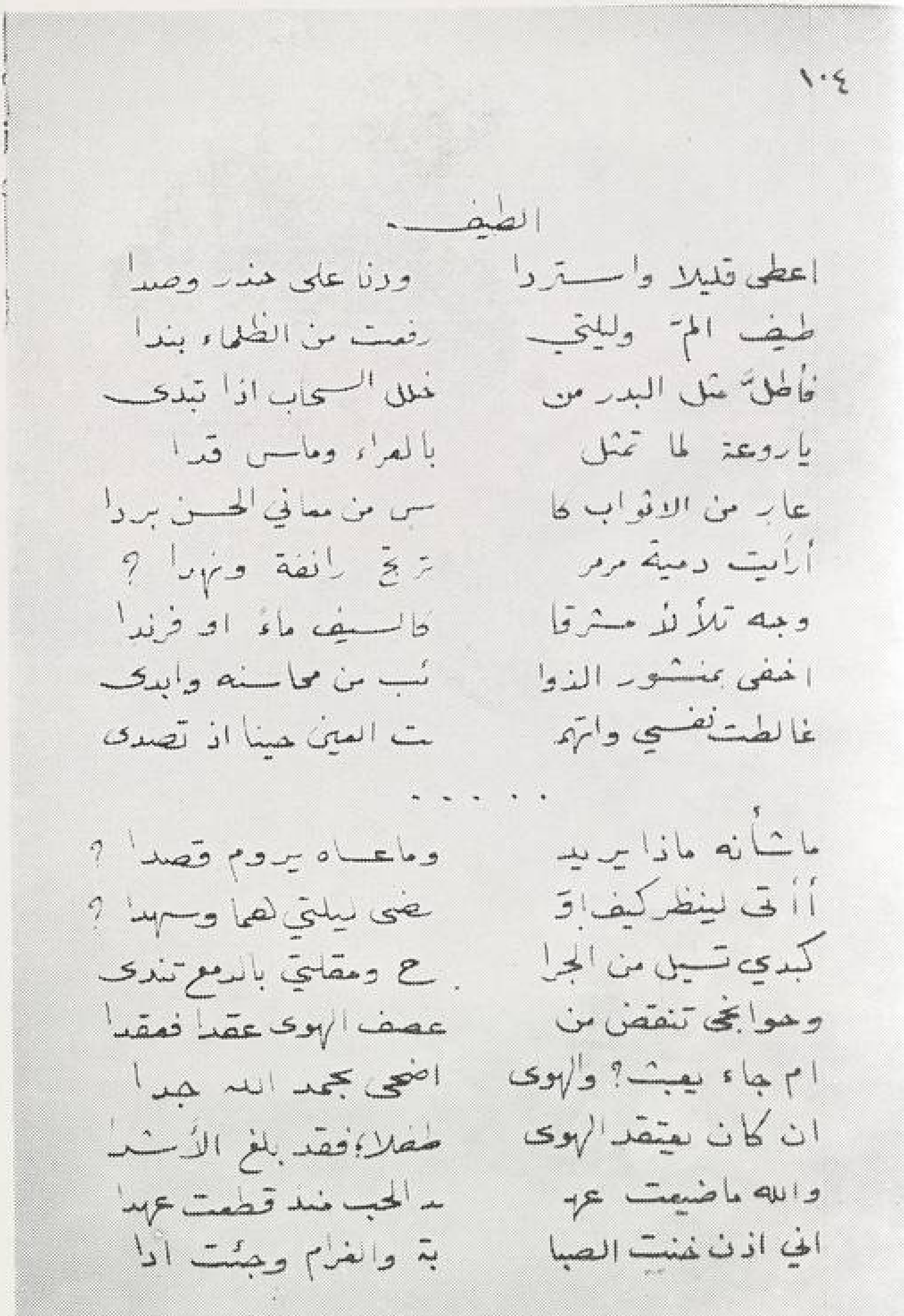

٦٩

تحية شوقي (١)

برزت بزينتها اليك الشام
وافتر بشرا ثغرها البسام
فتجاوب الاطيار بين رياضها
مرحى عليك تحية وسلام
صوت النسيم امام حاجب شمسها
هذاك ايماء وذاك كلام
شهدت بطلعتك ابن ثابت وافدا
اتعود بابن الحارث (٢) الاحلام
يا شاعرا والدهر بعض رواته
باتت عليك تحاسد الاقوام
للعبقرية في قريضك طابع
وعليه من آي النبوغ وسام
لاحت عليه نفحة قدسية
ادنى اليها الوحي والالهام

(١) تليت في الحفلة الكبرى التي اقامها ادباء في المجمع العلمي تكريما لاحمد شوقي بك ١٠ ت١ ٩٢٥ و ١١ محرم ٣٤٤
(٢) هو جبلة بن الحارث من اواخر ملوك بني غسان في الشام الذي كان يفد عليهم حسان بن ثابت الشاعر

(رقم ١) نموذج من خط الشاعر نقلاً عن ديوانه الشعري (المجموعة الثانية)
المحفوظة في المجمع العلمي العربي



١٠٤

الطيف

اعطى قليلا واستردا ودنا على حذر وصدا
طيف ألمّ ولليلتي رفعت من الظلماء بندا
فاطلّ مثل البدر من خلل السحاب اذا تبدى
يا روعة لما تمثل بالمراء وماس قدا
عار من الاثواب كا س من معاني الحسن بردا
أرأيت دمية مرمر ترتج رائقة ونهدا ؟
وجه تلألأ مشرقا كالسيف ماء او فرندا
اخفى بمنشور الذوا ئب من محاسنه وابدى
غالطت نفسي واتهم ت العين حينا اذ تصدى

. . . . .

ماشأنه ماذا يريد وما عساه يروم قصدا ؟
أأتى لينظر كيف اقـ ضى ليلتي لهما وسهدا ؟
كبدي تسيل من الجرا ح ومقلتي بالدمع تندى
وحوائجي تنقض من عصف الهوى عقدا فعقدا
ام جاء يعبث؟ والهوى اضحى بحمد الله جدا
ان كان يعتقد الهوى طفلا، فقد بلغ الأشدا
والله ماضيعت عهـ د الحب منذ قطعت عهدا
اني اذن خنت الصبا بة والغرام وجئت ادا

(رقم ٢) نموذج من خط الشاعر قصيدة الطيف نقلاً عن ديوانه الشعري
(المجموعة الثانية) المحفوظة في المجمع العلمي العربي

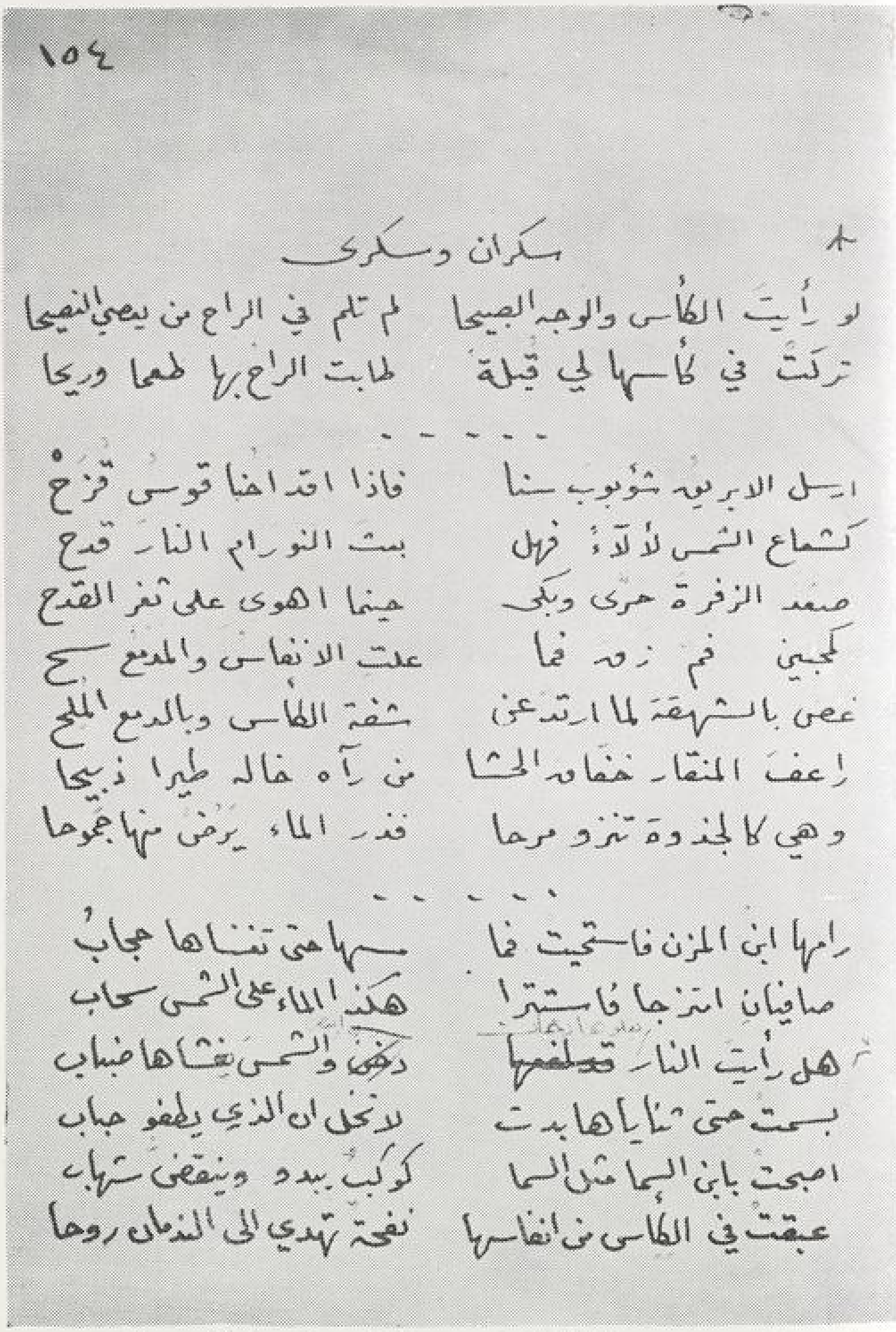
. . . . . .

حبيّ وطأطأ رأسه   وخطا اليّ ومدّ زندا
يرنو وارنو فالعيو   ن تجاوبت اخذا وردّا
انا مابعدت دنا اليّ   فان دنوت عدا وشدّا
يطو اليّ بجيده   ويدير لي خدا فخدا
فاذا همست به ترا   جع ضاحكا عنّي وندّا
كتمنع الحسناء اذ   عمدت الى الادلال عمدا
ولو اعتلقت الخذ منـ   ـه جنيت تفاحا وودا
مازال بي حتى لقد   اغرى الصبابة بل تحدى
داورته بالرفق لا   آنو لوانّ الرفق اجدى
ومددت اشراك التألف   والرياض اليه مدا
وختلته بحبائلي   وارغته عكسا وطردا
وسعيت لاستغوائه   فاذا به بالغي اهدى
ماكنت اعلم انه   اقوى يدا واعز جندا

. . . . . .

سحر العيون فأخطأت   قيدا لموقفه وحدا
كالشمس تحسبها دنت   للقرب وهي اشد بعدا
اني عييت بامره   ولقيت مؤتلفا وضدا
قربا وبعدا وهو لم   يبرح وجدانا وفقدا
فظان من دون البلو   غ اليه لهاوية وسدا

تابع نموذج رقم ٢


١٥٤

سكران وسكرى

لو رأيت الكأس والوجه الصبيحا لم تلم في الراح من يصبي النصيحا
تركت في كأسها لي قبلة طابت الراح بها طعما وريحا

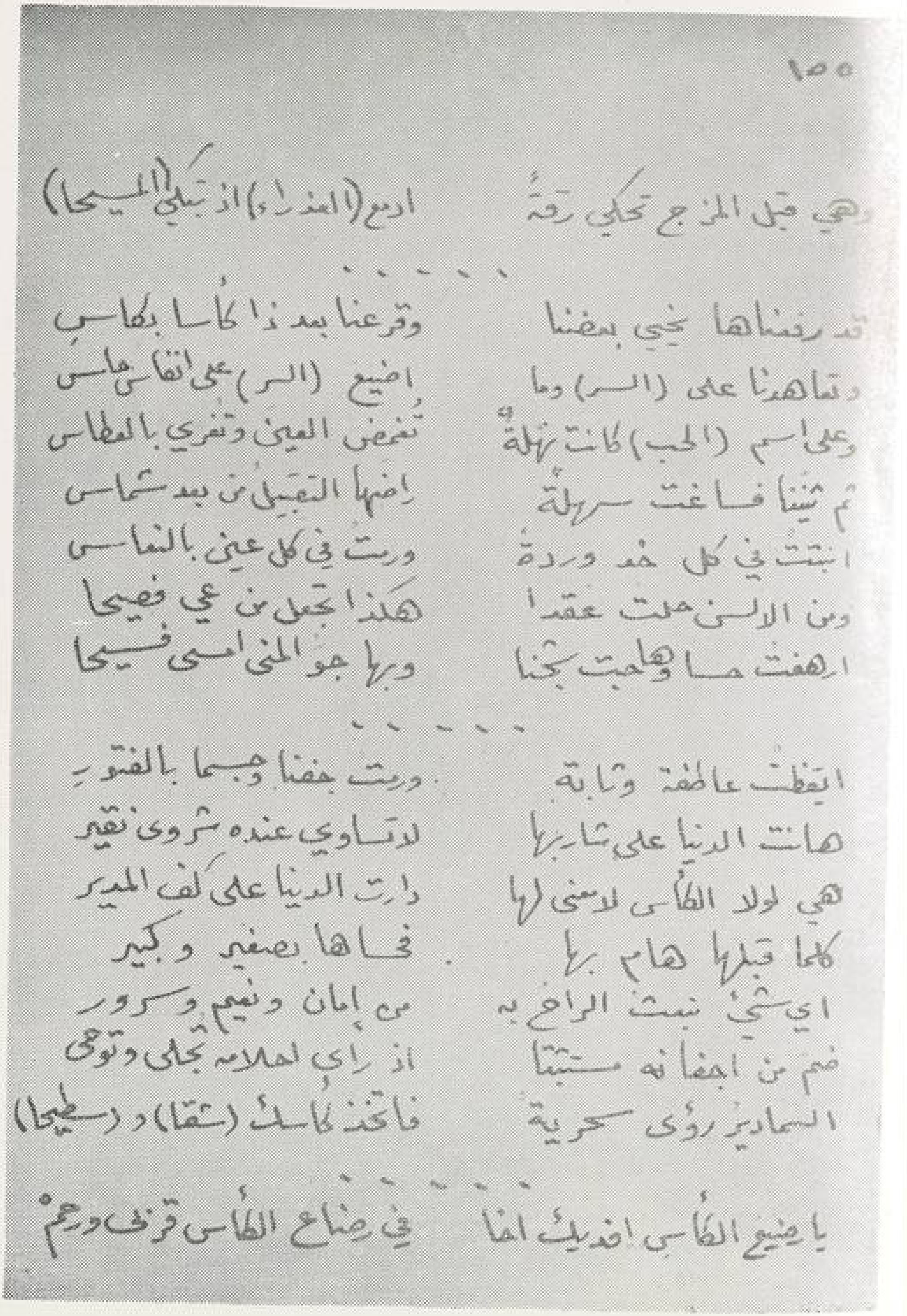
. . . .

أرسل الإبريق شؤبوب سنا فإذا أقداحنا قوس قزح
كشعاع الشمس لألاءة فهل بعث النور إلى النار قدح
صعد الزفرة حرى وبكى حينما الهوى على ثغر القدح
لحبيب ثم زاد فما علت الأنفاس والمدمع سح
غص بالشهقة لما ارتدعت شفة الكأس وبالدمع الملح
أعف المنقار خفاق الحشا من رآه خاله طيرا ذبيحا
وهي كالجذوة تنزو مرحا فدر الماء يرضى منها جموحا

. . . .

رامها ابن المزن فاستحيت فما مسها حتى تغشاها حجاب
صافيان امتزجا فاستترا هكذا الماء على الشمس سحاب
هل رأيت النار تعلوها دخن والشمس تغشاها ضباب
بسمت حتى ثناياها بدت لا تخل أن الذي يطفو حباب
أصبحت بابن السما مثل السما كوكب يبدو وينقض شهاب
عبقت في الكأس من أنفاسها نفحة تهدي إلى الندمان روحا

(رقم ٣) نموذج من خط الشاعر قصيدة سكران وسكرى نقلاً عن ديوانه
(المجموعة الثانية) المحفوظة في المجمع العلمي العربي



١٥٥

وهي قبل المزج تحكي رقة ... ادمع (العذراء) اذ تبكي (المسيحا)

. . . .

قد رفعناها نحيي بعضنا ... وقرعنا بعد ذا كاسا بكاس

وتعاهدنا على (السر) وما ... اضيع (السر) على انفاس ماس

وعلى اسم (الحب) كانت نهلة ... تغمض العين وتغري بالنعاس

ثم ثنينا فساغت سهلة ... اضحها التقبيل من بعد شماس

انبتت في كل خد وردة ... ورمت في كل عين بالنعاس

ومن الالسن حلت عقدا ... هكذا تجعل من عي فصيحا

ارهفت حسا وهاجت بجنا ... وبها جو المنى امسى فسيحا

. . . .

ايقظت عاطفة وثابة ... ورمت جفنا وجسما بالفتور

هانت الدنيا على شاربها ... لا تساوي عنده شروى نقير

هي لولا الكاس لا معنى لها ... دارت الدنيا على كف المدير

كلما قبلها هام بها ... فحباها بصغير وكبير

اي شيء نبث الراح به ... من امان ونعيم وسرور

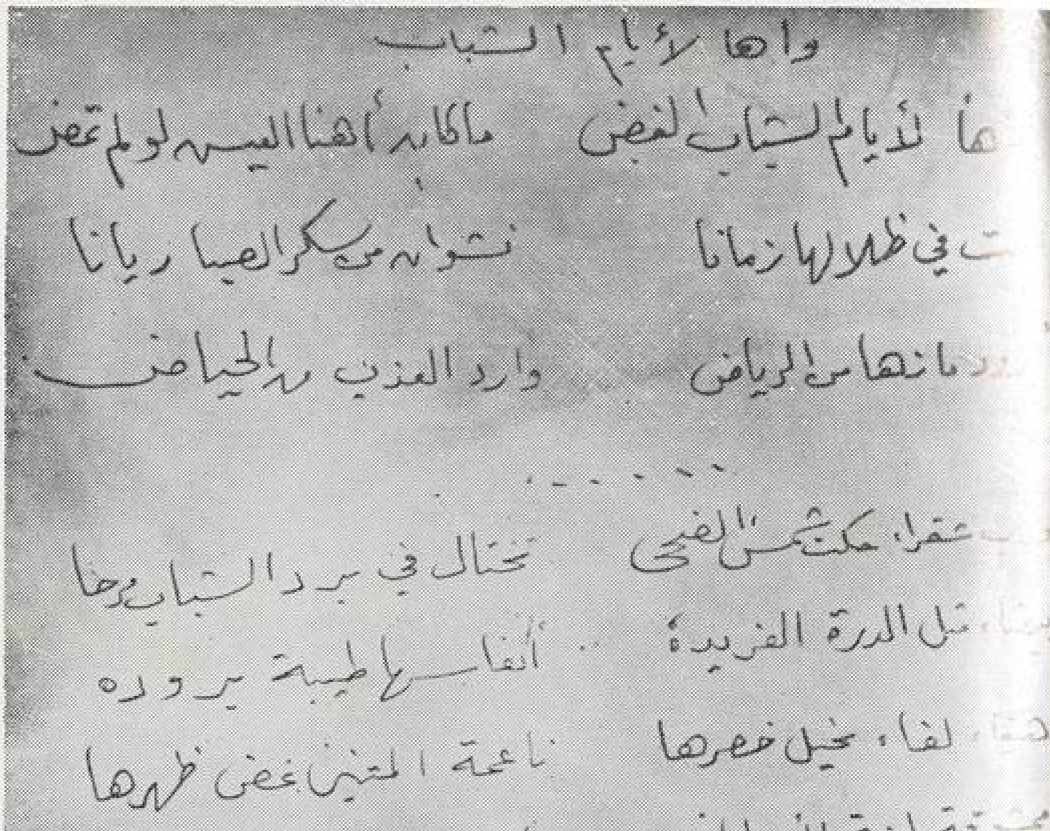
ضم من اجفانه مستبنا ... اذ رأى احلامه تجلى وتوحى

السماديز رؤى سحرية ... فاتخذ كاسك (شقا) و (سطيحا)

. . . .

يا ضجيع الكاس اهديك انما ... في ضياع الكاس قرنك ورحم

تابع نموذج رقم ٣



واها لأيام الشباب

ها لأيام الشباب المنقضي ... ما كان أهنا العيش لو لم تمض

ت في ظلالها زمانا ... نشوان من سكر الصبا ريانا

د ما نهلت من الرياض ... وارد العذب من الحياض

. . . .

عقراء حكت شمس الضحى ... تختال في برد الشباب مرحا

مثل الدرة الفريدة ... أنفاسها طيبة برودة

لفاء نحيل خصرها ... ناعمة المتن غض ظهرها

ممشوقة لينة الأعطاف ... ميادة مرتجة الأرداف

. . . .

جبينها وضاءة كالبدر ... اذا بدا لأربع وعشر

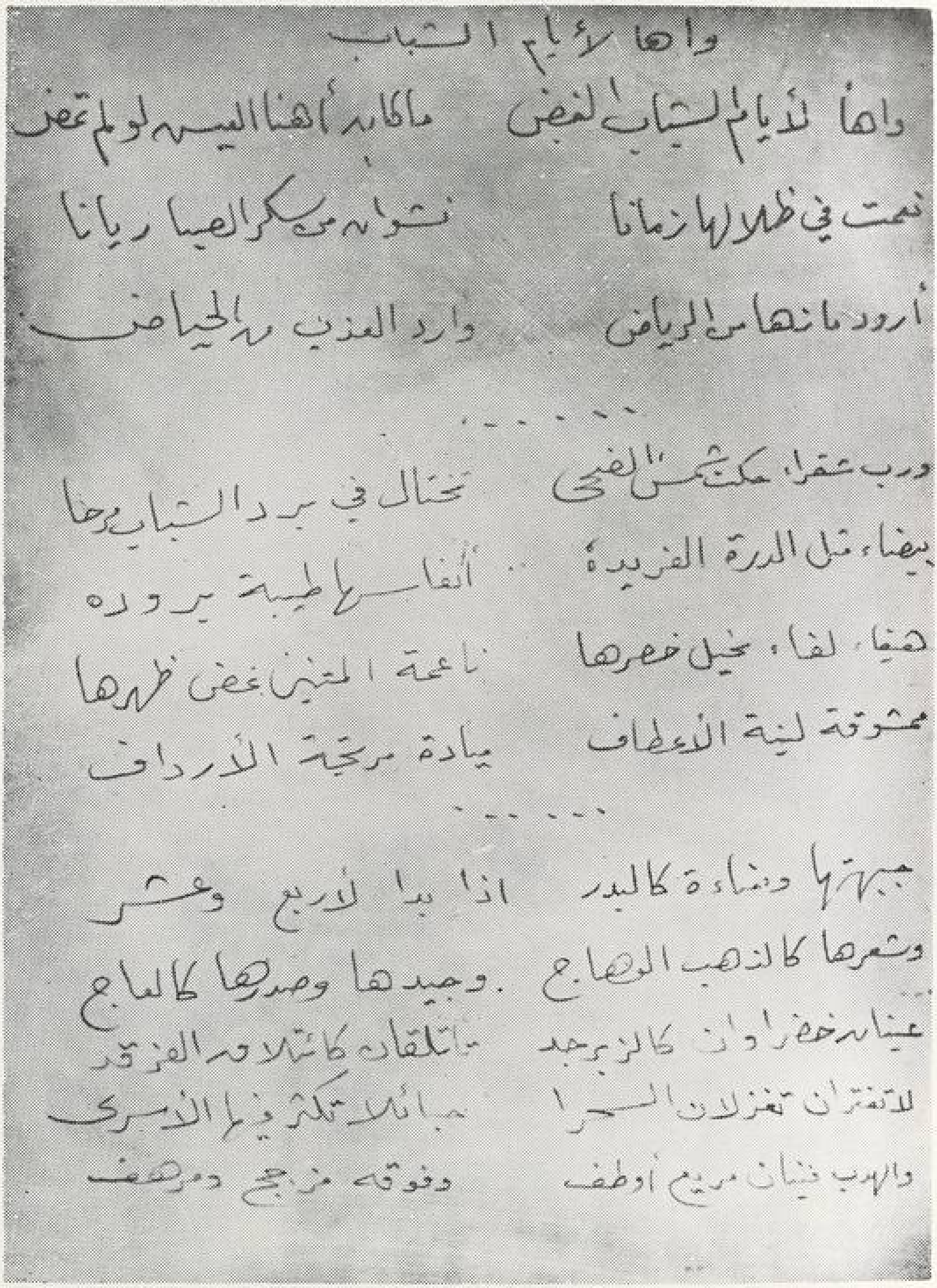
وشعرها كالذهب الوهاج ... وجيدها وصدرها كالعاج

عيناها خضراوان كالزبرجد ... تلقان كالشلال الفرقد

لا تفتران تغزلان السحرا ... الا تكثر في الأسرى

والهدب فيه مريم أوطف ... وفوقه مزجج

(رقم ٤) نموذج من خط الشاعر وهذه القصيدة هي آخر ما نظم الشاعر رحمه الله ولم تدرج القصيدة في ديوانه المخطوط ؛ وإن مسودة القصيدة محفوظة في المجمع العلمي العربي



واهاً لأيام الشباب

واهاً لأيام الشباب النضر ... ما كان أهنا العيش لو لم تمض

نعمت في ظلالها زمانا ... نشوان من سكر الصبا ريانا

أرود ما تماس من الرياض ... وارد العذب من الحياض

. . . . . .

ورب عذراء كمثل شمس الضحى ... تختال في برد الشباب مرحا

بيضاء مثل الدرة الفريدة ... ألفاظها طيبة برودة

هيفاء لفاء نحيل خصرها ... ناعمة المتن غض ظهرها

ممشوقة لينة الأعطاف ... ميادة مرتجة الأرداف

. . . . . .

جبينها وضاءة كالبدر ... اذا بدا لأربع وعشر

وشعرها كالذهب الوهاج ... وجيدها وصدرها كالعاج

عيناها خضراوان كالزبرجد ... تأتلقان كائتلاق الفرقد

لا تفتران تغزلان السحرا ... حبائلا تكثر في الأسرى

والهدب فينان مديد أوطف ... وفوقه مزجج مرهف

(رقم ٤) نموذج من خط الشاعر وهذه القصيدة هي آخر ما نظم الشاعر رحمه الله ولم تدرج القصيدة في ديوانه المخطوط؛ وإن مسودة القصيدة محفوظة في المجمع العلمي العربي

الديوان

الوصف
في
الطبيعة والفن

فاتحة الديوان

اللّٰهُ

سُبحانكَ اللهمَّ إنكَ أكبرُ   من أنْ يُحيطَ بِكنهكَ المتفكرُ
حارَ اللّبيبُ وزاغَ عنكَ المبصرُ   ورمىٰ فَأَخطأَ سهمَهُ المتدبرُ
أقصىٰ مدىٰ للعقلِ فيكَ تحيّرُ

لو صحّ في التمثيلِ أنْ يجدَ الورىٰ   ربًّا كما يتصورونكَ أقدرا
وأرادَ ذاكَ الربُّ أنْ يتصورا   مَنْ أنتَ عادَ عَنِ البلوغِ مقصّرًا
بالعجزِ عَنْ وعيِ الحقيقةِ يجهرُ

موسىٰ عَلَى الطّورِ الشريفِ يناجي   وَابْنُ البتولِ دونَ عرشكَ ساجِ
ومحمدٌ في ليلةِ المعراجِ   لم يقبسوا من نورِكَ الوهّاجِ
إلاّ كما قبس الضّياءَ الأجهرُ (١)

---

(١) جهرت العين لم تبصر في الشمس فصاحبها أجهر .

لو أنّي بهُدى ٱلنبوّةِ أنظرُ　　ودلالة ٱلرّوحِ ٱلأمينِ أُسيّرُ
وبحكمةِ ٱلمتفلسفينَ أُفكّرُ　　وبذوقِ أصحابِ ٱلطريقةِ أشعرُ
ما ٱرتبتُ في أنّ ٱلوصولَ معسّرُ

* * *

مِنْ شأنِكَ ٱلتصويرُ وٱلإنشاءُ　　لكَ من سمائِكَ صَفْحَةٌ زرقاءُ
وٱلفجرُ حاشيةٌ بها حمراءُ　　وٱلبدرُ فوقَ جبينها طغْراءُ(١)
وٱلنيّراتُ عَلَى ٱلصحيفةِ أسطرُ

خرّتْ لكَ ٱلشمسُ ٱلمنيرةُ تسجدُ　　ومِنَ ٱلخشوعِ جَبينُها مُتَوَرِّدُ
وٱلبحرُ مسجورٌ(٢) الجوانبِ مزبدَ　　وٱلموجُ مصطخبٌ بهِ يتنهدُ
أمسى يُقِيمُ لكَ ٱلصّلاةَ وَيذكُرُ

(زحلٌ)(٣) بغلِّ ٱلرقِّ عانٍ مقمحُ(٤)　　وَٱلرّعدُ يجأرُ بٱلدعا وَيسبّحُ
وٱلبرقُ طرفٌ للدجنةِ يلمحُ　　ومن ٱلغمامِ له دموعٌ تسفحُ
وٱلرّيحُ من وجدٍ تئِنُّ وتزفرُ

---

(١) العلامة التي ترسم على المناشير والمسكوكات في دولتي المماليك وبني عثمان .
(٢) سجر الاناء أي ملأه .
(٣) نجم معروف يضرب به المثل في العلو .
(٤) أقمح البعير رفع رأسه وغض بصره .

ديوانُ شعرِكَ مستفيضٌ بالغُرَرْ   جمّ القلائد من فرائِدِهِ ٱلبِشرْ
ٱلجسمُ لفظٌ من نشيدٍ مستمرْ   وَٱلرّوحُ إنَّ ٱلرّوحَ معنىً مبتكَرْ
ما زالَ يستهوي ٱلعقولَ ويبهرُ(١)

هَل روحنا ريحٌ تهبُّ وَتركدُ   أمْ جذوةٌ فينا تشبُّ وتخمدُ
أمْ زائرٌ بينَ ٱلحِمى يترددُ   يدنو لأخبيةِ(٢) ٱلجسومِ وَيبعدُ
جسمٌ يشادُ بهِ وآخرُ يقفرُ

ما للحياةِ عَلَى ٱختلافِ ٱلشكلِ حدْ   حيٌّ يجودُ بها وَآخرُ يستمدْ
وَٱلجسمُ يرفدُ بٱلحياةِ ولو همدْ   كالماءِ لا ينفكُّ ماءً إنْ جمدْ
وٱلأرضُ بودقةٌ(٣) تصوغُ وتصهرُ

ٱلذوقُ وٱلوجدانُ وٱلمعقولُ   وَٱلحبُّ آياتٌ سمتْ وفصولُ
أما ٱلجمالُ فإنهُ تمثيلُ   يدنو بهِ ٱلتفسيرُ وَٱلتفصيلُ
عرضٌ صفا فأضاء منهُ ٱلجوهرُ

هل فاز بالإيمانِ من لمْ يجحدِ   فالعينُ لا تغفو إذا لم تسهدِ

---

(١) بهر القمر غلب ضوؤه ضوء الكواكب .
(٢) جمع خباء وهو ما يعمل من وبر أو صوف للسكن .
(٣) بودقة : كلمة مولدة وهي وعاء يستعمله الصائغ لصهر المعادن .

لم يدرِ معنى الخفض من لمْ يجهدِ والماء لا يلتذه غيرُ الصدي[1]

والفجرُ من خللِ الدياجي يسفرُ

أوتيتُ علماً دونَ ما أتوسَّمُ وعييتُ بالإفصاحِ عما أعلمُ

ولسوفَ يخطئُ قصديَ المترسمُ معنى إذا أعربتُ عنه أعجم

بالذوقِ لا باللفظ عنه يعبر

من عالمِ الذرِّ الخفيِّ إلى الفلكْ ما عامَ أوما طارَ فيه أو سلكْ

ما كان من إنسٍ وجنٍ أو ملكْ إلا وقد شهدوا بأنَّ الملكَ لكْ

كلٌ بأمركِ صادعٌ ومسخَّرُ

لو طارَ في هذا الفضا جبريلُ عمرَ الزمانِ لعاد وهو يقولُ

ما للنهايةِ والخروجِ سبيلُ من ملكهِ إنَّ المليك جليلُ

هيهاتَ ليس الأمرُ مما يسبرُ[2]

ما غابَ عنكَ من الخلائقِ سِرُّها أنشأتها واليكَ يرجِعُ أسرُها

تخييرُها هوَ في الحقيقةِ جبرُها بيديكَ ناصيةُ الملوكِ وقسرُها

أمسى يذلُّ لعزِّكَ المتكبرُ

---

(١) الصدي العطش الظامئ .

(٢) سبر امتحن غوره .

أسماؤك الحسنى أجلُّ وأرفعُ   من أن يعي مدلولَها المتتبعُ
قد شاقني منها اللطيفُ المبدعُ   والنفسُ تلهجُ بالرحيمِ وتطمعُ
وتكاد من شوقٍ تسيلُ وتقطرُ

* * *

المروج — لبنان في ٢١ كانون الثاني ١٩٢٦ م

البحر

ما له في عظم الشأن قرينْ ... كلُّ جبارٍ يدانيه مهينْ
سعةٌ ليس لها من غايةٍ ... حسرتْ عنها عيونُ الناظرينْ
أنا إنْ أوجستُ منه خيفةً ... خافه قبلي أميرُ المؤمنين [1]
يملأُ العينَ فتغضي فَرَقاً [2] ... ويهولُ النفسَ حتى تستكينْ
ليستِ الأرضُ له كفؤاً وهلْ ... تستوي يوماً شمالٌ ويمينْ
جوفُه مضطربُ الأحياء إذْ ... جوفها مقبرةٌ للعالمينْ
ليس في قيعانِها غيرُ لظى ... وبقاعِ البحرِ كم كنزٍ ثمينْ
السما منه استمدتْ غيثَها ... فهو إنْ يفخر بالجودِ قمينْ
كلَّ يومٍ تسجدُ الشمسُ له ... فكأنَّ الشمسَ بالبحرِ تدين
ترتمي في حضنهِ محمرَّةً ... خجلاً كالرودِ [3] في حضنِ خدين [4]

* * *

(١) عمر بن الخطاب .
(٢) الخوف .
(٣) الفتاة .
(٤) الصاحب الحبيب .

كم تراءت صورٌ خـلابةٌ ومعانٍ فوقـه لا ينقضين

مرحُ الشبّانِ في شرخ الصبا وجلالُ الشيبِ مع بردِ اليقين

وفسيحـاتُ المنى مخضرّةٌ وشديدُ البأسِ والعزمِ المتين

زبدُ الموجِ على زرقتهِ أنجمٌ في حالكاتِ اللونِ جون

مع ما في صدرهِ من سعةٍ شرسُ الخلقِ أخو خمقٍ حرون

هل عراه طائفٌ من جنةٍ ليتَ شعري أم به مسٌّ جنون

بينما التيـارُ يعلو جبلاً إذ به وادٍ يهولُ المبصرين

أترى أمواجَه أنفـاسَهَ رُدِّدت بين شهيقٍ وأنين

لم تكنْ إلاّ كشعبٍ ثـائرٍ شنّهـا حرباً على المستعمرين

جحفلٌ(1) يركبُ منها جحفلاً يتعـادى كجنودٍ زاحفين

* * *

نفَخَتْ في وجهه ريحُ الصبا فملاه مثـل تغضينِ الجبين

وتراءى الموجُ فيه عُكَناً(2) دغدغتها غمزاتُ العـابثين

ليِّنٌ ما فدحتـه قسوةٌ ربَّ قاسٍ كان أجدى منه لين

قلقُ الأحشاء كالعاشقِ إنْ ثار في أحشـائهِ وجدٌ دفين

* * *

---

(1) الجيش الجرار .

(2) جمع عكنة والعكنة ما تثنى من لحم البطن .

قمتُ في عدوتهِ والفجرُ ما زالَ في جوفِ الدجى بعد جنين
وطيورُ البحرِ في أسرابهــــا تتهـــادى كشراعاتِ السفين
قلتُ للسربِ وقدْ أقبلَ من أفقٍ : قلبي به عانٍ رهين
أيها القاطعُ عرضَ البحرِ هلْ لكَ عهدٌ بروابي قاسيون (١)
ثمَّ مهوى القلب داراتُ الهوى منزل الأهلِ حمى المستضعفين
جيرةٌ جار عليهـــــا دهرها ما عَلَى الجورِ لها قطُّ معين
هلْ درتْ أن عَلَى النأيِ فتى كادَ يرديه إلى الشام الحنين
فلقدْ ودَّ بجدعِ الأنفِ لو شامَ أفقَ الشامِ أو قطع الوتين (٢)
كمهيضٍ جنحـــــه ودَّ لو أنْ طارَ للوكرِ ولـكنْ لات حين
والذي ينجو مهيضاً جنحُــهُ بعدَ طولِ السجنِ ما زالَ سجين
بأبي الشامَ وأمي إنهـــــا كعبةُ الآمالِ والحصنُ الحصين
وأمـــــدَّ اللهُ قوماً بذلوا دونها الأرواحَ بالروحِ الأمين

* * *

الاسكندرية في ٨ آذار ١٩٢٦ م

---

(٣) قاسيون جبل مدينة دمشق .

(٤) عرق في القلب .

الطفل

أملٌ تدركه العينُ وأيْنْ بعد إدراكِ المنى قرّة عَيْنْ
صورةٌ من صورِ اللهِ التي خلصتْ من كلّ تحريفٍ ومينْ
فطرةُ اللهِ التي ما شابها في كريم الخلقِ والأَخلاق شَيْنْ
مصحفٌ لله خطتْ يدُهُ للبها والطهرِ فيه آيتين
زينةُ العيشِ وسلواه فما أبغضَ العيشَ بلا سلوى وزين
ساعدٌ يسعد، عونٌ يُرتجى، خلفٌ تحيا به إنْ حانَ حين
شاء أن يبدع من صوّره فبراه متعةً للناظرين
حقٌّ آبائِكَ في إحسانهم لك ما لم تقضه نجلك دين
ولد المرء إذا أنصفته وتدبّرتَ مربي الوالدين
هل أبٌ إلاّ له في طفله عطفُ عثمانَ[1] وعدلُ العمرين[2]

* * *

(١) الخليفة عثمان بن عفان.
(٢) العُمَران هما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب.

ولدي ! شطرَ فؤادي إنما بك أنشأ اللهُ خلقي مرتين

كان لي قبلكَ نفسٌ فإذا أنا مذ أهللتَ أحيي باثنتين

يا صغيراً عزّزَ اللهُ به مدداً منه لديّ الأصغرين

لكَ عندي نِعَمٌ أيسرهـا طاهرُ الحبِ وعطفُ الأبوين

* * *

هشَّ لما طفّلته[1] أمه ودنا من وجهها بالراحتين

حار ما بينهما شوقُهما قبلةٌ تجزيه عنها قبلتين

من رأى (عيسى) يناجي (مريماً) أو رأى الزهرا يناغيها (الحسين)

وإذا ما عبستْ في وجهه عبثاً أو دفعته باليدين

جَمَعَ الأنفَ وضمَّ الشفتينْ وَزَوى اللحظَ وبَيْنَ الحاجبين

وجرتْ مع نَفَسَيْه غنةٌ ولوى الجيدَ وهزَّ المنكبين

وبدا الغيظُ ولو دافعـه والحيا في وجهه ممتزجين

لجَّ بي فرطُ حناني فأنا من بكاء وابتسامٍ بينَ بين

بسمةٌ حيرى أطافتْ بفمي حينَ حارتْ دمعتي بالمقلتين

* * *

---

(١) طفّل الرجل الإبل رفق بها وطفّلت الناقة رشّحت طفلها .

سنةُ البدرِ أرى في وجهه وبعينيه ائتلاق الفرقدين
خلتُ سنيّه عَلَى لثّتهِ في سوارٍ من عقيقٍ درّتين
أشقرُ الشعر عَلَى جبهتـــه طرةٌ من ذهب فوقَ لجين
ما عَلَى الناظرِ لو عوّذه بالمثاني السبعِ أو بالسورتين

* * *

الاسكندرية في ١٩ رمضان ١٣٤٤ هـ
١٩٢٦ م

الجمال

تعـالى المبدعُ القدُسُ مثـالٌ عنه مقتبسُ
ومرآةٌ عليهـا نو رُ وجهِ الله ينعكسُ
فما أدري أظلّ اللـهِ أمْ من نورِه قبسُ
بدا كالشمسِ لكنْ سرُّ ه عيّت به النطُسُ[1]
في الأبصارِ معروفٌ على الأفهـام ملتبس
فكمْ عنَتِ[2] الوجوهُ له وريضتْ أنفسٌ شُمُسُ[3]
وكم ذا طأطأتْ هامٌ وذلّتْ آنفٌ عطس
له من روحِنا جندٌ ومن أنظارِنا حرس

* * *

وقالوا : إنه نسبٌ بها الألبابُ تختلس
شجاني أنه عرَضٌ[4] معالمُـهُ ستندرس

---

(١) العالم المتأنق .
(٢) عنت أي لقيت الشدة .
(٣) جمع شموس ويقال شمس الحصان إذا امتنع وأبى أن يمكن راكباً من ظهره .
(٤) المتاع ، حطام الدنيا .

ونبتٌ إنْ يهج يوماً فغايةُ أمرِه اليبس
ضلالٌ أن يحدَّ بما رأوه منه أو لمسوا
وفوقَ حدودِهم روحٌ طليقٌ ليس يحتبسُ
وسفرٌ فيه آياتٌ من الإبداعِ تلتمس

* * *

تصبّاني الجمال وفي الفؤادِ هواه منغرسُ
ولجَّ هواه بي حتى وهمتُ بأنه هوسُ
يطلُّ عليَّ من عينِ الحبيبِ ولَحْظُهُ خُلَسُ
فينفي النومَ عن عينيَّ وهو بعينها نعسُ
ويجري ماؤه في وجهها فيكادُ ينبجس[1]
ويذكو عرْفُهُ في ثغرِها ما رُدِّدَ النفَس
ويزهو بين عطفيها هناك التيهُ والقعس
وألمحُهُ بومضِ البرقِ إمّا عَسْعَسَ[2] الغلَسُ[3]
وأسمعه من الأطيارِ والأنهار ترتجس
وأدركه بنفسي وهو معنى ما به لبس[4]

* * *

الاسكندرية في ١ ذي القعدة ١٣٤٤ هـ
١٩٢٦ م

(١) ينفجر . (٢) عسعس الليل أظلم .
(٣) ظلمة آخر الليل . (٤) الغموض .

الطيف

أعطى قليلاً واستردّا وَدَنا عَلَى حَذرٍ وصدّا
طيفٌ أَلمّ وليلتي رفعتْ من الظلماء بَنْدا (١)
فأطلّ مثلَ البدرِ مِنْ خَلَلِ السحابِ إذا تبدّى
يا روعةً لما تمثّل بالعراء وماسَ قدّا
عارٍ من الأثوابِ كا سٍ من معاني الحسن بردا
أرأيتَ دميةَ مرمرٍ ترتجُّ رانفةً (٢) ونهدا ؟
وجهٌ تلألأَ مشرقاً كالسيفِ ماءً أو فرندا
أخفى بمنشورِ الذوا ئب من محاسنه وأبدى
غالطتُ نفسي واتّهمتُ العينَ حيناً إذ تصدى

* * *

ما شأنُه ماذا يريدُ وما عساه يرومُ قصدا ؟
أأتى لينظرَ كيف أقضي ليلتي همّاً وسهدا ؟

---

(١) العلم الكبير .

(٢) أسفل الألية الذي يلي الأرض عند القعود .

كبدي تسيلُ من الجِرا   حِ ومقلتي بالدمعِ تندى
وجوانحي تنقضُّ من   عصْفِ الهوى عقداً فعقدا
أم جاء يعبث ؟ والهوى   أضحى بحمدِ اللهِ جدّا
إن كان يعتقدُ الهوى   طفلاً ؛ فقد بَلَغَ الأشدّا
واللهُ ما ضيعتُ عهـ   ـدَ الحبِّ منذُ قطعتُ عهدا
إني إذاً خنتُ الصبا   بةَ والغرامَ وجئتُ إدّا

* * *

حيّا وطأطأَ رأسَهُ   وخطا إليَّ ومدَّ زندا
يرنو وأرنو فالعيو   نُ تجاوبتْ أخذاً وردا
أنا ما بعدتُ دنا إليّ   فإن دنوتُ عدا وشدّا
يعطو[1] إليّ بجيده[2]   ويديرُ لي خدّاً فخدّا
فإذا هممتُ به ترا   جَعَ ضاحكاً منّي وندّا[3]
كتمنعِ الحسناء إذْ   عمدتْ إلى الإدلالِ عمدا
ولوِ اعتلقتُ الخدَّ منـ   ـه جنيتُ تفاحاً ووردا
ما زالَ بي حتى لقدْ   أغرى الصبابةَ بل تحدّى

---

(١) يمد ويرفع .
(٢) العنق .
(٣) تنحى .

داورتُـه بالرفقِ لا آلو لو أنَّ الرفقَ أجدى
ومددتُ أشراكَ التـأَلُّــنِ والرياضُ إليه مدّا
وختلتُهُ بحبـــائلي وأرغتُهُ عكساً وطردا
وسعيتُ لاستغوائـــه فإذا به بالغيِّ أهدى
ما كنتُ أعلم أنه أقوى يداً وأعزُّ جندا

* * *

سحَرَ العيونَ فأخطأتْ قيـداً لموقفِـهِ وحـدّا
كالشمسِ تحسَبُها دنتْ للغربِ وهي أشدُّ بعدا
إني عييتُ بأمره ولقيتُ مؤتلفاً وضدّا
قرباً وبعداً وهو لم يبرحْ ووجداناً وفقدا
فكأنَّ من دونِ البلو غِ إليهِ هاويةً وسدّا
وأرى الطوارقَ بعده ماءً ولكنْ لا كصدّا

* * *

هل كان في إلمامه غير الأسى والسهدِ أسدى
أغرى وحَرَّضَ لوعةً وثّابةً واهتاجَ وجدا
أورى وأرّثَ جمرةً بين الجوانح ليس تهدا
تركَ النوازي[1] في فؤا دي تنبري جزراً ومدا

(١) جمع نازية وهي الحدة البادرة .

ملكَ الفؤادَ فقـاده وبمسكةِ العقلِ استبدا
فلـكمْ دعوتُ فما استجا بَ ولو دعوتُ صفا[1] لردا
وكم ابتغيتُ له الوسيـلةَ علّه يعطي فأكدى[2]
وكم استلنتُ فؤادَه يا للعواطفِ ما أشدّا
ولو استلنتُ بما أعا لجه به لألنتُ صلدا[3]
فلقد جعلتُ حشاشتي مرعى له والدمع وِردا
ما زلتُ استدنيه وهـو يلجُّ إعراضاً وحردا
حتى ارتميتُ وليس بي رمقٌ وقد جاوزتُ جهدا
وسقطتُ مخذولَ القوى كالطيرِ عن فننٍ تردّى
أهوى عليّ وضمّني وأباحَ من شفتيه شهدا
ما الرفدُ للمحرومِ حيـنَ يجودُ بالأنفاسِ رِفدا

* * *

الاسكندرية في ٣ ذي الحجة ١٣٤٤ هـ .
١٩٢٥ م

(١) الصفا الحجر .
(٢) بخل في العطاء .
(٣) الحجر الصوان .

الرقص

نُفِخَ الصورُ فهبّوا مسرعينْ مثلَ ما نفَّرتَ طيراً بالصفيرِ
وعَلَى الصهباء كانوا عاكفينْ من رأى سربَ مها[1] حولَ غديرِ

* * *

كم فتاةٍ فتنةٍ بالمقلتينْ واعتدالِ القدِّ والجيدِ التليع[2]
جمّتِ الشعرَ إلى السالفتينْ فاستبدتْ بابنِ هاني[3] والصريع[4]
أخذتْ من ذيلها للركبتينْ ومن الطوقِ إلى أقصى الضلوع
ومن الكمّينِ حتى المنكبَين فبدتْ في درعِها غيرِ المنيع
من عَرَاءٍ واكتساء بينَ بينْ بل من الحسنِ بجلبابٍ بديع
وفتى من حسنه ملء العيون حَسَن اللفتة كالظبيِ الغرير
هو لو لمْ يتخذْ زِيَّ (الذينْ) عُدَّ من حزبِ (اللواتي) في الأثيرِ

* * *

(١) البقر الوحشي .
(٢) الجيد التليع : العنق الطويل .
(٣) هو أبو نواس الحسن بن هاني .
(٤) صريع الغواني هو مسلم بن الوليد .

كلُّ إلفينِ انضوى شملهما أقبلا فاعتنقا أيّ اعتناقْ
لو صببتَ الماءَ ما بينهمـــا لم يكدْ يخلُصُ من فرطِ اعتلاقْ
علقتْ كفٌّ بكفٍ منهما شركاً واختلفتْ ساقٌ وساقْ
ودنا الخدانِ منْ بعضِهما حينما الجيدانِ همّا بالتلاقْ
وعَلَى الأنغـامِ كانتْ لهما خطواتٌ باتزانٍ واتساق
رقصا شتى ضروبٍ وفنونْ من دبيبٍ خافتٍ أو ذي صريرِ
بينما عومُهما عومُ السفينْ إذ هما بالحجلِ كالطيرِ الكسيرِ

* * *

خلتُ ثدييهـا إليه انتقلا فرطَ إلحـاحٍ بضمٍ واقترابِ
لم أجدْ صدرَ فتى قـد حملا قبله فيما مضى نهدَيْ كعابِ
كيفَ ترجو صحوَ من قد ثملا بعدامٍ وغرامٍ وشبـابِ
أيُّ نجوى وحديثٍ أرسلا همسُها همسُ دلالٍ وعتـاب
وهو لا ينفكُّ يروي العللا وله غُنّةُ رُجعى ومتاب
أخذٌ أيسرها سحرٌ مبينْ هي ما بينهما أوحى سفير
تبعثُ الشوقَ وتغريـ وتلينْ وتثيرُ الوجدَ في القلبِ وتوري

* * *

نَفَسٌ مَعْ نفَسٍ ممتزجُ طيبُ الكهةِ معسولُ المذاقِ

وتبـاريحُ هوى تعتلجُ عجزتْ عن كظم واريها التراقي[1]
وعلاقاتُ نفوسٍ تشج[2] بينَ جذبٍ والتفافٍ وعناق
شبَّ في كل لهاةٍ وهَجُ وعَلَى بَرْحِ الجوى يحلو التساقي
ليت شعري كيف حال الراقصينْ بعدما الرقص غزا ذات الصدورِ
أيّ وجدانٍ وحسّ يحدون من هوى النفسِ وخلجاتِ الضمير

* * *

خَبَتِ الأنوارُ إذ داروا معاً لا يلوحُ النجمُ إلا في الظلامِ
شمْ تَرَ البُهرَةَ[3] روضاً ممرعاً ألفتْ ما بينَ أزواجِ الحمامِ
أو خضماً بالجواري أترعا تتبارى مسرعاتٍ للأمـــامِ
أو سماء أفقُها قد أطلعا أنجماً دارتْ بومضٍ واضطرام
كل مثنى ، فرقدان اجتمعا يستعينانِ بضمٍ ولزام
هكذا كل مشوقٍ ذي شجونْ أبصرَ المنيةَ في الليلِ الضريرِ
فإذا الأنوارُ ضاءتْ بعد حين نمّتِ الوجناتُ عن سرّ الثغور

* * *

كلما الفصلُ انقضى أو كربا[4] لجَّ بالتصفيقِ كي يستأنفا

---

(١) جمع ترقوة وهي العظم في أعلى الصدر ما بين ثغرة النحر والعاتق .
(٢) تشتبك .
(٣) الوسط من المكان . (٤) أي دنا .

من رأى ورقاء تغذو أزغبا[1] كلما زادته زقاً[2] ألحفا
فإذا ما فصلتْ عنه حبا وجناحاه عليها رفرفا
هكذا كفاً بكفٍ ضربا يستجيشُ العزفَ لما وقفا
وإذا الفترةُ كانت ، ذهبا مستفيضين ، وزارا المقصفا
ثم عاد الرقصُ أورى ما يكونْ زندُه والعزفُ موصولُ الهديرِ
وعَلَى غيرِ القذى غضّ الجفون من رأى الإلفين في عيشٍ قريرِ

* * *

كل عضوٍ لهما عاد مشاعا فله من نهدها مستندُ
جعلتْ زنارَها منه الذراعا وعَلَى عاتِقِهِ تعتمدُ
وبفضلِ الرقصِ نالا ما استطاعا إن للرقصِ يداً لا تجحد
زعموه يورثُ الجسمَ اضطلاعاً ونشاطاً وهو لهْوٌ ودد
وأراه بين أهواء صراعا ريضتِ النفسُ به والجسد
كلُّ صعبٍ فهو بالرقص يهونْ وعسيرُ الأَمر فيه كاليسيرِ
ربّ جدٍ كامنٍ طيّ مجونْ وكبير مبتداه من صغير

* * *

الاسكندرية : في ١٢ المحرم ١٣٤٥ هـ و
٢٢ تموز ١٩٢٦ م

---

(١) الفرخ الذي بدت زغبه .
(٢) زقّ الطائر فرخه أطعمه بمنقاره .

البرق

خَفَقَ القلبُ له لما خفقْ   بارقٌ شبَّ الجوى حين ائتلقْ
وَيْحَ جفني كلما لاح له   فاضَ بالدمع وأعيا بالأَرقْ
وَمْضُهُ غازلَ دمعي فجرى   أَلطُفَ الأَولُ والآخرُ رَقّْ
رفَّ حتى زاغ عنه بصري   من رأى ذاتَ جناحٍ تحترق
فكأني حينما أبصرته   موبذٌ[1] لاحت له نار السدق
عادلي روعةَ موسى[2] شاخصاً   حينما آنسَ ناراً في الغسق
قلتُ لما راعني إيماضُهُ   كان موسى شاعراً لما صعق

* * *

شِمتُهُ[3] لما تبدّى شرراً   ثمَّ ما عتّم أن طارَ شَقَقْ
فإذا بي وهوَ يستشري[4] أرى   لجةً من لهبٍ إذْ تصطفق
لستُ أدري أهو سيفٌ منتضى   حينما أومض أو سهمٌ مرق

---

(١) كاهن فارسي يقيم على حراسة النار .
(٢) النبي موسى عليه السلام .
(٣) شام البرق نظر إليه .
(٤) تفاقم وعظم .

أمطرَ الظلماءَ نبلاً بعد ما قد رماها مستديراً بِوَهقْ[1]
وسرتْ في السحبِ منه شعلٌ سريانَ النارِ في ثوبٍ خلق
فكأنَّ البرقَ في تلماحِهِ تارةً يخبو وأُخرى يأتلق
رَدُّ طرفٍ حائرٍ أو نفسٌ متعبٌ أو نبضُ عرقٍ من فرق

* * *

هو للشاعرِ في جوف الدجى سورةٌ أوحى بها ربُّ الفلق
عَلَمُ الله تعالى جَدُّهُ لاحَ خفّاقاً عَلَى كلِ أُفق
بَسْمَةٌ من ذاتِ ثغرٍ أَشنب برقتْ أو نظرةٌ من ذي حنق
حبَّبَ الظلماءَ لي لما أَضا هكذا تسحر بالنور الحدق
خلتُه من بين أسدافِ الدجى أملاً من بعد يأس قد برق

* * *

رمضان ١٣٤٩ هـ .

١٩٣٠ م

---

(١) حبل في طرفه انشوطة يطرح في عنق الدابة .

الفراشتان

تسرُّ الناظرينَ فراشتانِ بروضٍ ناعمٍ تتغازلانِ
تبرجتا بنفْضٍ من سوادٍ عَلَى أعطافِ حلةِ أرجوانِ
يلوحُ عَلَى حواشيها بياضٌ كما نصلتْ أصولُ الزعفرانِ
إذا ما ثارتا فشرارتانِ وإما قرّتا فشقيقتان
زوتْ كلتاهما قرنيْنِ دقّا كما يزوي لغمزٍ حاجبان
وَضمّتْ من جناحيها فكانتْ كعرفِ الديك أوحرفِ السنان
وأرختْ منهما فبدت كحلي تلألأَ فوق لبَّاتِ الحسان
أفانينٌ من الحركاتِ زاغتْ لها عيني وعيّ بها بياني
فمنْ ضمٍّ إلى نشرٍ لوثبٍ لرفرفةٍ إلى حربٍ عوان
تواثبتا مثاقفةً فيامن رأى الديكيْنِ إذْ يتساوران
ورفرفتا مهاداةً كما في مهبِّ الريح رفّتْ وردتان
وَرفرفتا فخلتُ لهيبَ نارٍ ينضنضُ[1] بالفروعِ وباللسان

(١) يضطرب والنضناض حية لا تستقر في مكان .

وَدوّمتا صعوداً أو هبوطاً كأنهما هنالك مغزلان
فما يرتدُّ طرفُ العينِ إلاّ دراكاً تعلوانِ وتهويان
كما اندفعتْ مياهٌ ثمَّ عادتْ وقد قذفتْ بها فوّارتان
تحيَّرتا هنا وَهناك طيشاً كما في الريحِ حارتْ ريشتان
إذا ما هبّتا لبلوغِ قصدٍ بدا لهما فَوُجِّهتا اثنان
وإن إحداهما انطلقتْ فجدَّتْ بمتنِ الريح مطلقةَ العنان
ترى الأُخرى تزاحمها اعتراضاً أفي رحبِ الفضا تتزاحمان
كؤوسُ الزهرِ وردُهما فلمْ لا بأجوازِ الفضا تترنحان

* * *

كأنهما عَلَى لجيٍّ بحرٍ طغى إذْ تطفوانِ وَترسبان
هما قد دافتالي كأْس ذكرى جرى دمعي لها وهفا جناني
تذكرتُ الصبا وَزمان كنا كأنا في الرياض فراشتان
مغانينا التي نأوي إليها مقاصف(دُمَّرٍ[1])و(النيربان[2])
إذِ الأَغصانُ من حذبٍ حوانٍ وَنحنُ بظلِّها متلازمان
وَأحداقُ الأَزاهرِ شاخصاتٌ إلينا حيثما مِلْنا روان

---

(١) و (٢) منتزهات معروفة في دمشق.

جرى (بردى) ينثُّ لنا حديثاً ⁽¹⁾ ألذَّ من المثالث والمثاني
وَصفّقَ مستعيداً حلو نجوى تساقينا بها بنتَ الدنان
سقى ورعى وحيّا الله عهداً بلغنا فيه معسول الأماني
وَألهمنا التجلّد في زمان نعاني من أذاه ما نعاني

* * *

قرنايل في ٢٧ تموز ١٩٣٣ م .

(١) نثَّ الخبر أفشاه .

سكران وسكرى

لو رأيتَ الكأسَ وَالوجه الصبيحا لم تلمْ في الراحِ من يعصي النصيحا
تركتْ في كأسها لي قُبلةً طابتِ الراحُ بها طعماً وَريحا

* * *

أرسلَ الإبريقُ شؤبوبَ سنا فإذا أقداحُنا قوسُ قُزَحْ
كشعاعِ الشمسِ لألاءٍ فهلْ بعثَ النورَ أم النارَ قدح
صعّدَ الزفرةَ حرّى وَبكى حينما أهوى عَلى ثغرِ القدح
كمحبّيْنِ فَمٌ زقّ فماً علّتِ الأنفاسُ والمدمعُ سحّ
غصّ بالشهقة لما ارتدّ عن شفة الكأسِ وبالدمعِ المُلِح
راعهُ المنقارِ خفاقَ الحشا من رآه خاله طيراً ذبيحا
وهي كالجذوَةِ تنزو مرحاً فذرِ الماءَ يَرُضْ منها جَموحا

* * *

رامها ابنُ المزنِ فاستحيتْ فما مَسَّها حتى تغشّاها[1] حجابُ

---

(١) تغشى بثوبه تغطى به .

صافيانِ امتزجا فاستترا هكذا الماء عَلَى الشمسِ سحابُ
هل رأيتَ النارَ يعلوها دخانٌ أَبيض والشمسُ يغشاها ضبابُ
بسمتْ حتى ثناياها بدتْ لا تخلْ أَنَّ الذي يطفو حباب
أَصبحتْ بابنِ السما مثل السما كوكبٌ يبدو وَينقضُ شهاب
عبقتْ في الـكأسِ من أنفاسها نفحةٌ تهدي إلى الندمان روحا
وهي قبل المزج تحكي رقةً أَدمع (العذراء) إذ تبكي (المسيحا)

* * *

قد رفعناها نحيّي بعضَنا وَقرعنا بعد ذا كأساً بكاس
وَتعاهدنا علَى (السرِّ) وَما أَضيعَ (السرَّ) عَلَى أَنفاسِ حاس
وَعَلَى اسمِ (الحب) كانت نهلةٌ تغمضُ العين وَتغري بالعطاس
ثمَّ ثنّينا فساغتْ سهلةً راضها التقبيلُ من بعدِ شماس
أَنبتتْ في كل خدٍ وردةً وَرمتْ في كلِّ عينٍ بالنُعاس
وَمن الأَلسنِ حلّتْ عُقدا هكذا تجعل من عيٍّ فصيحا
أَرهفتْ حساً وَهاجتْ شجنا وَبها جوُّ المنى أمسى فسيحا

* * *

أَيقظتْ عاطفةً وَثابةً وَرمتْ جفناً وَجسماً بالفتورِ
هانتِ الدنيا عَلَى شاربِها لا تساوي عنده شروى نقيرِ

هي لولا الكأسُ لا معنى لها　　دارتِ الدنيا عَلَى كفِّ المدير

كلّما قبّلها هام بها　　فحساها بصغيرٍ وكبير

أيّ شيءٍ تبعث الراحُ به　　من أمانٍ وَنعيمٍ وَسرور

ضمّ من أجفانه مستثبتاً　　إذ رأى أحلامَه تجلى وَتوحى

السماديرُ رؤى سحريةٌ　　فاتخذْ كأسَكَ(شِقّاً)[1]وَ(سطيحا)[2]

* * *

يا رضيعَ الكأسِ أفديك أخاً　　في رضاعِ الكأسِ قربى وَرحمْ

آختِ الخمرةُ فيما بيننا　　بلبانٍ وَبروحٍ وَبدم

أيّ أمٍ بذلتْ من قبلها　　لِبَنيها كل هذا أيّ أمْ

حملتْ من كلِ من ترضعُهُ　　عنتَ الطفلِ ولو كان هرم

طفلتُهُ فانتشى حتى انتهى　　للكرى ينعم بالطيف الملم

كلما هشّتْ إليه زادَها　　« ديدنَ الطفل » قطوباً وكلوحا

أيها الناعمُ بالأحلام هلْ　　دبّرتها الراح تعبيراً صحيحا

* * *

وَأليفينِ كما شاء الهوى　　وَالصبا جُنّتْ به حباً وَجُنْ

---

(١) و (٢) عرّافان خرافيان روت أخبارهما كتب الأدب وقيل انهما عاشا في العصر الجاهلي .

هي كالطاوسِ من زهو الصِبا وهو من غلوائه مهرٌ أَرِنْ
يُزهر البدرُ عَلَى جبهتها وَعَلَى وَفرته[1] الليلُ يُجِن
فَتنتْ حسناً وَراقتْ زينةً يَكمُلُ الحسنُ إذا واتاهُ فن
فترى الزخرفَ في حلّتها نورُهُ ينهلُّ كالغيث الهتِنِ
فإذا ما أسرعتْ في مشيِهـا عجَّ كالشلاّل ينصبُّ دَلُوحا[2]
حـلةٌ أغرتْ بما قـد سترتْ حين زادتْ حسنَ ما أبدتْ وضوحا

* * *

تركتْ من حاجبيهـا أثراً مرهفاً والسيفُ إنْ دَقَّ مضى
وعَلى أجفانها من كحلِهـا ظلمةٌ من بينها النجمُ أضا
إنّمـا الحمرةُ في مبسمِهـا قبلةٌ حرّى حكتْ جمرَ الغضا
في يديهـا وعَلَى أقدامهـا مهجٌ سالتْ ودمعٌ غُيِّضـا
أرأيتَ العـاجَ قَـدْ قمّعهُ[3] وهجُ الياقوتِ أو شمعاً مُضا
رفَّ طيرُ الحليِ في لَبّتِهـا يبتغي في صدرِهـا كِناً مريحا
عشيتْ مرآتُها من طولِ مـا قابلتْ من وجهها برقاً مُليحا

* * *

---

(١) الوفرة الشعر المتجمع على الرأس حتى الأذنين .
(٢) الدلوح جمع دلح : السحابة الكثيرة الماء .
(٣) قـمّـعَ خضب بالحناء .

مالتِ الخمرُ بأعطافِهما من رأى غصناً عَلى غصنٍ يميلُ
الهوى طاغٍ عنيفٌ والنُهى غاله من سوْرةِ الصهباء غولُ
شوّشتْ وَفرتَه لما رأَتْ رأسَهُ ما بين ثدييها يقيلُ
فسما بالطرفِ يرنو فإذا طرفُهُ من شدةِ السكرِ كليل
يا لمخمورَيْنِ مُلتَخّيْنِ لمْ يعِ كلٌّ منهما ماذا يقول
نضبتْ كأسُهما فاستمسكا ثم قاما بعد لأيٍ ليروحا
أشبها الميزانَ ما مِنْ طرفٍ شالَ إلاّ طرفٌ كان رجيحا

* * *

بلغا بعد اللتيا والتي غرفةً فيها الهوى ناهٍ أمُورُ
هبّتِ الأشباحُ مِنْ رقدتها حينما أُوقِظَ في المشكاةِ(١) نورُ
التماثيلُ بها عُريانةٌ وَالدُمى وَالزهرُ نظمٌ ونثير
أطبقَ البابُ فما خلفهما فهما كالسرِّ يحويه ضمير
والكُوى(٢) قد أغمضتْ أجفانَها حينما ضُمّتْ عليهن الستور
والكراسي فاتحاتٌ أذرعاً وَصدوراً للقا الأحباب فيحا(٣)
واحمرارُ النورِ في كِلّته مؤذِنٌ أنَّ له جفناً قريحا

* * *

---

(١) المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل .
(٢) الكوى جمع كوة : الطاقة ، الخرق في الحائط .
(٣) فيح : متسع .

وَهما برحَ اشتياقٍ في سعيرِ   لشميم الخُلدِ في ذاك السريرِ
من رأى (الزُهرة) في عُزْيتها   وَالذي تهوى عَلَى مهدٍ وَثير
رفتِ الكِلَّةُ بِشراً واحتفى   بهما المهدُ بخفقٍ وَصرير
أسلمَ المصباحُ جفناً للكرى   وَغفـــــا رغمَ شهيقٍ وَزفير
وَدَّ كلٌّ منهما لو ظلَّ في   نومِه هذا إِلى يوم النشور
لا يبالي عاشقــانِ اعتنقا   أسريراً نزلاه أمْ ضريحا
فاغفرِ اللهم زلاّتِ الصِبى   وَتقبّلْ توبةً منـــا نصوحا

* * *

في ٢٠ جمادى الآخرة ١٣٥٥ ﻫ و
٦ ايلول ١٩٣٦

*
* *

الورقاء

وَرقاءُ ذاتُ تَفَجُّعٍ هتفتْ ففاضتْ أدمعي
هاجتْ بتقطيعِ النِيا حةِ لوعتي وَتقطُّعي
وَهنًا سكنتُ لها فهزَّ تْ مطمئنَّ الأَضلع
ورمتْ حشايَ بجمرةٍ نفذتْ له من مسمعي
ليستْ تفارق مربعاً حتى تنوحَ بمربع
فكأنها تبكي عَلَى إلفٍ هناك مضيّع
في سجعها نوحُ الحزيـن وَأنَّةُ المتوجِّع
يشجي عَلَى علاّته في وَصله والمقطع

* * *

وَلقد أطاف بمضجعي طيفٌ فأقلق مضجعي
ذادَ الكرى عن مقلتي وَمضى به لم يرجِعِ
وَيح العيونِ الساهرا تِ من العيونِ الهجّع
يا للرجالِ من النسا ءِ لمستهامٍ مولع

* * *

يا منْ زرعتِ الحبَّ من قلبي بوادٍ ممرع
لم أَصح مذ جفناك دا فا لي الغرامَ بمترع
إن كنتِ ناسيةً فما أنسى عهود الأجرع
لمّا جعلتِ وسادةً عنقي وَمهداً أَذرعي

* * *

يا صاحبي هذا أوا نُ العونِ منك فأَسرع
عيني تريق عصارةً من قلبيَ المتصدّع
اربطْ عَلى كبدي وَشـدَّ عَلَى فؤادي الموجع
فإِذا فرغت فما عليـك بأَن تكفكفَ مدمعي
وَإذا عرتني غشيةُ التـهيامِ حتى لا أَعي
فأَسرّ في أُذني اسم مَنْ أهواه أَصحُ وَأسمع

* * *

يا رب قالةِ مدَّعٍ متحذلقٍ متنطع :
أَو ليس يسلك في القوا في غير هذا المهيع ؟
هذا الذي يرضى (المرا قب) عنه فاسمع أَو دع
وَبه على علاّته صنعُ المجيدِ المبدع
لو قدْ تقادم عصره لرواه عنيِ (الأَصمعي)

* * *

في ٢٣ ذي الحجة ١٣٤٠
١٦ آب ١٩٢٢

الشاعر

هَبَطَ الوحيُ عليه من سمٰواتِ الخيالِ ، في الظلام
وَأضاءتْ جانبيه ربّةُ السحرِ الحلالِ ، في الكلام
خرَّ يبكي وله لمّا تجلّتْ صعقاتْ

قد وَعى سرّ الوجودِ وَمعاني العدمِ ، في غشيتِهْ
فروى بيتَ قصيدٍ من عيونِ الحكمِ ، في صحوتِهْ
نظمته زفراتٌ قطّعته شهقات

هُتكتْ عن ناظريه مسدلات الحجبِ ، والستورِ
فجرى عن أصغريه غير ما في الكتبِ ، من سطورِ
صورٌ علويّةٌ مثّلها بالكلمات

* * *

ظلّ يرنو للسماءِ واحمرار الشفق ، فيقول :
ذا نجيعُ الشهداء شاهدٌ في الأُفقِ ، لا يزول
فعليهم أعينُ السحب تريق العبرات

نسماتُ الريح ثكلى لا تني تنتحبُ ، في أســاها
ووميضُ البرقِ ليلاً جمرةٌ تلتهبُ ، في حشاها
أو فؤاد بين جنبيها شديد النزوات

هزَمَ الرعدُ فقالا : ذا صراخُ البائسينا ، فاْعطفوا
ودَجى الليلُ وَطالا وهوَ عسفُ الظالمينا ، فاْرأفوا
وَانكشفْ يا ليلُ : إنَّ الرعدَ أمسى صرخات

* * *

صوَّبَ الطرفَ بروضٍ باسمٍ زاهٍ وَسيمْ ، فبكى
قائلا والجفنُ مغضٍ ههنا صَبٌّ وَريمْ ، هلكا
قدُّها وَالقلبُ منه غصنٌ ذو زهرات

عَلقتْ كفٌ بكفْ والتقى خدٌّ وَخدْ ، في التراب
يا له قلباً يرفْ وضلوعاً تتقدْ ، باضطراب
وَنفوساً قد زكتْ في الزهر منها عبقات

* * *

أخَذَ النايَ وأدنى فمَهُ ثم نفَخْ ، فيه روحَهْ
فأذابَ النفسَ لحناً ومن الجسمِ انسلخْ ، كي يريحَهْ
هكذا تذهبُ أنفاسُ المعنّى حسراتْ

* * *

في ٢٢ ربيع الأول ١٣٤١ هـ .

المحزون

أعنِ اللهم من صوّرته من حَزَنِ

* * *

أَلِفَ الحزنَ فلو فارقه الحزنُ بكاهُ
وَجفا اللهوَ فلو واصله اللهوُ شكاهُ
نفسُهُ ليس لها غيرُ الأَسى من سَكَنِ (1)

* * *

الأَسى في مقلتيهِ قَدْ مَحا كلَّ ضياء
جاعلٌ في مسمعيه كلَّ صوتٍ كالبكاء
إنَّ ما يبصر أَو يسمع داعي الشجنِ

* * *

دَرِج (2) الطفلُ إليه ضاحكاً مستبشرا
ناشراً كلتا يديه كالمصلّي كبّرا

---

(1) ما يستأنس به .

(2) مضى لسبيله .

أو كطيرٍ هَمَّ بالإسفافِ من عَنْ غُصنِ

* * *

ضمَّه المحزونُ لا يملك ردَّ العبرات

ذاكراً يوماً وَإن طالَ التراخي فهو آت

تصدعُ الشمْلَ به جوْراً صروفُ الزمنِ

* * *

لو تراه والتي هام بها عند التلاقي

خلتهُ يلفظ روحاً بلغتْ منه التراقي

مغمضُ الجفنين للغصةِ لا للوسَنِ

* * *

قال : لا آسي إذا لاقيتُ يوماً مصرعي

إنما أخشى عَلَى حبيَ أَنْ يودي معي

فاحفظِ اللَّهم هذا الحبَّ واحرسْ وَصُنِ

* * *

وَإذا قبليَ ماتتْ ما عساني أَصنعُ ؟

هل يؤدي حقَّ حزني أَنْ تفيضَ الأَدمعُ ؟

لا وَربِّي دون أَن نمسي معاً في كفنِ

* * *

ورأى الظالمَ لا يرقُبُ في المظلوم ذمّهْ
فبكى حزناً لمن عُرّي عن عدلٍ ورحمهْ
وعلى من بشديدِ الجورِ والظلمِ مُنِّي

* * *

قال: يا ذا المالِ ما في المالِ لي من مطمعِ
أيّ شيءٍ هو أغلى من لآلي الأدمعِ؟
هل رأتْ عيناك دراً غيرها في الأعينِ؟

* * *

فأنا أملك منها ثروةً لا تنفَدُ
وأنا إلاّ بها في كل مالٍ أزهدُ
وحدها كم كشفتْ عني ظلالَ المحنِ

* * *

لا تردْ منِّيَ شعراً ولو أنَّ الشعرَ سحرُ
كلما أنشدتُ شطراً فاضَ من روحيَ شطرُ
يا لروحٍ بين أبيات له مرتهنِ

* * *

نبذَ الأديانَ يعتدُّ بها كلَّ غبي
وجفا الإسلام لو لم يك دينَ العربِ

فَهُمُ لو عبدوا الأوثان أمسى وَثني

* * *

ما أَحبَّ العربَ إلاّ منذ لاقوا المحنا

فَهُمُ قد زرعوا لـكنْ سواهم قد جنى

كم لقوا سوءا بصنعٍ قدَّموه حسنِ

* * *

ضاقَ بالأحزانِ ذرعاً فانتحى الروض النضيرْ

يتغنى بنشيدٍ مثل أَسجاعِ الطيور

نفسُهُ قد نشرتْ معه ولمّا تنثنِ

* * *

وَهزارٍ مع وَرقاء عليه عكفا

قال للورقاء ما بال أَخي البلوى غفى ؟

قـالتِ الورقاء : بل ، يرحمه اللهُ فني

* * *

في ٨ رمضان ١٣٤٢ هـ

دمشق

(أدمشق) ما للحسن لا يعدوكِ حتى خصصتِ به بغير شريكِ
أشغفته حبا وَتمتِ فؤاده فغدا بكل طريفةٍ يصفيكِ
سبحانَ من أعطاكِ أشهد أنّه وَفّى وَزادَ بسببه معطيكِ
فبرزتِ للأبصارِ أروَعَ مظهرٍ في الحسنِ وَالإبداعِ عن باريكِ
مهوى القلوبِ لكل روحٍ راحةٌ وَلكلِ عينٍ قرةٌ واديكِ
الحبُ برّحَ بي وَأنتِ بعثتِه أ إليك أشكو الحبَّ أم أشكوكِ
فقتِ الحواضرَ وَالبلادَ بنسبةٍ من (قاسيون) إلى الذرى تنميكِ
يا بنت مَنْ طال السها أيتيمة في الحسن وَهو معمَّر يفديكِ
شابتْ مفارقُهُ وَجلَّلَ رأسَه صلعٌ فزدتِ جلالةً بأبيكِ
فكأنه أسدٌ بقربك رابضٌ من دهره وصروفه يحميكِ
يا مهبطَ السحرِ الحلال ألم يكنْ (حسّان)[1] ينشي سحرَه من فيكِ
رُدّيتِ من زهرِ الرياضِ مطارفاً ما بينَ محلولٍ إلى محبوكِ

---

(١) هو الشاعر حسان بن ثابت .

فكأنما الأشجارُ فيك عرائس ماستْ بكل منمنمٍ وَمحوكِ
وكأنما (بردى)[1] سبائكُ فضةٍ تجري عَلَى درٍّ بهـا مسلوكِ
وكأنما حصباؤه وَبريقها عقدُ من الالماس في هاديكِ
وإذا الغزالةُ[2] غازلتكِ بسمتٍ عن ثغرٍ بأزهارِ الرياضِ ضحوكِ
أهدتْ إليكِ التاجَ حين بزوغِها فلبستِهِ من عَسْجدٍ مسبوكِ
وَإذا ارتديتِ من الليالي حلّةً سوداء تشبه حلةَ البطريكِ
فالنجمُ أزرارٌ وَثاقبُ شهبها نثرتْ عليك كدرهمٍ مسكوكِ
وَإذا الرياضُ تنفّسَتْ في سحرةٍ فغمت[3] رباكِ بعنبرٍ مسحوكِ[4]
يا حبذا الأطيارُ وَهي سواجعٌ فكأنها الشعراء إذْ وَصفوكِ
(الغوطتان)[5]=وَأنت مثل جزيرةٍ= بحرانِ يلتطمانِ في شاطيكِ
وَ(الغوطتان)=وَأنتِ بدرٌ ساطع= لكليلةٍ ظلماء ذات حلوكِ

* * *

كم من زكيٍّ دمٍ وَنفسٍ حرّةٍ فاضا لوصلكِ في حمى (اليرموك)[6]

---

(١) بردى نهر دمشق .
(٢) الشمس .
(٣) فغم الطيب فلاناً ملأ خياشيمه .
(٤) مسحوك مسحوق .
(٥) الغوطة الشرقية والغربية .
(٦) اليرموك واد قرب بلدة درعا جرت به وقعة حربية عظيمة بين جيش الإسلام وجيش الروم وانتصر بها الجيش الإسلامي .

(عمر) الذي وَطئتْ سنابكُ خيله (إيوانَ كسرى) قد ترجّلَ فيكِ
رفعتْ (أُميةُ) فيك أَعظمَ دولةٍ كانت قواعدَها سيوفُ بنيكِ
كم من شموسٍ ليس يغرب نورها من (عبد شمس) ضمَّها ناديكِ
تهوي قلوبهمُ اليكِ صبابةً لولا مشاعرُ (مكةٍ) حجّوكِ
لولا حمى (البيت الحرام) وَشطره عند الصلاةِ وجوههم وَلَّوكِ
لو لم يكونوا بعدُ في فجر الهدى وَرأَوا جمالكِ فتنةً عبدوكِ
وَسللت من موسى[1] حساماً فيصلاً ؟ قد كان مغمده طلى (لوذريك)[2] ؟
وَرمتْ (بصقر قريش) عنك نوىً وَإنْ حسنتْ عواقبها فما يسلوكِ
وَغدا (صلاح الدينِ) دونكِ باذلاً نفساً يُضَنُّ بمثلها ليقيكِ
وَظلتِ خالصةَ العروبةِ حينما أخذت بنوك بمحنة (التتريكِ)
وَتطهّرتْ أنسابُ من قطنوكِ من دعوى أخي (السريان) وَ(الفينيكي)

* * *

أَوَ ما عتبتِ عَلَى الزمانِ وَريبه أمسى بكل رزيةٍ يرميكِ
فرأيتِ من سعدِ الزمان وَنحسه عزَّ المليكِ وَذلةَ المملوكِ
وَجرتْ جوارٍ بالنحوسِ وَلم تكنْ إلاّ بأَسعدِ طالعٍ تأْتيكِ

---

(١) القائد موسى بن نصير .

(٢) ملك الإسبان الذي قتل حين الفتح الإسلامي .

إني أرى (بردى) تفيضُ عيونُه بدموعِها حزناً عَلى ماضيكِ
وَأرى هضابَكِ كالقبورِ غدا بها من كلِّ غصنٍ نادبٌ يرثيكِ
وَإذا الرياحُ تناوَحتْ ناحتْ عَلَى حرمٍ مباحٍ أو حمىً مهتوكِ
حقُّ الملاحة أنْ تصانَ وَما أرى أهليك هذا الحق قد وَفّوكِ
في (ميسلون) أسى يطول وَحسرةٌ عانيها ما كان بالمفكوكِ
لم أدرِ يومئذ أَمُنْتَدَبُوكِ أمْ أهلوكِ أم حكّامهم وَتروكِ
ما أنس لا أنس السماء وَقد غدتْ في شهر (آب) بوبلها تبكيكِ
وَبدا احمرارٌ في صفاء أديمها فكأنه شكوى الدم المسفوكِ
وَتزاوَرتْ شمسُ النهار عن الحمى فكأنها في الظهرِ ذات دلوكِ
قالوا أتركِ الذكرى وَلو طاوَعتهم ما كنتُ منها قطّ بالمتروكِ
أنا لست أعني بالسياسة إنما هي نفثةٌ من ذي جوى منهوكِ

* * *

في ٢١ رمضان ١٣٤٢ هـ .

الشعر [1]

إذا الشعرُ لم ينفثْ به ربُّه السحرا ... لعمرو القوافي الغر ما فَقِه الشعرا
فلم يبق بعد الوحي من نبإ السما ... إلى الأرضِ غيرُ الشعرِ معجزةً كبرى
عَلَى كلِّ نفسٍ تستقل .مله ... لقدْ نزل الروحُ الأَمين به بشرى
إذا لم يكنْ صوبَ العقول رواجحا ... فما هو إلاّ الهذر أو يشبه الهذرا
وَإن لم يكنْ وَحي النفوسِ طروبة ... فمضغك إياه كمن يمضغ الصخرا
أرى كلَّ ميزانٍ سوى الطبع في الفتى ... لما يزيد الشعر في وَزنه خسرا
فإن لم يكن صوغُ القوافي سجيةً ... فليس بمجدٍ أن تخوضَ لها البحرا

* * *

رأيت المعاني كالحمائم لم ترِدْ ... سوى سائغِ الألفاظ أو عذبها نهرا
وكالرودِ لم تعطِفْ عَلَى غير مُعربٍ ... وَلم تتخذْ غيرَ الفصيح لها خدرا
فيا ضيعة المعنى إذا اللفظُ خانه ... وَواهاً له حياً لقد سَكَنَ القبرا
أرى= وَحقيقٌ بالقبول الذي أرى= ... بشيئين أضحى الشعر قد فضل النثرا

---

(١) نظمت لتوضع مقدمة لديوان محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) .

بنسجٍ كنسجِ (البحتريِّ) وحكمة تضارعُ ماكان (المعري) به مغرى

* * *

أَتينا عَلَى حينٍ من الدهرِ لم نجدْ بفترته إلا البكيَّ أو النزرا

وأعمى لقد ضلَّ القوافي منيرةً ولم يرَ إلا كلَّ قافيةٍ عورا

ومتهماً بالشعرِ والنثر نفسه رعى منهما شوكاً ببادية قفرا

دعياً إلى الآدابِ وهي وَأَهلها إلى الله من دعوى سخافته تبرا

هوى كهويّ الفرخ هيض جناحُه وَقد رام أَن يحذو بتحليقه النَسْرا

وَأقعده عجز فأَصبح ساخطاً كأَنَّ له عند الأُولى سبقوا ثأْرا

فَخَطَّأَ من قد صوّب الفنُّ صنعه كأَرمد ذمَّ الشمسَ وانتقص البدرا

يصيحُ وَيدعو (للجديد) وحزبه وليس بدارٍ منه قلاً وَلا كثرا

أَأَنبذُ لحني كي أَدينَ بلحنه ؟ إذاً أَنا أَرضى بعد إيماني الكفرا

فداكَ أَب ما أَنجبت بك زوجه وَقد حملت في حملك الخزي والوِزرا

أَترفض شيئاً ما تذوّقت طعمَه وَتدعو لشيء لا تحيطُ به خبرا ؟

بهذا بدا فضل الموجوّد ماثلاً كذلك فضل الضدَّ من ضده يُدرى

* * *

هو الشعرُ ماأداه طبعُ (محمد) أدار عَلَى الأَلباب من سحره خمرا

مهلهل[1] نسج اللفظ ما فيه مغمز — متين عَرى[2] الإحكام مشدوده اسرا

إذا ما همى دمعاً عَلَى ذابلِ المنى — يعود به غُصْنُ الأَمانيِّ مخضرّا

فتى الشعر أعطته القياد فتاته — وَلم تنتحلْ في ردِّ طلبتِه عذرا

فَمِنْ كلِّ لفظٍ يصطفي آنساته — وَمن كل معنى رائعٍ يَضْرَعُ[3] البكرا

يشقق ألفاظَ البداةِ مطارفاً — إلى حَضَرِيَّات المعاني بما أَثْرى

دعا للتي من دونها السيفُ مصلتٌ — فأيقظ قوماً داء نومهمُ استشرى

سقى أملاً فيهم وَأورى حميةً — فللّه ما أروى وَللّه ما أورى

إذا لم ينبّه شاعرُ القومِ قومَه — فذاكَ بأن يشقى به قومه أحرى

أرى الشعرَ أنفاساً يصرّفها الفتى — فيطفي بها جمرا وَيذكي بها جمرا

وَينفخها روحاً بميّتِ أمةٍ — فتنسل من أجداث غفلتها تترى

* * *

في ٢١ المحرم ١٣٤٣ هـ
١٩٢٤ م

---

(١) رقيق .
(٢) الناحية الساحة .
(٣) يخضع ويذلل .

الفجر

ثكلتْ مقلتهُ طيبَ الكرى   هَلْ عَلَى الثاكلِ لومٌ في البكا
باتَ يدعو ساهر الجفنِ بيا   فالقَ الإصباحِ في ليلٍ دجا
كغريقٍ بات يدعو منقذاً   بعدما أدرك زنديه الونى
أوحشته ظلماتٌ بعضها   فوق بعضٍ حجبتْ نجمَ السما
تقبضُ الأبصارَ حتى لم يكدْ   رافعٌ إصْبعَهُ فيها يرى
وَكَأَنَّ الطلَّ لما عشيَ النـ   ـجم دمعٌ من مآقيه جرى
يا سكونَ الليل كم هيّجتَ من   لوعةٍ وَثابةٍ بين الحشا

* * *

وَأذانٍ رُفِعَ الصوتُ به   حسنِ الترجيعِ موصولِ الصدى
كان بُشرى مولد الفجر كما   كان تكبيراً عَلَى ميْتِ الدجى
فَكأَنَّ الفجرَ إذْ لاح شرا   عٌ بعُرْضٍ(1) البحر للرائي بدا
في انبلاجِ الفجر من صدعِ الدجى   زَهَقَ(2) الباطلُ وَالحقُ سما

---

(1) العرض من البحر أو النهر وسطه .

(2) اضمحل .

ما لعينِ النجمِ تغضي حينما يتجلى الفجرُ وَضّاحَ السنا
كفتاةٍ أثبتتْ في حبها نظراً حيناً وَغضَّته حيا
ملك النور مَحتْ آيتهُ آيةَ الليل وَإنْ كان طغى
نُشرتْ راياتُه حمراً عَلَى كلِّ أُفق إن تناءى أو دنا
كلما أعملتَ فيه نظراً زاد حسناً وَرواءً وَضيا
راعني في موكبٍ صوّره خالقُ الكونِ عَلَى لوح الفضا
السما وَالأرضُ ميدانٌ له واحمرارُ الأُفقِ منشور اللوا
نجمة الصبح عَلَى غرَّته وَعَلَى ساقتِهِ (1) شمس الضحى

* * *

في ٢٥ رمضان ١٣٤٣ هـ .

١٩٢٤ م

---

(١) الساقة الموكب . ومؤخر الجيش يقال فلان في ساقة الجيش .

صلاة الشاعر

هبَّ للذكر وَصفَّ القدما ثم وَلّى وَجهه شطر السما
باتَ في حيرتهِ مستسلمـــــا وَله دمعٌ عَلَى النحرِ يفيضْ
لا يغيضْ

طالما قلَّبَ وجهاً في السماء وَسوادُ الليلِ منشورُ اللواء
وَأجالَ الطرفَ في ذاكَ الفضاء حائرَ الخطوِ شمالاً وَيمينْ
ذا أنينْ

كلّما الليلُ تمطَّى وَاعتكرْ أدركَ الأسرارَ سِرّاً بعد سرْ
ليس بدعاً إنما نورُ البصر في سوادٍ وَكذا نور الفؤادْ
في سوادْ

* * *

إيـه ما أبلغَ هدآت الظلامِ ربما نابَ سكوتٌ عن كلامِ
وَلـكم أفصحَ صمتٌ عن مرامِ فاستمعْ لليلِ يدعو بالسكوتْ
للقنـوتْ

أيها النائمُ عن ليليَ قمْ ترَ أنَّ الليلَ كالبحرِ الخضمْ
وَسواري السحبِ موجٌ يلتطمْ قمْ وَشاهدْ مظهراً من ذي الجلال
في الليالي

فسوادُ الليلِ سرُّ الجبروتِ وَاضطرابُ النجمِ سرٌّ كالغيوبِ
فاستجرْ باللهِ رب الملكوتِ وَتدبرْ آيةَ الليلِ الرهيبْ
إذ يهيبْ

قرعةُ الناقوسِ مع صوتِ الأذانِ أَين من شجوهما صوتُ المثاني
فلقد واللهِ وَهْناً أَبكياني لَحَنَ الأَولُ وَالثاني جهرْ
أَللهُ أَكبرْ

طأطأَ الصفصافُ رأْسَ الخاضعِ رَفَعَ الكرمُ أَكفَّ الضارعِ
أَغمضَ النرجسُ عينَ الخاشعِ إذ تلا القمْريُّ وِرْدَ السحرِ
في الشجرِ

وفراخٍ عرزمتْ[1] إذْ سجعا كتقاةٍ أَمَّنت بعد الدعا
فاكشفِ اللّهم عنها الفزعا وَقِهـا يا ربُّ شرَّ الحابلِ
وَالنـابلِ

* * *

(١) عرزم تجمع وتقبض .

رَبِّ بابُ القولِ دوني مرتجُ أيَّ نهجٍ في صلاتي أنهج
فتقبلْ نفساً يختلجُ بأنينٍ بين صدري ولهاتي
في صلاتي

من ظلامِ الريبِ ريبُ الملحدينْ قد تنورت سنا الحقِ المبينْ
من لظى الشكِ إلى برد اليقين رحلةٌ نلتُ بها حلو المنى
بعد العنا

هبْ ليَ اللهم في كل أموري ثقةً بالنفس من غيرِ غرور
وتكفلْ صدقَ حدْسي وشعوري واجعلِ اللهم للحقِ جناني
وَلساني

أشعرِ اللهم نفسي أنْ تعفْ وَفؤادي بغرامي أنْ يرفّْ
وإذا ما ناءَ يوماً فوقفْ فلتكنْ نفسيَ مثلافاً لحبي
عند ربي

* * *

رحمةُ الرحمٰنِ للمستضعفِ فهو للأرزاء مثل الهدفِ
سامه الأقوى ولم يستعففِ غارة الليثِ وغدر الأطلسِ
في الغلس

أدمعُ العطفِ ولهفاتُ الحنانِ ودواعي الرفقِ في كل جنانِ

نِعَمٌ أكبرُ من شكرِ اللسانِ   رب أوزعني أنْ أشكرَ لكْ
نِعمكْ

* * *

كلُّ شيءٍ في السمٰوات العُلى   وَعَلَى الأَرض وما بينهما
– جلَّ أو دقَّ – وما تحت الثرى   شاهد لله باللطف الجلي
وَالخفي

كل ما في الكونِ من حسنِ الأثرْ   هو من قوةِ خلاّقِ البشرْ
قدرةُ الله لخيرٍ لا لِشر   واذا ما قدَّرَ المرء ظلمْ
وَاحتكمْ

* * *

هزَّه الشوقُ وهــاجَ الشجنا   مثلما هزَّتْ رياحٌ فننا(١)
فدعا من بعد سرٍّ علنا   ثم ناجى ربه عزَّ وجلّْ
وَابتهلْ

قال رب أرني أنظرْ إليكْ   حنّتِ النفسُ إلى الزلفى لديكْ
وهواها لم يزلْ وقفاً عليكْ   مذ تجلّيتَ عليها من علِ
في الأَزلِ

---

(١) الفنن الغصن .

فعلا من حضرةِ القدس النداءْ   في سكونِ الليلِ انْ حانَ الوفاءْ
حينما لاح له نورُ اللقاءْ   خشع الناظرُ والجلدُ اقشعرْ
ثم خرّْ

خرّ مغشياً عليه للجبينْ   مثل شِلْوِ الطير أصماه الكمينْ
صار والجسم سوى دمعٍ سخين   هادئاً إلاّ فؤاداً يضطربْ
وَيشبّْ

* * *

ربيع الثاني ١٣٤٤ ه .
١٩٢٤ م

*
* *

مواكب السماء

للشمسِ إذْ هَجَعَتْ أضغاثُ أحلامِ ... أما ترى الأُفقَ أمسى لوحَ رسّامِ
مالتْ إلى الغربِ تتلوها مشيعةً ... مواكبٌ ناشرات حمرَ أعلام
انظرْ إلى الأُفقِ الغربيِّ تَلْفَ به ... جنانَ عبقر فوقَ الأَخضرِ الطامي
خمائلٌ أنبَتَتْ من كلِّ زاهرةٍ ... يجودها النورُ مثل العارضِ[1] الهامي
نهرٌ من النورِ هاجتْ في جوانبه ... رياضُ وردٍ ومنثور ونمّام
تريك فوضى من الألوان مائجةً ... عَلَى قوارب من ضوءِ وإظلام
من أزرق قاتمٍ أو أخضر شرق ... أو أصفر فاقعٍ أو أحمر دامي
ظلالُها في حواشي الأُفقِ ناصلةٌ ... كما تراءتْ ظلالُ الراحِ من جام

* * *

ما ينقضي عجبي من منظرٍ عجب ... عَلَى خضمٍّ من الألوانِ عوّام
فالأُفقُ مثل ستارِ (السينماء) وما ... عليه من صورٍ أشباحُ (أفلام)
بحرٌ يمور[2] وبركانٌ يثور به ... لعارضٍ من شعاع الشمسِ سجّام

---

(١) السحاب المعترض في الأفق .
(٢) مارَ ماج واضطرب .

وصورة من نعيمِ الخلدِ بادية ... في الجوِّ ما بَيْنَ إيضاحٍ وإيهام

لله كم من تهاويلٍ ومن صور ... ثيابُها ذات ألوانٍ وأرقام

لا تستقرُّ عَلَى حال مظاهرُها ... تقمص الروحِ جسماً بعد أجسام

تخالها وهي في نقصٍ وتكملةٍ ... تعاوَرتها يدا بانٍ وهدّام

محلى ولكنّها حيرى تردد في ... كرٍّ وفرّ وَإقدام وَإحجام

ليست تجهّمُ إلاّ ريث تسفر عن ... طلق المحيّا ضحوك السن بسّام

* * *

فلم أزلْ شاخصاً حتى طغى بصري ... وزاغ ما بين إيماضٍ وإعتام

وَجّهتُ وَجهيَ شَطْرَ الشرقِ مرتعشاً ... فشمتُ زينةَ كسرى ليلةَ (الرام)[1]

الليلُ يزحفُ حَبْواً[2] في مشاعله ... كأنما هو جيشٌ من بني حام

كالبحرِ في مدّهِ ما منه معتصمٌ ... وَلا ينهنه عن زحفٍ وَإقدام

في كلِّ برجٍ فريقٌ من كواكبه ... وَكل قطر شهابٌ راصدٌ رام

حكى (النجاشيَّ)[3] مختالاً يسيرعَلَى ... بساط (كسرى)[4] إلى كرسيِّ (بهرام)[5]

---

(١) الرام : من أعياد الفرس .

(٢) يقال حبا الولد أي زحف على يديه وبطنه .

(٣) ملك الحبشة .

(٤) ملك الفرس .

(٥) ملك من بني ساسان .

وَللمجرَّةِ روضٌ ممرعٌ أبداً نجومُه زهراتٌ ذات أكمام

* * *

يا ساجيَ الليلِ كم هيَّجتَ لي شجناً وَكم بعثتَ خيالاتي وَأوهامي
بلغتَ بالصمتِ ما يعيا البيانُ به كم في سكونِكَ من وَحيٍ وَإلهام
أفدي سوادَكَ بالسوداءِ حين جلا عرائسَ الشعرِ مرحى ذات أنغام
لي بينهنَّ وَراءَ الليلِ ساحرةٌ لا يستفيق بها وَجدي وَتهيامي
ذهلتُ عما سواها فهي ماثلةٌ أنّى اتجهت أمامَ العينِ قدّامي
هوى لذيذ عَلَى ما فيه من ألمٍ والحبُّ مبعثُ لذاتٍ وَآلام
لولا مشاهدُ سحرٍ تستفزُّ لما مجّتْ دمَ القلبِ فوقَ الطرسِ أقلامي

* * *

في جمادى الآخرة ١٣٥٦ هـ
١٢ آب ١٩٣٧

بردى[1]

عاطيتني السحرَ أم صرفاً من الراح؟ | للسحرِ عيناك أم للسكرِ يا صاح
لو شئتِ أن يصحوَ المخمورُ جدتِ له | مما بخديكِ من وَردٍ وَتفاحِ
تشفي المراشفُ، والألحاظُ جارحةٌ | يا دينَ قلبيَ من آسٍ وَجرّاح
هَلِ المشيبُ وَإنْ شاعتْ طلائعُهُ | إذا التقينا لأحلام الصِبا ماح؟
دعِ العذولَ يمتْ من غيظه كمداً | ماذا يقول لحاه اللهُ من لاح
رثيتِ للطيف من عيني وَمنْ خلدي | يبيتُ ما بينَ خفّاق وَسفّاح
إنْ هاجتِ الريحُ أشواقي فلا عجبٌ | فالنارُ تورى بأنفاسٍ وَأرياح

* * *

يا يومَ بحبوحةِ الوادي عَلَى (بردى) | شفيتِ غلّةَ صادي القلبِ ملواح
نهرٌ عرائسُه من عبقر عزفتْ | له وَلاحتْ بأرواح وَأشباح
أهلَّ كالطفلِ وَضاء مخايلُه | دلّتْ عَلَى مائرِ[2] العطفين طَمّاح

---

(١) بردى هو نهر دمشق الشهير الذي ينبع من قرب قرية الزبداني التي تبعد عن دمشق مقدار خمسين كيلو متراً تقريباً وقد وصف نهر بردى قديماً وحديثاً شعراء كثيرون.

(٢) يقال مار الشيء تحرك كثيراً.

قامت حواضنُهُ من جانبيه عَلَى — أغرّ أزهر نضرِ الوجهِ نضّاح
يحبو وَينمو وما ينفكُ مطرداً — بغرّةٍ ذات لألاء وَأوضاح
حتى يصير إلى ملآن من صَلَفٍ — صعب القيادِ جهير الصوت رَحْراح[1]
شاكي السلاح من القصباء حيث جرى — يصول منها بأسيافٍ وَأرماح
ما ارتدَّ مذْ سار في سهلٍ وَلا جبل — كذاك يبلغ إن لمْ ينكصِ الناحي

* * *

يريك في جريه من مائه صوراً — تبدو عَلَى ثَبَجٍ[2] منه وَضحضاح[3]
ما بين منسربٍ أو مزبدٍ لجب — أو مستدير كظهرِ الترس منداح
إذا تموّج مختالاً بجريته — عجبتَ من قابضٍ كفاً وَمن راح
ما مرَّ في بقعةٍ إلاّ وَخاطبها — طوْراً بغمغمةٍ طوراً بإفصاح
في كل مرحلةٍ لحنٌ فمن هزجٍ — إلى هديرٍ إلى ترنيم نوّاح
يجدُّ في ضيقه حتى إذا انفرجتْ — ضفافُهُ سار رَهْواً[4] سيرَ ممراحِ
إن دغدغته الصَبا آبَتْ بعبْستِهِ — لكنّها عَبْسَةُ السكّيرِ للراح
وَإن تلاطم أوْ جاشتْ غواربُهُ — سمعتَ من موجه تصفيقَ مفراح
وَإن تململ في الوادي وَضاق به — سمعت همهمةً من صدرِ طلاّح[5]

* * *

(١) الوسع المنبسط .
(٢) الثبج من كل شيء وسطه .
(٣) الماء القريب القعر .
(٤) سار سيراً سهلاً .
(٥) متعب يقال طلع البعير إذا تعب .

سمحٌ فإنْ عارضته هوةٌ قُذُفٌ[1] أراكَ إقدامَ وَثّابٍ وَدلاّح
هَوٰى وَعَجَّ وَلَمْ يرفعْ ذلاذله من تيهه وَرمى عن قوس نضّاح
يرغو وَيزبد منهلاً بكوكبةٍ من نابلٍ إثرَ سيّافٍ وَرمّاح
رشاشُه وَهو مبثوثٌ هنا وَهنا مثل الفراش تهاوى حولَ مصباح
أَو سرب نحلٍ مثار من خليّته أَو وابلٍ في مهب الريح سحّاح
أَو عقد درٍّ وَهى من نحرِ غانيةٍ أَو منتحى أكرٍ يرمي بها الطاحي

* * *

إذا تَشَعّبَ في الوادي حسبتَ يَداً مُدَّتْ أَصابعُها من كفِّ مسماح
وَإنْ تغلغلَ في روضٍ كساه حلى فمنْ وشاحٍ إلى عِقْدٍ إلى داح[2]
يختالُ في موكبٍ جذلى بلابله يحكي بشاشةَ أعراسٍ وَأَفراح
وَكم تمطّى بأعطافٍ مرنّحةٍ في رفرفٍ كجنانِ الخلد فيّاح
تخاله ذيلَ طاووسٍ إذا لَمعتْ أزهارُه بين مخضرٍّ وَميّاح[3]
والشمسُ ترسل من خيطانها شَبَكاً عَلَى كرائم درٍّ منه لمّاح
تفنّنَ النورُ في تلوينِ بردتهِ صِبْغاً وَنفضاً بإمساء وَإصباح
إذا الأَصيلُ تراءى فوق زرقته فالفجرُ في الأُفق من خلف الدجى ضاح

---

(١) بعيدة يقال فلاة قذف أي تتقاذف بمن سلكها .
(٢) سوار .
(٣) متمايل .

أين المجرة من نهرٍ يشع سنا ... كم بين جهمٍ وطلق الوجه وَضّاح
ما نجمُها مثل نجم في جوانبه ... من كل لونٍ بديع النظم نفّاح

* * *

حيّته من عَذَباتِ[1] البانِ ألويةٌ ... وَمن هواتفِها ترجيعُ صدّاح
إذا ترنَّح غصْنٌ تحت ساجعةٍ ... لم تدرِ أيهما النشوانُ وَالصاحي
ترى الفراشَ عَلى أزهارِه مرحاً ... يعبُّ منها بأكوابٍ وَأقداح
فإنْ تهافتَ حول الزهرِ رفرفة ... حسبته شرراً من زند قدّاح
وَربَّ صفصافةٍ قد أطرقتْ خجلاً ... إذْ شمّرَ الحورُ عن ساقٍ كسبّاح
جمّ التلفّتِ ذو وَجهين يدفعه ... إذا تمايل زندُ التين بالراح
والزهرُ يلوي بأعناقٍ وَيبسِمُ عن ... درٍّ وَيرنو بعينِ ذاتِ تلماح
نشوان أنفاسُه نمّتْ عليه فمنْ ... زاكٍ وَمن عبقٍ بالسرّ بوّاح
يا أيها الشاربُ النشوانُ كم نفسٍ ... وَإن حرصتَ عَلى الكتمان فضّاح
تمر بالزيزفون الريحُ راويةً ... عن طيّبِ النشر والأنفاس فوّاح
والجلّنارُ إذا مالَ النسيمُ به ... نارٌ مؤججةٌ أو عُرْف[2] صيّاح
جناتُ عَدْنٍ بها من كل فاكهةٍ ... وَمن ثمار وَأعنابٍ وَأطلاح

* * *

(١) أغصان الشجرة والأطراف من كل شيء .
(٢) لحمة مستطيلة في أعلى رأس الديك .

بثَّ الحياةَ وَبثَّ الحسنَ حيث جرى وانساح بُورِكَ من جارٍ وَمنساح
هذي (دمشق) بما فيها هديّتُهُ أكرِمْ بهـا منحةً أكرم بمنّاح
في (الغوطتين) وَفيها منظرٌ عجبٌ بحرٌ تعوم عليه ذاتُ ألواح
يا من رأى نهَراً قدْ أنشأتْ يدُه بحراً يموج بأشجار وَأدواح

* * *

كم وَقفةٍ في ظلالِ الأيكِ من (بردى) وَبين أدغالِهِ والجزع والساح
كنا كزَوْجي حمامٍ ناعمين ضحى هذي تزقُّ وَذا مستطعم شاح
كلاهما طالبٌ بالدين صـاحبَه ملحاحة تقتضي من عند ملحاح
إذا تلاحم منقاراهمـا اختلجا وامتدَّ عنقانِ من عطشى وَملتاح
تبادلا الزقَّ معسولاً بريقِهِما وَمازجا بين أرواحٍ وَأرواح
لا يشبعانِ وَلا يُروى غليلهما والعذبُ يغري بإفراطٍ وَإلحاح
تحزُّ في كبدي الذكرى وَتوهجها وَربما فرَّجتْ همي وَأتراحي
وَتبعثُ الوجدَ حياً والتشوق في قلبٍ لعهدِ الصبا والحب مرتاح
قفْ موقفي بضفافِ النهرِ تلقَ به بحراً من الشعر مجاجاً لمتاح (١)
يا ناعماً بحماه أنت في ملإٍ ترى وَتسمعُ فيه الملهمَ الواحي

* * *

---

(١) يقال متح الدلو استخرجها .

قلْ للذي كَدَّرَ الصافي رُوَيْدكَ لا تبغِ الفسادَ به من بعد إصلاح
وردتَ أَعذبَ وردٍ من مشارعهِ فكفَّ عنه أذى باغٍ ومجتاح
لم ترع حرمةَ وادٍ بتَّ تقذفُه بكل خطبٍ يُشيب الطفلَ فدّاح
مرعى أنيق لأسرابِ الظباء فلا تجعله دمنةَ نمّار[1] وَنطّاح
وَلا تنفرَّنْ قيانَ الطيرِ ساجعةً عَلَى الغصون بخوّارٍ وَضبّاح[2]
وارفقْ بزغبٍ عَلَى الأعشاشِ جاثمة من كل أسود ذي نابين فحّاح
ولا ترعْ وادعَ الحملانِ راتعةً بظفرِ ذئبٍ وَلا سكين ذبّاح
فالمنزلُ الخصبُ ما لمْ ترع حوزتَه يؤولُ معشبُه يوماً لمنصاح[3]
يا معطيَ القفلِ أعيا من يعالجه ما نفعُ قفلٍ عصى من غير مفتاح
سفينةٌ عصفتْ هوجُ الرياحِ بها ليلاً فخفتُ عليها جورَ ملاّح
أرى الكنايةَ تشفي في مواطنها[4] والرمزُ أبلغُ من شرحٍ وَإيضاح
عليّ أن أرسلَ السهمَ المصيبَ وَما عليَّ إنْ لم يغبْ في جلد تمساح

٢٢ تموز ١٩٣٧ م

---

(١) صيّاح .
(٢) يقال ضبحت الخيل إذا أخرجت من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة .
(٣) الذابل ، اليابس .
(٤) كانت شطرة البيت قبلاً على النحو التالي :

أرى الكنانة تُشقى في مواطنها

غير أن الشاعر رحمه الله في سنة ١٩٤٦ صلح شطر البيت بيده كما أوردناه في الأعلى ولما سألته عن السبب قال أن سورية الآن سعيدة بإذن الله بعد جلاء الجيش الفرنسي عنها فلا ينبغي أن تثبت لفظة الشقاء والشقاوة .

غزل الحمام

« حمامتان »

ساجعٌ حَنَّ إلى ذاتِ جَناحِ　　والدُجى في الأُفْقِ كالسِتْرِ المُزاحِ
صَفَّقا بِشْراً وَطارا فرحاً　　بسنا الفجر وَريعان الصباحِ
لمعتْ في الشمسِ من طوقيهما　　دررٌ تزري بأطواقِ الملاح
لم تجِـدْ عينيَ أحلى غزَلا　　لا وَلا ألطف من ذاك المراح
ما بدتْ غنّى لهـا مغتبطاً　　فإنْ استخفتْ شجاها بالنواح
لو ترى منقـارَه يعبثُ في　　جيدِها طلقاً برفقٍ وَسراح
خلته ثغرَ محبٍّ دغدغتْ　　شفتـاه نحرَ غيداء رداح [1]
طالما طافَ بها يدعو وَكمْ　　ملَكَ السبلَ عليها والنواحي
يسحبُ الذَيْلَ وَيُرخي طرفاً　　من جناحيه مُدلاً كالوشاح
هادراً يخفقُ بالرأسِ كمَنْ　　يقرأُ الآيَ بتقوى وَصلاح
خلتُه لمّا ربا [2] حيزومُه [3]　　زامراً ينفخُ زِقّاً في سماح [4]

---

(١) المرأة الثقيلة الأوراك .
(٢) انتفخ .
(٣) ما اكتنف الحلقوم .
(٤) السماح نوع معروف من انواع الرقص .

مشرفٌ طوْراً وَطوراً مقمحٌ ... يتنزّى هـائجاً صعب الجماح
خافضٌ آناً جناحاً لترى ... أنه ألقى إليها بالسلاح
لم يزلْ يفتلُ حتى استسلمتْ ... فإذا زيّافةٌ[1] تمطو اشـاح
رفرفا والتحمـا واختلجا ... ربَّ رقصٍ كان في زيـيٍّ كفاح
كلّما قبّلهـا من فمها ... قبلةً أودعهـا تحت الجناح
ظامئٌ لا ترتوي غلتُّه ... لابَ كالهيمان من فرطِ التياح[2]
يتهـادى مستزيداً وَله ... حولهـا ضوضاء عربيد وَقاح
أتراه علَّ من ريقتها ... أم تراه عبَّ في خمرٍ صُراح
حينما همَّ وَهمَّتْ خضعتْ ... فحبا[3] ذا نَزَوانٍ[4] وَطماح
وَجناحاه عليهـا نشرا ... كِلّةً[5] تخفقُ في هوج الرياح
سَحَبتْ ذيلاً عَلَى ما خطّه ... برثنٌ فوق الثرى سحبةَ ماح
أترى عفّتْ عَلَى الآثار من ... حذر الكاشحِ أم خوف افتضاح
وَتلاهـا تابعاً لا ينتهي ... حيث طارتْ بغدوٍّ وَرواح

* * *

(١) الزيّاف المتبختر .
(٢) بمعنى العطش .
(٣) دنا .
(٤) السورة والحدة .
(٥) الكلّة الستر الرقيق .

هيّجا تذكارَ أيامِ الصِبا وَيْحَ قلبِ الصبِّ من نكءِ الجراح
ليس من ساغتْ له خمرُ اللمى مثل من يشرقُ بالماءِ القراح
لا أرُوعُ الطيرَ في أوكارها قد بلوتُ المرَّ من كيدِ اللواحي

* * *

في ٢٩ رمضان ١٩٥٨ هـ و
١١ تشرين الثاني ١٩٣٩

الذُعَرة[1]

يا حُسْنها طويئرهْ ... بروضةٍ منوَّرَهْ
أيامُها من الظِلا ... لِ كالليالي المقمرهْ
تعانقتْ غصونُها ... مياسةً مؤطَّرهْ
عَلَى ضفافِ جدولٍ ... مياهُهُ مثرثره[2]

* * *

تلوحُ ثم تختفي ... كغادةٍ مخدَّره
تزيَّنتْ كأنها ... لعرسِها مغندره
ببرنسٍ أدكن فو ... قَ حُلَّةٍ مزعفره
في جيدِها قلادةٌ ... من الفريدِ مزهره
وَصدرُها برقشَ[3] ... تَلَوَّنَتْ مغيَّره
تظنها أشعةً ... من الغمامِ مسفره

(١) الذعرة عصفورة صغيرة تهز ذنبها دائماً لا تراها أبداً إلا مذعورة .

(٢) يقال ثرّتِ العين إذا غزر ماؤها .

(٣) برقشه نقشه وزيّنه .

منقارُها وعينُها عقيقةٌ وجوهره
وكفُّها خضيبةٌ وساقُها مشمَّره

* * *

تَلَفَّتَتْ مريبة مذعورةً منفَّره
إلى علٍ وأسفلٍ ويمنةٍ وميسره
وأومضتْ بلمحَةٍ تألقتْ كالشرره
وانتفضتْ كأنما قدْ بلّلتها مطره
وذبذبتْ[1] بذيلها تضمّهُ لتنشره
وأنفضتْ برأسها كأنها مكفره
فتارة منقَّره وتارة مصعَّره
ورفرفتْ جناحَها كلهبةٍ مسعَره
أو شررٌ يثورُ في عاصفةٍ من مجمره
ومن هنا وههنا تدورُ دورَ البكره
فكرَّةٌ وفرّةٌ وعطفة وقهقره
حتى كأنَّ بعضَها له عَلَى بَعْضٍ تِرَه[2]

---

(١) تذبذب الشيء تحرك .

(٢) يقال وتره يترُه وَتْراً وتِرَةً أصابه بثأر أو حيف .

تسفُّ ثم ترتقي كريشةٍ محيَّره
إذا عَلَتْ ظننتها فراشةً مفرفرة[1]
وإنْ هوتْ تهافتتْ كنجمةٍ منكدره[2]

* * *

شحّتْ فما كبرعمٍ مغمضٍ من عبهره[3]
تفتحتْ ثنتانِ مِنْ أوراقِهِ مبكّره
واختلجتْ أوداجُها كأَنها مفرغره
ورجّمتْ بلحنِها معيدةً مكرّره
فبينما تمدُّهُ إذا بها مقصره
فمرة مصفره ومرة مصرصره
جناحُها مرفرفٌ كأَنه نِيلوفره[4]
فاعجبْ لها من قينْةٍ رقَّاصةٍ مزمَّره

* * *

إن لم يحطْ واصفُها بوصفِها فمعذره

---

(١) منتفضة متحركة يقال فرفر فلان الشيء إذا حرّكه ونفضه .
(٢) انكدر : هوى وانقض ويقال انكدرت النجوم إذا تناثرت .
(٣) العبهر : الياسمين .
(٤) ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة .

كَلَّ لسانٌ صارمٌ	عنها وعينٌ مُبْصِره

ونعتُها طريقةٌ	كما ترى مبتكره

عقابها لا ترتقي	ذلَّتُها ميسره

* * *

٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٩ م

وقال :

ما أحْسَنَ ابنَ أيكة	برونَقِ الضحى صَدَحْ

جنـاحُه سحابةٌ	وطوقُه قَوْسُ قُزَحْ

* * *

في ١٨ شوال ١٣٥٨ هـ

٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٩ م

الزنبق

حيتك باسمةً ثغورُ الزنبقِ   مُفْتَرَّةً عن طيّبٍ متألقِ
ضمّتْ براعمُها شِفاهَ مقبّلٍ   وحنتْ عليك حنوَّ صبٍّ شيّقِ
وكأنها في الماء خَوْدٌ(1) شمّرتْ   عن ساقِها عند الورودِ لتستقي
وكأنها استحيتْ فغضّتْ طرفَها   وتطأمنتْ خفَراً برأسٍ مطرق
نَهِلتْ(2) أفاويقَ(3) الندى زهراتُها   فتفتّحتْ كالشاربِ المتمطق
لم تقوَ صغراها على بَرْدِ الندى   أفما تراها ذاتَ ثغرٍ أزرق
وترى عناقيدَ البراعمِ تنضوي   متلازماتٍ في عناقٍ ضيّق
من طيّبِ الأنفاسِ والأردانِ ذي   جفْنٍ عَلَى حلمِ التعانقِ مطبق

* * *

عذراء تستهوي العيونَ بطلْعةٍ   وضّاءةٍ بيضاء كالعرْضِ النقي
تختالُ من زهوِ الصِبا في ميْعةٍ   ومن الشبابِ وحسنِه في ريّق

---

(1) الخود : المرأة الشابة .

(2) نهل : شرب .

(3) ما اجتمع من الماء في السحاب تقول مجّت السحابة أفاويقها .

فكأنها ببياضها وسنائها ... برزتْ إليك من الضحى في روْنق
وتسربلتْ بغلالةٍ وبرَيْطَةٍ (١) ... من سندسٍ خضرٍ ومن استبرق
خفّاقة الأقراطِ زهراء الحلى ... معقودة الاكليلِ فوقَ المفرق
ما أقبلتْ إلاّ بثغرٍ باسم ... وبعقلةٍ وَسنى ووجهٍ مشرق
وكأنها سكرى تمايَلَ عنقها ... ورنتْ بجفنٍ بالنعاسِ مرنّق
مرَّ النسيمُ عَلَى الندى بجفونها ... فترجرجتْ قطراتُه كالزئبق
إني ليشجيني الندى متعلقاً ... بجفونها كالمدمعِ المترقرق
تُغني بريّاها وطيبِ شميمِها ... عن بابليٍّ بالدّنانِ معتّق
أنفاسُها تُحيي النفوسَ وريحُها ... روحٌ تشيع بسائفٍ (٢) متنشّق

* * *

هيفاءُ إن رفّتْ أعاليها بَدَتْ ... في الحوْضِ شروى رايةٍ في زورق
ما شئت في زهراتِها من كوكبٍ ... متألق بشعاعِه متمنطق
كم زهرةٍ رفّتْ فخلت فراشةً ... بيضاء رفَّ جناحُها بترفق
أطباقُها مثل الأناملِ شُبّكتْ ... في كل كُمٍّ تلتقي في مأزق
أو كالجفون طويلةٌ أهدابُها ... من ناعسٍ ومغمّضٍ ومحدق

(١) كل ثوب لين .
(٢) سافه يسوفه سَوْفاً أي شمّه :

أَو لؤلؤ رطب تشظّى حولَه صدفٌ أَنافَ عَلَى بياضِ المُهْرَقِ[1]

* * *

إنَّ الذي خَلَقَ الأَزاهرَ خصَّها بقضيبها وبتاجِها والبيرق

الحورُ في جنات عَدْنٍ تجتلي والبيضُ تُجلى في خمائلِ (جِلّق)

* * *

في ١ ذي القعدة ١٣٥٨ هـ
و ١٢ كانون الأول ١٩٣٩ م

---

(١) ثوب حرير أبيض .

(٢) مدينة دمشق .

الغوطة [1]

كَمْ في أزاهيرِ الرياضِ لناظرٍ   من مقلةٍ وسنى وخدٍّ ناضرِ
ماسَتْ أماليدُ الغصونِ بوشيها   معطـارةً وازَّينتْ بجواهر
لله ما صنعتْ وما جاءتْ به   في «الغوطتين» [2] يَدُ الربيعِ الباكر
بَسَطَتْ وثيرَ قطيفةٍ فوق الثرى   خضراء فيها كلُّ لونٍ زاهر
من أحمر قانٍ وأصفر فاقعٍ   أو أزرق زاهٍ وأبيض سافر
وَكَسَتْ وَحلَّتْ سمحةً أشجارها   فَجَلَتْ عرائسها بوشيٍ فاخر
معقودةُ الاكليل زهراءُ الحلى   خفاقةُ الأقراط ذات أساور
أرختْ من الظلِّ الظليل غصونُها   طرراً وأذيالاً وفضلَ مآزر

* * *

حيَّا جنانَ «الغوطتين» وجادها   سمحُ القيادِ من السحابِ الماطر
حلمٌ من الإبداعِ فيها ماثلٌ   من دونه يعيا خيالُ الشاعر

---

(١) إحدى جنات الدنيا الأربع التي ذكرتها كتب الأدب ؛ وهي قرب مدينة دمشق .
(٢) الغوطة الشرقية والغوطة الغربية .

تتناثرُ الأزهارُ في أجوائها   مبثوثةً مثل الفراشِ الثائر
فتَنٌ يرنّحه النسيمُ كأنه   نشوانُ من نَفَسٍ بَرودٍ عاطر
عَرَقَتْ جباهُ الزهرِ من قطر الندى   ملتفة الأَعناقِ ذات تآطر
كالبكر يرشحُ للحياء جبينُها   عرقاً إذا ضُمَّتْ لصدرِ الهاصر (١)
وإذا الرياحُ تأوهتْ سقَطَ الندى   من كلّ زاهرةٍ كدمعٍ هامر
وترى الجميمَ (٢) إذا الرياحُ تناوحتْ   متموجاً مثل الغديرِ المائر (٣)
وشقائقُ النعمانِ في قيعانِها   تقطيعُ أكبادٍ وشقُّ مرائر
والشمسُ من خلل الغصون على الثرى   كدراهمٍ ألقتْ بها يَدُ ناثر
وترى الجداولَ كالوَذيلةِ (٤) رونقاً   من مستقيمٍ في المسيرِ وجائر (٥)
والأَيكُ في شطآنها كنعائمٍ   مَدَّتْ بأعناقٍ لها ومناقر

* * *

مرآة أحلامي ومرتع صبوتي   وهوى فؤادي بل ومتعة ناظري
في كلّ مغنى من فؤادي شعبةٌ   وبكل وادٍ هائمٌ من خاطري

---

(١) هصر الغصن عطفه وثناه :
(٢) الجميم ما غطى الأرض من النبات .
(٣) المائج المضطرب .
(٤) الوذيلة : المرآة .
(٥) الجائر : الحائد عن القصد .

وتكادُ أَخيلتي تطلُّ عليَّ في أرجائهـا من طائفٍ أو زائر
كم جولةٍ لي ثَمَّ جائرة الخطى بَيْنَ الخمائلِ كالفراشِ الحائر
يقتادني في كل شطرٍ جاذبٌ من منظرٍ نضرٍ وحسنٍ باهر
والزهرُ يلقاني بثغْرٍ باسمٍ وبوجنة حمرا وجفْنٍ فاتر
وأرى الغصونَ كأذرعٍ ممدودةٍ لتعانقٍ من بعد طولِ تهاجر
في كلِّ ربعٍ مونقٍ ليَ وقفةٌ هي وقفةُ المسحورِ عند الساحر
أمّا العهودُ وإن تقادم عهدُهـا فرتيمةُ [1] الناسي وهمُّ الذاكر

* * *

قمْ في مشارف «قاسيون» [2] وعجْ بها تشرفْ عَلَى صنعِ البديعِ القادر
دوْحٌ كساميةِ القبابِ حيالها من باسقاتِ الحورِ مثل منائر
و«دمشق» ما بين الرياضِ سفينةٌ عامتْ عَلَى عالي الغواربِ زاخر
لا تستبينُ العينُ في أثباجهِ مهما تقصّتْ أولاً من آخر
تبدو الجبالُ الشمُّ من متعممٍ شـابتْ مفارقُه وأصلع حاسر

* * *

تتجاوبُ الأطيارُ في أفنانِها من هاتفٍ أو ساجعٍ أو صافر

---

(١) الرتيمة : خيط يشد في الإصبع لتتذكر به الحاجة .
(٢) جبل مدينة دمشق .

يا ربَّ سوداء الملاءةِ شمّرتْ عن ساقِها ورنتْ بعينِ معاقر
مخضوبة الكفينِ تحكي قَيْنَةً[1] بَرَقَتْ بحمرِ مراشفٍ وأظافر
وثابةٌ ولهــــــا تلفّتُ خائفٍ مترقبٍ لميامنٍ ومياسر
تتراقصُ الأَغصانُ من تغريدِها ميادةً لتطــــــاولٍ وتقاصر
غَنَتْ بلحنٍ يستثيرُ لواعجاً ويهيجُ من طربٍ دفينَ ضمائر
ريّان من دمعٍ ويلهب لوعةً كحنينِ مشتاقٍ وزفرةِ زافر
والطيرُ لو أبْصَرْتَ أسعد عيشة يا ليت للإنسان عيشَ الطائر

* * *

في ٥ جمادى الآخرة ١٣٦٠ هـ
و ٢٩ حزيران ١٩٤١ م

---

(١) القَيْنَة : المغنية .

سرحة اللوى

وسرحةٍ باللوى وطفاء وارفةٍ أَرْخَتْ من الظلِّ أرداناً وأَذيالا
تحنو الغصونُ عَلَى مَنْ يستظلُّ بها كأُمهاتٍ إذا يرأَمْنَ أطفالا
غنّتْ عَلَى فَنَنٍ منها مطوقةٌ (١) إذا هوى راجحاً من تحتها شالا
سقْياً ورَعْياً لها من سَرْحةٍ كرمتْ ويا نعيم الذي في ظلّها قالا (٢)

* * *

في ١٤ جمادى الآخرة ١٣٦٠ هـ
و ٨ تموز ١٩٤١ م

---

(١) المطوقة : الحمامة .
(٢) قال : استراح .

البحر

عجبتُ للبحر يطغى ثم ينقبضُ وصدرُه أبداً يعلو وينخفضُ
إذا تجعّد وارتجّتْ طرائقُه تخاله مقشعرَّ الجلدِ ينتفضُ
تراه من نسماتِ الريحِ إنْ خطرَتْ ينأى بجانبه تيهاً ويمتعض

* * *

وموجةٍ تلو أخرى ظلَّ يرسلُها تحبو وتنزو وتكبو ثم تنتهض
تنداح أو تتلوى وهي جاريةٌ وتستقيم عَلَى سَمْتٍ(١) وتعترض
تلوثُ(٢) أذيالهَا طَوْراً وتسحبها طوراً عَلَى الرملِ إذ تهوي وترتكض
تريك وهي عَلَى الأعقاب ناكصةٌ مخالبَ الليثِ عن ملساء تندحضُ(٣)
شتى الهوى لم تنلْ من مسلكٍ غرضاً حتى يكونَ لها في غيرِه غرض
كرّاً وفرّاً ومثل النوط ذبذبةً بين التضاريسِ أو كالزقِ يمتخضُ

* * *

---

(١) السمت الطريق .

(٢) يقال لاث العمامة على رأسه إذا لفّها وعصبها .

(٣) تندحض تنزلق .

احذرْ من البحرِ لا تغررك هدأتُه ولو تماوتَ حتى ما به نَبَضُ
يرغو ويُزبِد هدّاراً ومصطخباً ويزبئرُ[1] وقد ينزو[2] وقد ينغض
ترى الجبالَ إذا جاشتْ غواربُه تسمو وتجري وتهوي وهي تنتقضُ
تقنّعَ الأفْقُ لما ثارَ من فَرَقٍ وظلَّ يرعد من ذعرٍ ويرتمض
والشمسُ خَلْفَ أهاضيب السحاب لها عينٌ عَلَى وَجَلٍ ترنو وتغتمض
تستصرخُ الريحَ إذْ ضلّتْ مدارجها فيه فيهدي خطاها البرقُ إذْ يمض
والأرضُ واجفةٌ مما تحاذره منه عَلَى مَضَضٍ ما مثله مضض

* * *

جاري السماءِ بأطرافٍ له رحبتْ لا النقصُ يدركها يوماً ولا الحَرَضُ[3]
فهل رأيتَ حمى كالبحرِ ذا سعةٍ لا يستباح وملكاً ليس ينقرض
لولاه ما نشأتْ سحْبٌ ولا هَطَلَتْ مزْنٌ فما منه حتى بالسما عوض
فالأرضُ لو كنت تدري والسماءُ معاً كلتاهما منه تستجدي وتقترض
ما بدّلتْ يَدُ إنسانٍ محاسنَه وَلا أقام عَلَى أثباجِهِ عرض
من لم تكنْ نفسُه بالبأس تمنعه فليس يعصمه حُصْنٌ وَلا ربض

* * *

١٦ أيار ١٩٤٣ م

---

(١) ازبأرّ الثوب أخرج درزه .
(٢) نزا وثب .
(٣) المرض .

الضحيّة

إذا أَصبح الجَزّارُ للسِربِ راعياً ... ففي كلِّ يومٍ منه شِلْوٌ ممزقُ
لحا اللهُ جزاراً يتلُّ[1] ضحيةً ... وَركبتُه عبءٌ عَلَى الصدرِ مطبقُ
ظلالُ الدمِ المسفوحِ تبدو بعينه ... وَمن دون نابَيْه السنانُ المذلّق
وَحمرةُ نعليه وَزنـاره وَما ... عَلى صدرِه عن خوْضِه الدمَ ينطِق
حنا فوْقَها كالذئبِ فوق فريسةٍ ... وَما كلُّ حانٍ لو تدبرتَ مشفق
وَفي فمه سكّينةٌ وَكلاهما ... إلى دمِها من شهوةٍ يتمطق
فشدَّ فماً منها بيسراه لاوياً ... إلى الأرضِ خدًّا فهوَ بالتربِ ملصق
تكاد—وَلم تذبح—من الضيقِ نفسُها ... وَمما تعانيه من الكرب تزْهَق
وَدرَّتْ عروقٌ حين شَدَّ خناقَها ... لها اللهُ قبل الذبح توشك تخنق
وَلم أرها تزدادُ إلاّ وَداعةً ... فما باله يزداد عنفاً وَيحنق؟

* * *

---

(١) تلَّه : ألقاه على تليله أي على عنقه وخده .

جَرَتْ مديةُ الجزّار بدأً وَعوْدَةً عَلَى نحرِهـا تفري وَتبري وَتهْرَقُ
وَقد بَرَقَتْ حمرُ المنايا وَزرقُها عَلَى مَنْهلٍ للموتِ كالمُهلِ[1] يوبق
عَلَى نحرِهـا لونٌ من الموتِ أحمر وَفي شفرةِ الجزّارِ آخرُ أزرق
ترى الموتَ ألوانًا تروع رهيبةً فتشخَصُ عيناهـا به وتحدّق
أطلَّ عليهـا وَهو أزرقُ لامعٌ وَسالَ عليها وَهو أحمرُ مشرق
تحاولُ إذْ ذاقته بصقَ لسانِهـا لو أنَّ لسانًا للمرارة يبصق
فعضّتْ عليه حين آلمها الردى لتقطَعَه من كرهِ ما تتذوق
تخَبّطُ من حرِّ السلاحِ بنحرِها وَبالريق والأنفاسِ والدم تشرق
تغطُّ عَلَى نَزْفِ الدماءِ وَنَضْحِها[2] وَيدركها بُهْرُ[3] الذبيحِ فتشهَقُ
إذا زَفَرَتْ درَّ النجيعُ كأنه لهيبٌ يطيل النفخُ منه ويدلق
تهمُّ بلفظِ النفسِ من حَرَجٍ بها وَقد عجزتْ عن ردّها حين تنشق
تَرَدَّدَ بين النحرِ والسَحْرِ[4] نفسُها كلا غايتيها الموتُ دامٍ وَضيّق

* * *

---

(١) المهل : القطران المشتعل أو ماذاب من الحديد .

(٢) النضح : الرش ، البل .

(٣) البُهْر انقطاع النفس من الاعياء .

(٤) السَحْر الرئة .

فرقَّ لها قلبي وَلانَ وَلم تزلْ دموعي عَلَى أَمثالِها تترقرق
وَكم من ضحايا تقشعرُّ لصرْعِها جلودٌ وَترتاعُ النفوسُ وَتفرق
وَأَفجعُ أنواعِ الأَضاحي ضحيةٌ يقدمُها للذئبِ راعٍ وَينعق

* * *

في ٣ ذي القعدة ١٣٦٣ هـ
و ١٩ تشرين الأول ١٩٤٤ م

الشمس

ما لها تشرقُ حمرا أتراهـا مُقْلةَ وَسنى أفاقتْ من كراها
فَتَحَ المشرقُ عنها جفنَ مَنْ بلغتْ منـه الحميّا منتهاها
أمْ تراها شعلةَ والسحبُ مِن فوقهـا مثل دخانٍ قَدْ علاها
عُصفرتْ دارتُهـا فاتقدتْ كشواظِ النارِ يستشري لظاها
وَنَضتْ أثوابَهـا الحمرَ عَلى جنباتِ الأُفْقِ واستبقتْ حلاها

* * *

فبدتْ عاريةً حـاليةً فإذا وَضاءةٌ يعشي سنـاها
ثبتَ اللهم إيمـاني فقدْ ظنّها يوماً أبو الرسل(١) إلهًا
أنْتَ عظّمتَ الضحى والشمسَ إذْ قلتَ (والشمس) يميناً (وَضحاها)
نظرةَ للشرق في رَأدِ الضحى تَلْفَ من رونقِهِ ما لا يضاهى
صوراً أبدعَ مَن صوّرها ما له أثبتهـا ثم محاها
زينةٌ في الأُفق من بهجتها وَصلتْ ما بين أرض وَسماها

---

(١) هو النبي ابراهيم (ع) .

مَسَحَ النورُ دموعَ الليلِ عَنْ وَجْنةِ الأزهارِ إذْ قبّلَ فاها
لجَّ في تقبيلهـــا مستهتراً فيه فاحمرّتْ خدوداً وَشفاها
كلُّ غصنٍ مرسلٌ من ظلّه ذَيْلَ مختالٍ عَلَى الأَقرانِ تاها

* * *

هي مرآةٌ عَلَى صفحتهـــا نورُ وَجهِ الله مذْ لاحَ جلاها
وَلهـــا في كل يوم رحلةٌ بين شرقِ الأَرضِ والغربِ مداها
لا تراها في مكانٍ واحدٍ وَمحالٌ أن ترى العينُ خطاها
وَإذا ما اعترضَ الغيمُ لهـــا نفذتْ داميةً منه ظباها
لم تزلْ وَهي التي شاهدهـــا آدم ، في عنفوانٍ من صباها
كلُّ شيءٍ باسمٌ إنْ سَفَرَتْ فإذا ما احتجبتْ خلف غطاها
عَبَسَ الجوُّ اكتئاباً وَأسى وَبدمعِ المزنِ من وَجدٍ بكاها
حليةٌ تزهو السمواتُ العلى بسناها فإذا الغربُ طواها
بَثَّتِ النجمَ عيوناً خَلْفَهـــا يتطلّعنَ إلى أينَ سراها

* * *

لَيتَ شعري وَهي تُجلى للورى كل يوم بحلاها وَضياها
هل ترى من قال فيها مثل ما قلته من سائراتٍ أو رواها ؟

* * *

تشرين الأول ١٩٤٤ م .

قاسيون [1]

عَلَى الزعازِعِ والأَهوالِ والبأْسِ لَوْ مادَتِ الأَرضُ يبقى الشامخُ الراسي
عاري المناكبِ إلاّ أنْ تظلله غمائمٌ فهو معتمٌ بها كاسي
نأى بأعطافِهِ من تيهه وَرَسا بأصلِهِ وَسما بالأَنفِ والراسِ
ضخمٌ تكاد تسدُّ الأُفقَ بسطتُه كالعارِضِ الجوْنِ إلاّ أنه جاسي
ترقى به الأَرض إذْ تدنو السماءُ له كما سما ناهضٌ [2] للمنحني العاسي [3]

* * *

جزيرةٌ من جوارِ «الغوطتين» عَلَى بحرٍ من الدوْحِ والأَمواه رجّاس
كأَنَّ ربَّكَ إذحاذى «دمشق» به قدْ مَثَّل الخلدَ والأَعرافَ للناس
يظلُّ يسحبُ كالطاوس من «بردى» ذَيْلاً تمثّر بينَ الوردِ والآس
ما زال ينهضُ بالأَعباء مرتفعاً والغيم من فوقه تصعيدُ أنْفاسِ
إذا اطلّتْ عليه الشمسُ أو غربتْ بَدَتْ أَساريرُ بسّامٍ وَعبّاس

---

(١) قاسيون : جبل مدينة دمشق .
(٢) الناهض : فرخ الطائر .
(٣) العاسي : الصلب الغليظ .

ترى النجومَ إذا لاحتْ فرائدُها كانتْ على رأسِه تاجاً من الماس
يحكي السماء إذا أنوارُه لمَعَتْ برجاً ببرجٍ وَنبراساً بنبراس

* * *

سورٌ منيعٌ وَقاه اللهُ رافعه في الدهر غفلةَ أجنادٍ وَحُرّاس
قد قارعَ الدهرَ لم يخشعْ لصولته وَجهاً لوجهٍ وَلم يركنْ إلى باسِ
فللزمانِ يدٌ عن نيله قصرتْ وَللحوادثِ طرفٌ دونه خاسي
قوافلُ الدهرِ صرعى في جوانبه ينبيكَ عنها بأجداثٍ وَأرماس [1]
في «الكهف [2]» و«الغار [3]» أصداءٌ مجلجلة للذاكرين بأسحار وَأغلاس
رأوا بدائعَ صنعِ اللهِ ماثلةً تجلى من الحسن خلاباً بأعراس
ترنّحوا وَتغنّوا في عبادتِه كما ترنّحَ عند النشوةِ الحاسي
« منارة الدمع » [4] سلْها عن ترنمهم أما ألانَ وَأبكى الجلْمَدَ القاسي

* * *

في ١٤ نيسان ١٩٤٩ م

(١) اشارة إلى المقابر في سفح قاسيون .
(٢ و ٣ و ٤) أمكنة مباركة معروفة في الجبل .

الروائحُ الطيبة

أما ترى تحيّةَ السحابِ　　أحيا نداها هامدَ الترابِ
فنفحتْ من الترابِ ريّا　　أفعل في النفسِ من الحميّا(١)
أذكى من العبيرِ والمَلابِ(٢)　　كأنها رَوائِحُ الأحبابِ
لي نفَسٌ ما سفتها عميقُ　　كأنـه لطوله شهيقُ
يا عجباً لطيب ريحِ الترْبِ　　إذا تندّى بدموعِ السُحْبِ
أكان من تحيّةِ الغمامِ　　طيّبة الى الترابِ الظامي
أمْ تلك أنفاسُ الثرى ذكيه　　تشكرُ لمّا رَدَّتِ التحيّه
أمْ كان من صنيع كلٍ منهما　　حُرُّ الثرى يُثني وَجادَ ابنُ السما

* * *

وَنفحةٍ في(دُمّرٍ)(٣)و(الربوه)(٤)　　فوّاحةٍ لها دبيبُ النشوه

---

(١) الحميا : الخمرة .　　(٢) الملاب طيب يشبه الزعفران .
(٣)و(٤) منتزهات يؤمها سكان دمشق للنزة .

دقّتْ عن الأوصافِ والأسماء   لكنّها رائحةُ (الفيحاء)[1]
روحٌ لمن يشمُّها وَريحانْ   خصّتْ بها دمشقُ دون البلدانْ
تضوّعتْ حيثُ المياه الواكفه   بين الظلالِ الضافياتِ الوارفه
طاب بها الترابُ والهواء   وَعبقتْ بطيبها الأرجاء

* * *

في ١٦ المحرم ١٣٧٠ هـ .
و ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٠ م

*
* *

(١) اسم لدمشق .

ولد الولد

يشغلني بحبــه (أحمدُ[1]) عَنْ كلِّ أحدْ
إذا تناغينـــا معاً لم تدرِ مَنْ منّا الولدْ
أَعيــدُ ما يقولُه وَإنْ أَقُلْ شيئاً يُعد
مصغّراً مرخّماً وَيكتفي وَيقتصد
وَإنْ رآني مقبلاً رَفْرَفَ زنديه وَمدّ
وَلم يزلْ مزقزقاً كأنه طيرٌ غرد
ضممتُهُ وَضمَّني حتى التقى فمٌ وَخد
فباسَني واحدةً فبستُه بلا عدد
يريد ما رأى وَما طالتْ يداه أَو وَجد
حتى إذا ما ناله استولى عليه واستبدّ
نظّارتي أو ساعتي يأخذهـا وَلا يرد
وَربما اغتــاظ إذا منعته شيئاً وَصدّ

---

(١) أحمد هو حفيد الشاعر ؛ والده السيد وائل قدري ووالدته مامة ابنة الشاعر .

بينا تراه وادعا إذا به ظبيٌ شرد
عوّذتهُ بالسورتيـــنِ وَقلْ هو اللهُ أَحد
أَحبّ أولادِك مَنْ أَنت له أَبٌ وَجد
أسبابُه أكثرُ في الـــقربى وَأعلى وَأَشد
أَعرقُهم بنوةً أَعلقُهم بالقلب يد
ليس أَحبّ من وَلدْ للأَبِ إلاّ ابن الولد

* * *

بغداد في ٢٧ نيسان ١٩٥٢ م

صور هزلية

أحفى شواربَه وَلحيتَه معاً		أرأيتَ رأسَ التيسِ ساعةَ يسمطُ
وَمشى العِرَضْنَةَ[1] حاسراً عن رأسه		فكأنه إذْ ذاك قردٌ أشمط
وَيشير إذْ يهذي بعشرِ أَصابع		وَيدورُ مثل أبي الرياح وَيلبط
وَكلامُه متقطعٌ بسعـــاله		كالعير يبهرُ في النهيقِ فيعفِط[2]
فكأنَّه بضجيجه وَعجيجه		ذو جِنَّةٍ بقيودِهِ يتخبط

* * *

لم يحكه بالقبح إلاّ كالحٌ		سمِجُ الجبلَّةِ[3] بالنذالةِ مفرط
قد جفَّ من ماء الكرامةِ وَجهُه		لكنه قحةً وَلؤماً ينقط
جهمٌ كظلِّ الصخرِ من يره يقلْ		هو وَجهُ ميْتٍ في السُخام[4] محنّط
فإذا تمعَّر أو تكشَّرَ ضاحكاً		فكأنه من وَجهه يتغوط
وَإذا تنحنح في الكلامِ حسبته		ثوراً يخورُ على العليقِ وَينحط[5]

* * *

بغداد في ٢٩ حزيران ١٩٥٢

---

(١) البغي في المشي من النشاط .
(٢) عفط حبق .
(٣) الجبلة الخلقة والطبيعة .
(٤) سواد القدر .
(٥) نحط زفر وصات من الأعياء .

ليالي بغداد

لياليكِ يا بغدادُ في الحسنِ كالفجرِ معطّرة الأنفاسِ طيّبة النشْرِ
وَللنور والسحرِ المبينِ سوادُها كذاك سوادُ العينِ للنورِ والسحرِ
وَما روعةُ الإشراقِ أو رونقُ الضحى بأحسن مِنْ لألآءِ أنجمِها الزُهر
ففي كلِّ شطرٍ من صفاءِ سمائِها يلاقيك وَجهٌ بالطلاقة والبشر
وَما القبةُ الزرقاء لولا نجومُها وَلولا ازدهارٌ للهلالِ وَللبدر

* * *

إذا الريحُ مرّتْ فوق (دجلة) رفرفتْ بأجنحةٍ فيها الزوارقُ إذْ تجري
وَباتَ شعاعُ النورِ في الماء شعلةً تشبُّ بأحشاء المياه وَتستشري[1]
وَربَّ فتى أمسى عَلَى الشطِّ منشداً «عيون المها بَيْن الرُصافةِ والجسر[2]»
فأوردني ما قَدْ تحاميتُ وِردَه زماناً وَهاجَ الوجدَ والشعرَ في صدري
فيا ليلةً من دونها «ألفُ ليلةٍ[3]» سأذكرُها بالخيرِ ما مُدّ في عمري
شهدتُ بها ما يملأُ النفسَ بهجةً وَيقضي على العينين والقلبِ بالأمر

---

(١) استشرى تفاقم وعظم .
(٢) شطر هذا البيت مطلع لقصيدة الشاعر علي بن الجهم المسماة بالرصافية .
(٣) ألف ليلة : رواية ألف ليلة وليلة المعروفة .

كأنَّ الحسانَ الغيدَ يخطرنَ بيننا ... ملائكةُ الرحمٰن في ليلةِ القدر
فكمْ غادةٍ تصبي الحليمَ بسحرِها ... تضيءُ ظلامَ الليلِ كالكوكبِ الدري
تَفَتَّحَ أعلى الثوبِ عن غضٍّ جسمِها ... كما انشقَّ كمُّ الزهرِ عن ناضرِ الزهر
تَقَلَّصَ عن صدرٍ وَظهرٍ سوادُهُ ... كما انشقَّ ليلٌ عن عمودٍ من الفجر
تشبَّثَ لما زلَّ أعلاه عنهما ... بناهدِ ثدييها وَدارَ عَلَى الخصر
تموّج دون الكشحِ وانداحَ ذيلُهُ ... فكانتْ كمن يطفو عَلَى لججٍ خضرِ
يزيد بريقاً عقدُها فوق نحرِها ... فنورٌ عَلَى نورٍ حُلاها عَلَى النحر
إذا رطَنَتْ[1] كانت لكسرى وَقيصر ... وَإن أعربتْ فهي الصريحةُ من فهر
أرى سهري فيها ألذَّ من الكرى ... بعيني طليحٍ[2] من سهادٍ وَمن سكر

* * *

وَما أنسَ من شيءٍ فلا أنس ليلةً ... تبسّم فيها الأُفقُ عن بارقٍ يسري
بدا من أهاضيبِ السحابِ كأنه ... خوافقُ راياتٍ عَلَى عسكرٍ مجر[3]
تألّق في الأفق الشآميِّ موهناً ... يضيءُ وَيخبو كالمشيرِ إلى أمر
فحيّا قباباً في العراقِ منيفةً ... وأيقظَ من نومٍ (أبا الهولِ) في مصر
رجوتُ لبغداد رجاءَ المحبِ أنْ ... تعود لياليها بأيّامها الغرّ

* * *

بغداد في شباط ١٩٥٣ م

---

(١) رطن تكلم بالأعجمية .
(٢) طليح : مجهد ، متعب .
(٣) العسكر المجر الجيش العظيم .

روعة الجمال

وَخميلةٍ نسجَ الربيعُ بُرودَها بَرَّاقةً من شمسِه وَغمامِهِ
يزكو بأنفاسِ الأزاهرِ نشرُها يا طيبَ أنفاسِ الرحيقِ بجامِهِ
وَيموجُ مِنْ مَرِّ النسيمِ جبينُها كالماءِ تجري الريحُ فوقَ جمامِه
والزهرُ بينَ مفتّحٍ وَمغمّضٍ أحسنْ به في صحوِه وَمنامه
نفَضَ الربيعُ عليه من ألوانِهِ فكأنه إذ رفَّ من أعلامه
والطيرُ يشدو والفراشُ مرفرفٌ مَرَحاً وَتلعاباً عَلَى أنغامه
والشمسُ من خَلْفِ الغمامِ كليلةٌ لكنّها كالبدرِ عند تمامه
والغربُ بالأشباحِ يزخرُ أفقُهُ فكأنها الأضغاثُ من أحلامه
حتى طلعتِ فكنتِ أحسنَ طلعةٍ من باسمِ النوارِ في أكمامه
فشغلتِني عن كل ما أحببْتُ مِنْ صورِ الربيعِ وَطيبِهِ وَكلامه
وَقدحتِ زندَ الشعرِ بي فقبستُ مِنْ عينيكِ سحرَ بيانِهِ وَنظامه
والشعرُ يستهوي النُهى إن كان في وَصفِ الجمالِ وَكان من إلهامه

* * *

في ٢٣ آذار ١٩٥٦ م

يوم من أيام الربيع

قد صَفَتْ لنا الحقبُ　　واحتمى بنا الطَرَبُ
فالرياضُ بـــاسمةٌ　　إنَّ ثوبَهـــا قُشب[1]
وَالسماء باكيةٌ　　إنَّ دمعَها سرب
ترتدي الحدادَ وَإنَّ　　رداءهـــا السحب
إنَّ رعدَهـا كثكا　　لى[2] تصيحُ تنتحب
إنَّ برقَها وَمضٌ　　كالسعيرِ يلتهب
فانبرى له بطلٌ　　نبلُ قوسِهِ ذهب
الفضـــا مطيَّتُهُ　　ثابت وَقد يثب

* * *

سنة ١٣٣١ هـ
١٩١٣ م

---

(١) قُشب جمع قشيب وهو الجديد .
(٢) جمع ثكلى وهي التي فقدت ولدها .

الربوة والمزة *

حيِّ الشآمَ وَربعَها ذات اليناببعِ والنهورِ
فالربوةُ الغناء ما أحلى بها سجع الطيورِ
ذات الوهادِ مع النجادِ مع المياهِ مع الزهور
أشجارُها كعرائسٍ متضمِّخاتٍ[1] بالعبير
وَبدوحِهِا تشدو الحما ئمُ بالعشيِّ وَبالبكور
والريحُ تنسج مغفراً فوق الغديرِ المستدير
والماء مثلُ أراقمٍ[2] ينسابُ من عالي الصخور
والوُرْقُ[3] في ترجيعها (داود)[4] يقرأُ بالزبور
يحنوبها ذات الجبا ل الشمِّ والسهل الكبير

* الربوة منتزه معروف خارج مدينة دمشق يبعد مقدار أربعة كيلومترات يؤمه الدماشقة أيام الصيف للنزهة . والمزة قرية تبعد عن دمشق مقدار أربعة كيلو مترات تقريباً وهي مشهورة بطيب هوائها وجودة ثمرها .

(١) ضمَّخ جسمه بالطيب دهنه به . (٣) الورق جمع ورقاء وهي الحمامة .
(٢) الأراقم : الحيَّات . (٤) هو النبي داود (ع) .

(المزّةُ)[1] العليـاءُ ذا   ت الظلِّ والدوحِ النضير
فإذا نظرتَ جمالَهـا   ترتدُّ ذا طرف حسير
ما بينَ دور باذخا   ت[2] (كالخورنق) (والسدير)[3]
وجنـائن جلّتْ عنِ التشبيهِ   حسناً والنظير
قد تهتُ في أرجائهـا   ما بينَ وِلْدانٍ وَحور
من كلِّ أحوى[4] إن تمشـىٰ   كان كالبدر المنير
وَمليحـة إمّا بدتْ   كالنجمِ في ليـل الشعور
هٰـذي تميسُ وَذاكَ ير   فل بالدِّمقس وَبالحرير
والشِعْرُ من فَرْطِ الجوى   قد جاش منّـا في الصدور
فنظمتها عصمـاء   مثـلَ الدرِّ ينظم في النحور
زفّتْ إليك كغـادةٍ   هيفاء آنسة فتور
من شاعرٍ أنا هُوْ عزيـز النفس   مطبوعٍ قدير

* * *

١٣٣١ ﻫ

١٩١٣ م

---

(١) هي قرية المزة وهي مشهورة بطيب هوائها

(٢) باذخ مرتفع .

(٣) الخورنق والسدير قصران عظيمان في الحيرة للملك النعمان الأكبر .

(٤) أحوى من به لون الحُوَّة والحوة سمرة الشفة .

ليلة عرس

أما ينفكُ قلبك مستطارا ... إذا ما البرقُ أوْمَضَ واستطارا (1)
أنارَ حواشيَ الظلماء وهْناً ... وأذكى في الجوانِح منك نارا
سرى في ليلةٍ كرمتْ وَطابتْ ... فحال سوادها الداجي نهارا
أقمْتُ بها وَصحبي دارَ (سعد) ... فأحمدناهما سعداً وَدارا
لقد رفعوا سرادقها سماءً ... به الأضواءُ تزدهرُ ازدهارا
وَكانتْ مَألَفَ الآرام (2) حتى ... لقد أنستْ فما تُبدي نفارا
وَأحسن مشهدٍ شَهِدَتْهُ عيني ... فما ينفكُّ يحدثُ لي ادكارا
مهاداة العروسِ عَلَى حياءٍ ... يخطُّ بصفحةِ الخدِّ احمرارا
وَزند خطيبِها علقتْ بزندٍ ... لها فتمثلا غصنيْنِ سارا
تحفُّهما شموعٌ موقدات ... فأحسب ما أرى فلَكاً مدارا
دنتْ وَدنا إلى قسٍ مهيبٍ ... لقد تخذ الصليبَ له شعارا

---

(1) استطار الفجر انتشر ضوءه .
(2) الآرام : الغزلان .

وَقفنا منصتين لما تلاه … من الإنجيل سرّاً أو جهارا
وَأحكمَ عقدةَ التزويج وفقاً … لما كان المسيحُ به أشارا
وَأمّنا عَلَى ما قال لمّا … سمعنا بالدعاء له جؤارا[1]
وَمذْ تمَّ الزواجُ مضى حميداً … فودعنا المهابةَ والوقارا
وَأرسلنا النفوسَ عَلَى هواها … بما تقضي مروءتها تبارى
وَظلنا نحتسي الأكوابَ ملأى … نبيذاً أو عصيراً أو عقارا
وَمن شجوِ الغناء بكلِّ فنٍ … كثيرٌ مَنْ به خَلَعَ المذارا
تدَثَّرَتِ الوجوهُ وَبان ميل … بأعطافِ الحضورِ فهمْ حيارى

* * *

وَممشوق القوام دنا لخوْدٍ … تفوقُ بحسنِ طلعتِها العذارى
تأوّدَ[2] قدُّها وَحنا عليها … كدميةِ[3] مرمرٍ حملت إطارا
فخاصرها بيمناه وَألقتْ … عَلَى مخفوضِ عاتقه اليسارا
وَقد علقتْ بيمناها شمالٌ … فلست ترى بربطهما انفطارا
فظلاّ يرقصان عَلَى المثاني … ضروباً لا وَربِّك لا تجارى
كأنَّ مواطىءِ الأقدامِ نارٌ … بقلبي فهي لا تُلفي قرارا

---

(١) جأر : رفع صوته .
(٢) أوّده : عطفه وحناه .
(٣) الدمية التمثال .

فطوراً ينهبانِ الأرضَ نهباً   كرِئمٍ[1] نافرٍ يطوي القفارا
وَطوراً يقصرانِ الخطوَ عَمْداً   كفَرْخٍ ساقط يطأ الخَبارا[2]
إذا يعطو لها بالجيد دلّتْ   فتعطف تارةً وَتصدُّ تارا
وَلا تسأَلْ عن الشعراء حولي   فقد جاش القريضُ بهم وَثارا
نفوسٌ هزّها طربٌ فجادَتْ   بما يدع الصحاة وَهم سكارى
فيالكِ ليلةً فيها تجلّى   إخاء المسلمين إلى النصارى

* * *

في ٢١ ربيع الآخر ١٣٤٠ هـ

قيلت في عرس أخينا في الرابطة الأدبية ؛ ميشيل سعد
ونُشرت على الجزء السادس من المجلد الأول من مجلة الرابطة الأدبية .

---

(١) الرئم : الظبي الخالص البياض .
(٢) الخَبار : ما لان من الأرض واسترخى .

واهاً لأيامِ الشبابِ [1]

واهاً لأيامِ الشبابِ الغضِّ [2] ما كان أهنأ العيشَ لو لم تمضِ
نعمتُ في ظلالِها زماناً نشوانَ منْ سكرِ الصبا ريّانا
أرودُ مازها من الرياضِ وأردُ العذبَ من الحياضِ [3]

* * *

وربَّ شقراءَ حكتْ شمسَ الضحى تختالُ في بردِ [4] الشباب مرحا
بيضاءَ مثلُ الدرّةِ الفريدهْ أنفاسُها طيبةٌ بروده
هيفاءَ لفّاءَ [5] نحيلٌ خصرُها ناعمة المتنينِ غضٌّ ظهرُها
ممشوقةٌ ليّنةُ الأعطافِ ميادةٌ [6] مرتجّةُ الأردافِ

* * *

---

(١) هذه القصيدة هي آخر ما نظم الفقيد وقد آثرنا أن نضمها في باب الوصف لما يطالع بها القارىء من الوصف البارع .

(٢) الغضّ : الطري الناعم .

(٣) الحياض جمع حوض وهو مجتمع الماء .

(٤) برد ثوب .

(٥) لفّاء ملتفة .

(٦) ميادة كثيرة التمايل .

جبهتُها وضاءة كالبدرِ إذا بدا لأربعٍ وعشرِ

وَشعرُها كالذهبِ الوهّاجِ وَجيدُها وَصدرُها كالعاجِ

عينانِ خضراوانِ كالزبرجدِ تأتلقانِ كائتلاق الفرقدِ

لا تفترانِ تغزلانِ السِحْرا حبائلاً تكثرُ فيها الأَسرى

والهدبُ فينانٌ مريعٌ أوطفُ[1] وَفوقه مزججٌ[2] وَمرهفُ

وَخدهـا موردٌ أسيلُ وَلحظُهـا مهندٌ صقيلُ

أما الثنايا فلهـا بريقُ من مبسم كأنه عقيقُ

كالدرِّ لمّاحاً[3] إذا الدرُّ اتّسقْ أوكائتلاقِ البرقِ من خلفِ الشفقْ

أنفاسُها يصحو بها المخمورُ كما يفوحُ الزَهَرُ المطورُ

كأنَّ بينَ سحرها والنحرِ لجةَ ماء أو بياضَ زهرِ

يسطع من ثمةِ طيب ريّا أفعل في النفس من الحميّا[4]

كأَنَّ صدرها فدته نفسي لجةَ ماء في شعاعِ الشمسِ

نهدانِ بارزانِ للتصدي دأبهما الإغراء والتحدي

رأيتُ منهـا معصماً وَزندا يقتدحانِ للغرامِ زندا

* * *

(١) أوطف مخصب كثير الخير .
(٢) مزجج : ذو أرماح .
(٣) لماح أبيض يقق .
(٤) الحميّا : الخمرة .

لما أخذتُ كفَّها بكفي رفَّ لها الفؤادُ أيّ رفّ
لم يبق عرقٌ ساكن إلاّ نبضْ وَلا دفينٌ مِنْ مُنى إلاّ انتفضْ
تكلّمتْ بسحرها العيونُ ما أبلغَ العيونَ إذْ تبينُ
أحسنُ كفٍ راحة وَخمسا تخالُ من نعومة دمقسا[1]
أحسُّ في كفّي منها بردا وَفي فؤادي وَضلوعي وَقدا
هممتُ أنْ أضمّها لصدري فخفتُ أن أرمي بها في الجمرِ
حتى إذا ما نديَ الكفّانِ واشتبكَ البنانُ بالبنانِ
وَعلّتِ[2] الأنفاسُ والتراقي وَدرّتِ العروقُ والمآقي
وَقد تلظّى خفراً خدّاها وارتجّ فوق صدرها نهداها
تنفستْ كالرشإ[3] المبهورِ[4] وارتعشتْ كرعشةِ المقرورِ[5]
وَكان سلٌّ كفّها من كفّي كخطفِ كأسِ الشاربِ المشتفِّ

* * *

في ١٩٥٨ م

---

(١) الدمقس : الحرير .
(٢) يقال علّ فلاناً إذا سقاه ثانية أو تباعاً .
(٣) الرشأ ولد الظبية .
(٤) المبهور الذي انقطع نفسه من السعي الشديد .
(٥) المقرور الذي يرتجف من شدة البرد .

الوطنيّات

البرلمان

البرلمان : وَهلْ أتاكَ حديثُهُ   وَحديثُ من فيه مِنَ النُوّامِ
نُقلوا إليه ناكسينَ رؤوسَهمْ   نَقْلَ الجبانِ لساحةِ (الإعدام)
مَلَكَ الحياء عليهمُ أبصارَهمْ   فعيونُهمْ بمواطىء الأقـدام
وَإذا رموا (عن غيرِ قصْدٍ) نظرةً   نظروا بعينِ الأَحولِ المتعامي
حسِبوا العساكرَ يهزؤنَ وَقدْ أتوا   بدلائلِ التبجيلِ والإعظـام
حقَروا نفوسَهمُ فلم تُرفعْ لهم   أيد لردِّ تحيةٍ وَسـلام
حتى إذا أخذوا مجالسَهمْ به   ضاقَ المكانُ ببسْطةِ الأَجسام
عكَفتْ زواياه عَلَى أصنامِهمْ   من لي بإبراهيم (١) للأَصنام . . .

* * *

في ٤ ربيع الثاني ١٣٤٢ هـ

---

(١) هو النبي ابراهيم (ع) وفي البيت اشارة إلى قصة تحطيمه الأصنام .

ذكرى الشهداء

لا هُمَّ دمعيَ منْ طولِ البكا نفِدا ... فهبْ لعينيَّ ما أبكي به الشهدا
وَما الدموعُ وإنْ جادتْ بمنجدةٍ ... فاجعلْ لها من دمي أو مهجتي مددا
لؤمٌ بمنْ لا يريق الدمعَ تكرمةً ... لمن أريقتْ دماهم للبلادِ فدا
في مثلِ ذا اليومِ في هذا المكانِ عَلى ... هذي الجذوعِ علتْ أرواحُهم صعدا
طارتْ إلى الملإِ الأعلى لتدركَ ما ... قدفاتها نيلُه إذْ تسكنُ الجسدا
لصوتِها في حفافِ العرشِ هينمةٌ[1] ... هل تسمعون ؟ ففي أذنيَّ منه صدى
صدى دعاءٍ عريضٍ؛ ذي حكايتُه : ... العرب، والعرب، واستقلالهم، أبدا
وَهل ندافعُ عن حقٍ هريقَ له ... سيلٌ من الدمِ حتى الآن ما ركدا
دمٌ بذلناه في تحريرِ أمّتنا ... لايذهبُ الدمُ في شرعِ الإلهِ سدى
هلْ تذكرون؟ وَما بالعهدِ من قدمٍ ... يوماً أراكم ضُحاه طالعاً نكدا
يوماً تجددُ ذكراه أسىً وَجوىً ... وَتقرحُ القلبَ والعينين والكبدا
عَلَى الوجوهِ علاماتُ الأسى ارتسمتْ ... وَفي القلوبِ سعيرُ البثِّ[2] قدْ وَقدا

---

(١) الهينمة الصوت الخفي .

(٢) البث شدة الحزن .

تری الـكآبةَ ممدوداً سرادقُها[1] وَغيمُها بسماء (الشام) منعقدا
في(الغوطتين)إذامانسمةٌ خطرتْ أنَّتْ كما أنَّ محزونٌ إذا جُهدا
كأنما الدوْحُ[2] إنْ مال النسيمُ به ثواكلٌ نَثَرَتْ أشمارَها كمدا
كأنما الطلُّ والأوراقُ ترسله دمعٌ تحدَّرَ من آماقِها بددا
ناحتْعَلَى(بردى)الأطيارُ فانفجرتْ بعدالنضوبِ عيونُ الدمع من(بردى)
كأنَّ تهدارَه في كل منحدرٍ نشيجُ باكٍ يعاني الهمَّ محتشدا
فلو تراهم عَلَى الأعوادِ ماثلةً أجسامُهم لفقدت الصبرَ والجلدا
تواجه الشمسُ منهمْ أوجهاً نضرتْ كالماسِ في الشمسِ لألاءً إذا اتقدا
كأنَّ إطراقَهم في طولِ صمتِهمُ كمن يراجعُ معنىً رائعاً شردا
كأنَّ إغضاءهم إغضاء ذي كرمٍ عن الإساءةِ خلقاً طاهراً وهدى
ومشرئبين[3] بالأعناق تحسبهم وِرْداً[4] من الهيمِ[5] نحو الماء قد وردا
تهفو رقابُهُمْ نحو السماء كمَنْ له بها حاجة إدراكها بعدا

* * *

(١) السُرادق الفسطاط الذي يُمد فوق صحن البيت : الغبار الساطع .

(٢) الدوح جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة .

(٣) اشرأب مال .

(٤) الورد القطيع .

(٥) الهيم : جمع أهيم يقال ناقة هيماء أي عطشى .

إنْ كنتَ تعجب فاعجبْ لابنِ آدم ما | أشدَّ بغياً وَظلماً منذ ما وجدا
بنيةُ اللهِ قد مدتْ لهـا يده | بالهدمِ شلّتْ وتبّتْ ما أعقّ يدا
وقاتلُ النفسِ لو صحّتْ عدالته | كمن يداوي بفقء المقلةِ الرمدا
وليس يملكُ فكّ الروحِ عن جسدٍ | إلاّ الذي هو ضمّ الروحَ والجسدا
هَبِ القتيلَ مسيئاً فالقصاصُ له | فما جزاء الذي قتلاً عليه عدا ؟
إن كان من جنسه فالقتل يلزمُ مَنْ | فوق البسيطة لا يبقي إذنْ أحدا

* * *

أقسمتُ باللهِ لَلْمصلوبُ في شرفٍ | أمسى عَلَى الجذعِ مثل الشلْوِ منفردا
أَجلّ في النفسِ مِنْ ملكٍ تحفُّ به | جلالةُ الملكِ انْ فوق السرير بدا
ضمّته أعوادُه من حيث نيطَ بها | كما تضمُّ حنايا أضلعٍ خَلَدا[1]
حنَتْ عليه وأمرُ الليلِ مجتمعٌ | كالأمّ ترْأَمُ[2] في جوفِ الدجى ولدا
صحيفةُ الحكمِ في صدرِ الشهيدِ غدتْ | وِسامَ فخرٍ له بالمجد قد شهدا

* * *

واللهِ ما الليلة السوداء حين مَشَوْا | يشاهدون منايامهم بها صددا
أشدّ هولاً عليهم من تفرقنا | وانّ طول سَرانا بعدُ ما حُمدا
يسوءهم أننا عند (القضيةِ) ما | زلنا طرائقَ في آرائنا قددا[3]

---

(١) الخلد القلب .
(٢) رأم عطف على ، كلأ .
(٣) تقدد القوم أي تفرقوا .

يعيثُ فينا فساداً كلُّ ذي دخلٍ[1]   عَلَى النِّفاقِ وقول الزورِ قد مردا[2]
تقطَّعتْ كلُّ أَسبابِ الرجاء بنا   هَيِّيء لنا ربَّنـا من أَمرِنا رشدا

* * *

أَستغفرُ اللهَ من يأسٍ يخالجني   فليس ييأس إلاَّ كافرٌ جحدا
بقية السيفِ مهما قلَّ ناصرُهـا   خيرٌ وأَبقى وأَنمى بعد ذا عددا
واللهُ أَرْأَفُ من أَن لايقيم لنـا   وزناً ؛ ويتركنا بين الورى عُبُدا

* * *

أنشدت في حفلة الشهداء التي اقيمت في ٦ أيار سنة ١٩٢٤ ميلادية
و ٢ شوال سنة ١٣٤٢ هـ

---

(١) الدَّخَل : الخديعة والمكر .
(٢) مرد بلغ الغاية .

براءة الشام من اللئام (*)

(*) روت بعض الجرائد المصرية أن بعض السوريين وقفوا في شرفة منزلهم ينثرون الورد على الجنود الانكليزية أثناء مرورها في شوارع مصر ويصفقون لها فرحين وذلك في حادثة مقتل حاكم السودان .

إنَّ الذين تجافى عنهم الشرفُ ... الشام تبرأُ من عارِ الذي اقترفوا

كادوا لها قبل أن كادوا (لمصر) فلا ... تؤاخذوها بذنبٍ منه تنتصف (١)

وكيف يؤخذ موتورٌ بواترِه ... هذا هوا الجورُ في الأحكامِ والجَنَفُ (٢)

هم سُبَّةُ الدهرِ فالأسلافُ تلعنهم ... وسوفَ يخزى بما جاؤا به الخلف

شبّوا وشابوا على بيعِ الضمائرِ بل ... تقاسموا الذلّ موروثاً وهم نُطف

هيهات لم يرتفعْ بالعز مارنُهم (٣) ... لكنَّهم بدماء الذلّ قد رعِفوا (٤)

والله ما وردوا وِردَ الإباء وهمْ ... من منهلِ الهونِ قبلَ اليومِ قد رشفوا

---

(١) تنصف من فلان طلب منه الانصاف .

(٢) الجنف الميل عن العدل .

(٣) المارن طرف الانف .

(٤) رعف سال الدم من الأنف .

عَدَتْ بهم لحياضِ العارِ بطنتُهمْ كالحمْرِ[1] تعدوا إذا أُدني لها العلف
القاعدون عَلَى الخسفِ المعافِ وَقدْ سارَتْ بسببّهمُ الأَسفارُ والصحف
عاثوا فساداً (بمصرٍ) (والشآم) فهمْ مقنَّعون بلعْنٍ أينما ثقفوا
لا بدّ من ساعةٍ فيها سيدركهم عَلَى الذي كسبتْ أَيديهم أسف
استغفرُ اللهَ ، لو أُعطيتُ خَلقَهمُ لكان يصرفني عن خلقِهم أَنَفُ

* * *

إخوانَنا ! وَلنا في الصالحاتِ يدٌ لكننّا لكمُ بالسبْقِ نعترف
تأبى الأَواصرُ من قربى وَمن لغةٍ إلاّ الوفاقَ فكيفَ اليوم نختلف
إنَّ المصائِبَ والأَحزانَ تجمعنا والسعي والأَمل الفينان والهدف
واللهِ لم نأل جهداً في قضيَّتِنا وَإنما الدهرُ فيها بات يعتسف
في الصدرِ ضيقٌ وَما بين اللهاةِ شجى وَفي اللسانِ وَفي تبيانه لفف[2]
ما حطَّ من قدرِنا ظلمُ الزمانِ لنا هلْ عيبتِ الشمسُ أنَّ الشمسَ تنكسف
وَليس لليأسِ أن يذوى لنا أملاً دمُ الشبابِ عليه عارضٌ[3] يكف
فينا وَإنْ بلغ الواشون مأربَهم من هم بغيرِ هوى الأَوطانِ ما كلفوا
مِنْ عادةِ الصبِّ تذرافُ الدموعِ وَهمْ دماءهم بهوىٰ أَوطانِهم ذرفوا

---

(١) الحمر جمع حمار .
(٢) العيّ .
(٣) العارض السحاب .

كم من فتى كانتِ النعماءِ تألفهُ ... في كلِّ حالٍ وَخفض العيش والترف

لاقى الأَلاقي لأَجل الشام حيث رَمَتْ ... به عن الأَهلِ مضطراً نوى قُذُفُ (١)

لفحُ الهواجرِ بالتلويح برقعهُ ... وَقد بَكَتْ لنواه الروضة الأُنُفُ (٢)

لا الضرّ يثنيه عن حبِ الشآم ولا ... ذل الغريبِ وَلا البأساءِ والشظف

وَحيث كان فشطرُ الشام قبلتهُ ... إذْ كان يلفته التهيامُ والشغف

* * *

حلفتُ بالدمِ قرباناً لنا وَلكمْ ... وَهل وَراءَ دمٍ جُدْنا به حلف

إنّا عَلَى العهد نصفيكم مودّتَنا ... ما في مودتِنا مَنٌّ وَلا سرف

عواطفُ الحبِّ والودِّ الصريح لكم ... بكل قلبٍ لوادي النيلِ تنعطف

لنشركنكمُ بالضرِّ فهو إذا ... أُميط عنكم فعنّا الضر منكشف

أما الأُولى نثروا الأَزهارَ عندكمُ ... فقدهَوَتْ فوقهم من مقتِنا كسف (٣)

للمجدِ نبرأ ممــا قدَّمَتْ يَدُهمْ ... والشاهدانِ الضميرُ الحيُّ والشرف

* * *

في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٤٣ هـ

١٩٢٥ م

---

(١) قذف بعيد

(٢) يقال روضة أنف إذا لم يرعها أحد .

(٣) الكسف : جمع كسفة وهى القطعة .

شهداء العرب

ماذا عليه إذا عصاه لسانُه		الدمعُ أفصَحَ حين عيَّ بيانُه
هذي الدموعُ قصيدةٌ جادتْ بها		للباذلين دماءهم أجفانه
فصدورُها جاشَتْ بها حُرَقُ الأسى		في صدرِه ورويُّها أرنانه
اليوم ذكّرنا (الحسينَ)[1] بكربلا		تبكي عليه مجندلاً نسوانه
وأعاد (عثمان)[2] الشهيدَ مضرجاً		بدمـــائه يبكي له قرآنه
بأبي وأمي الباذلين نفوسَهمْ		من كلِّ ثبْتٍ في الخطوب جنانه
أفديهمُ بدمي وقلَّ لهم دمي		لـكنّه لجميلِهم عرفـــانه
سفرُ القضيةِ لم يزلْ غفلاً[3] إلى		أنْ خطَّ بالدم منهمُ عنوانه
مدوا رقابَهمُ مراقيَ إذْ رأوا		حصْنَ التحررِ ذُلِّلتْ أشطانه[4]
إنَّ الشهيدَ على الجذوعِ أجلّ من		كسرى إذا ما ضَمَّه إيوانــه

* * *

(١) هو الحسين بن الإمام علي .
(٢) الخليفة عثمان بن عفان .
(٣) الغفل مالا علامة به .
(٤) اشطان جمع شطن وهي الجبال .

وَطني تَقدَّسَ في الورى استقلالُه شهداؤنـــــا وَدماؤهم قربانه
فتعطَّرتْ بنفوسِهم أجواؤه وَتخضَّبتْ بنجيعهم قيعـــانه
دمعُ الشكالى كان لؤلؤَ تاجِه وَدماءُ من نبكيهمُ مرجانه
وَلقد عجبتُ لمنْ يحاولُ هَدْمَه وَعَلَى الجمـاجمِ وُطِّدتْ أركانه
إنْ زلّ بعضُ الشيب من قطّانِه[1] فلسوف يغسل عارَهم شبانه
وَطنٌ (أبو حفص[2]) أقام عماده كم نال أسباب السما بنيانه
قد كان (سيف الله[3]) من أسيافِه (وَأبو عبيدة[4]) الأمينُ أمانه
رَيّانةٌ بدمِ الكرامِ أصولُه لِمْ لا تكون بواسقاً أغصانه

* * *

أفتى الشآمِ وَهَلْ سواك لها إذا شمسَ الزمانُ بنا وَعزّ ليانه
بيديْك تحريرُ البلادِ أمانةَ فعليكَ ليس عَلَى سِواكَ ضمانه

* * *

تليت في حفلة الشهداء التي أقيمت يوم الاربعاء ٦ أيار سنة ١٩٢٥

---

(١) قطّان جمع قاطن .
(٢) أبو حفص : هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .
(٣) هو خالد بن الوليد .
(٤) هو أبو عبيدة الجراح .

ذكرى يوسف *

اعكفْ علَى جدثٍ في عدوةِ الوادي (بميسلون) سقاه الرائحُ الغادي
وطأطىء الرأسَ إجلالاً لمرقدِ مَنْ قضى له اللهُ تخليداً بإمجاد
واجعلْ تحيَّتَه عند الطوافِ به ريحانةَ النفسِ لا ريحانة الوادي
تحيةُ القبر لَوْ عدنا بسنَّتِهـــا للجاهليَّةِ آبائي وأجدادي
أَجللتُ مرقدَه عن عقرِ[1] راحلةٍ[2] واخترتُ عقراً له نفسي وأولادي

* * *

بنا علَى يوسف إذْ حمّ مصرعُه أحزانُ (يعقوب[3]) من خافٍ ومن باد

---

* يوسف العظمة ١٨٨٤ — ١٩٢٠

هو اللواء يوسف بن ابراهيم العظمة كان وزيراً للحربية في الحكومة العربية السورية وحينما زحف الجنرال غورو بجيوشه نحو الشام قاصداً فتحها هب الجيش السوري لملاقاته في ميسلون وكان على رأسه يوسف العظمة وقد بقي هذا البطل يقاتل حتى خرّ صريعاً بشظايا قنبلة الأعداء وذلك في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ ودفن في ميسلون وقبره حتى اليوم تحمل إليه الأكاليل كل عام .

(١) قطع قوائم الابل بالسيف .

(٢) الراحلة النجيب الصالح من الابل .

(٣) هو نبي الله يعقوب والد يوسف وحزنه على يوسف يضرب به المثل .

هوى وحلّته حمراء من دمه ... كالشمس حين هوت في ثوبها الجادي[1]
صديان لم يرو حتى عبّ من دمه ... والهفَ نفسي له ريّان أو صادي
في فتيةٍ نفروا للموتِ حين بدا ... جريدةً[2] من زرافاتٍ وآحاد
صلّى الإله عليهم من مجندلةٍ ... أشلاؤهم بَيْنَ أغوارٍ وانجاد
فَدى العروبةَ بالنفسِ التي كرمتْ ... يا رحمةَ اللهِ للمفديّ والفادي
وعاشَ ما عاشَ يحميها ويحرسُها ... ومَاتَ يدفعُ عن حوزاتها العادي
قد كان قائدَها حيًّا وجامعها ... ميْتًا فبورِكَ في الحالين من هاد
لا كالذين تولوا كبرَ نكبتِنا ... وطوّقونا بِأغلالٍ وأصفاد
بالأمسِ كانت إلى قحطان نِسبتُهم ... واليوم يستنكرون النطقَ بالضاد
هم يدّعون بأنّ العقلَ رائدُهم ... وما دعوا لسوى غيٍّ وإفساد
أفي التعقلِ أنْ نبقى وموطننُا ... سبيّةٌ[3] يصطفيها كلُّ مرتاد
أعزبْ بعقلِكَ ليس العقلُ من أربي ... إن كان يقضي إلى ذلٍّ بإخلاد

* * *

يا دينَ قلبيَ من يومٍ ورى كبدي ... وَطَالَ همي لذكراه وتسهادي
في ميسلون من الأشجان سلسلةٌ ... نيطتْ بأطرافِها أرجاء أرواد
هل من سبيلٍ إلى الإنصافِ من زمنٍ ... جلّتْ رزاياه عن حصرٍ وتعداد

---

(١) الجادي الزعفران .
(٢) الجريد قضبان النخل والواحدة جريدة .
(٣) السبية المرأة تُسبى .

في مسمعِ الدهرِ وقرٌ عن شكايتِنا فهلْ يصيخ إلى نوحي وَإنشادي

* * *

ليهنَ (تموز) من فازوا به فلقدْ كان الشقاء لنـــا فيه بمرصاد

قد خصّنا بجواري النحسِ حين جرتْ عَلَى سوانا جواريه بإسعاد

وَرُبَّ عثرة ترجى إقالتهـــا وَخذلة أضمرتْ نصراً لميعاد

* * *

في ٣٠ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ

نيسان ١٩٢٥ م

يوم الفزع الأكبر

أمدَّه الدمعُ حتى غاضَ جائدُه[1] فمنْ بأدمعِ عينيه يرافدُه[2]
الروحُ والدمُ والأحداقُ وَدَّ لها لو تستحيلُ إلى دمعٍ يناجده
مشرّدَ النومِ ما قَرَّتْ مضاجعهُ وَهلْ تقرُّ بموتورٍ[3] وَسائده[4]
باتتْ دمشقُ عَلَى طوفان من لهبٍ يا دينْ قلبيَ من خطبٍ تكابده
موجٌ من النارِ لا تهدا زواخرُه يمدّه آخرٌ ما ارتدَّ وافــده
وَبلُ القذائفِ هطَّالاً له مددٌ والنارُ والنفطُ والتهديمُ رافده
ترى القبابَ به غرقى فتحسبهـــا سفناً تهاوى ببحرٍ ثار راعده
في ذمةِ اللهِ والتاريخ ما لقيتْ وَفي سبيلِ الأماني ما تصامده
أمسى الذي كان في جنَّاتِها بَهِجاً[5] بمارجٍ مِنْ سعيرٍ فار واقده

---

(١) جاد المطر غزر فهو جائد .

(٢) رفده أعطاه ، أعانه .

(٣) الموتور من قتل له قتيل ولم يأخذ بثأره .

(٤) وسائد جمع وسادة وهي المخدة .

(٥) بَهِجٌ أي مسرور .

النارُ من فوقه والنارُ دائرةٌ ... به فإنْ فرَّ أردته رواصده
في كلِّ زاويةٍ رامٍ وَمن نفروا ... شيباً وَحوراً وَأطفالاً طرائده
وَربَّ مكنونةٍ كالدرِّ ضنّ به ... عَلَى العيونِ فصانته نواضده[1]
تخطَّتِ النارَ ليلاً وَهي حاملةٌ ... طفلاً قضى برصاصِ القومِ والده
فمـــا تناءتْ به حتى أُتيحَ له ... شظيةٌ بانَ منها عنه ساعده
ضمّتْ إلى صدرِها شلواً يسيلُ دماً ... كالطيرِ هاض[2] جناحاً منه صائده
يا هول ذلك من مرآى شهدتُ وَقدْ ... وَددتُ لو كنت أعمى لا أُشاهده

* * *

قفْ في الخرائبِ وابكِ المجدَ معتبطاً[3] ... فـإنهـا يا لأحزاني مراقده
الذكرياتُ من التاريخِ قد دُرستْ ... وَطارفُ المجدِ موؤدٌ وَتالده
يا آسيَ الجرحِ بادرْ ضمدَ سائله ... إذا تريَّثتَ لم تنجعْ ضمائده
إن الذين تولوا كبرَ نكبتنا ... أخطاهُمُ من قويمِ الرأيِ أرشده
لو يفعلُ اللهُ جلّ اللهُ ما فعلوا ... بأهلِ جلّق لم يعبده عابده

* * *

---

(١) نضد المتاع جعل بعضه فوق بعض .
(٢) هاض كسر .
(٣) عبط الذبيحة نحرها من غير علة وعبط فلان الأرض حفر منها موضعاً لم يحفر قبل

بَلَتْ دمشقُ بنيها يومَ محنتِها فلمْ تجدْ غيرَ مَنْ صحّتْ عقائده
ترى الحنيفيَّ يومَ الروعِ مبتدراً إلى المسيحيِّ في البلوى يساعده
خلّى حماه ليحمي عِرْضَ صاحبِهِ وَصالَ خشيةَ أن تؤتى موارده
أما سريرةُ من خانوا فقد فُضحتْ وَانماز[٦] عن ثابتِ الإيمانِ فاسده
الحمدُ للهِ أني في حمى وَطنٍ تحمي كنائسَه فيه مساجدُه
فكيف يغمطُ حقاً في قضيته واللهُ وَهو الشهيدُ العدلُ شاهدُه

* * *

بقيةَ السيفِ والنيرانِ إنَّ لكم شأناً تراءتْ عَلَى قربٍ شواهده
لكمْ وَإنْ مسّكم قرحٌ وَطولُ أذى من طيّبِ الذكرِ بعد اليومِ خالده
لله يومكمُ يوماً فإنَّ له ما بعده وَإنِ اشتدتْ شدائده
لله معقلكمْ من معقلٍ أشِبٍ عَلَى الوئامِ لقد شيدتْ قواعده
عالي البروج تعالى فوقه علمٌ الحقُّ رافعُه والحقُّ عـاقده
فتى دمشق اصطبرْ للخطب تجبهه إنَّ العروبةَ جيشٌ أنت قائده
لا عذر في اليأس مما كان ممتنعاً إذا تقصّيت أمراً أنت واجده
أما دمشقُ فلا ترجو لنجدتِها سوى فتاها الذي شاعت محامده

---

(٦) انماز انفصل عن غيره .

بلَوعةِ الشكلِ تدعوه لينصرهـــا ‏ وَباِلجراحِ التي تدمي تنـــاشده

* * *

في ربيع الثاني ١٣٤٤ هـ
و١٩ تشرين الثاني ١٩٢٥ م

إثر نشر هذه القصيدة في الصحف العربية وتناقلها في المجالس جدت السلطة الفرنسية لاعتقال الشاعر وزجه في السجن مع من زجت من أحرار البلاد فنزح الشاعر عن وطنه إلى الاسكندرية ومنها إلى أوروبا وظل غائباً عن وطنه مدة أربع سنوات ونيف .

سلام على دمشق

تَلاقوْا بعد ما افترقوا طويلاً ... فما ملكوا المدامعَ أَن تَسيلا
بقيةُ فتيةٍ لم تُبْقِ منهمْ ... صروفُ زمانِهم إلاّ قليلا
فيالكَ موقفاً أَورى وَأَروى ... وَشبَّ لواعجاً وَشفى غليلا
بكيتُ لمن نجا فرحاً وَحزناً ... عَلَى من قد هوى حرّاً نبيلا
وَلقياكَ الخليلَ وَإنْ أَخفتْ ... وَسرّتْ عنك تذكرك الجليلا

* * *

تراءتْ لي دمشقُ فقمتُ أَرنو[1] ... فردّ رواؤها بصري كليلا[2]
وَشاعتْ نشوةٌ بي من شذاها ... كأَني شاربٌ صرْفاً شمولا[3]
وَواتاني القريضُ وَكان حيناً ... إذا استلهمتُه كزاً بخيلا
كأَني حينما استوحيتُ شعري ... عزمتُ عَلَى دموعيَ أَن تقولا
ذهلتُ وَقد تجلّى الشعرُ رباً ... فلا تنكرْ عَلَى حالي الذهولا

---

(١) رنا نظر .
(٢) الكليل الضعيف .
(٣) الشمول الخمر .

أُوَقِّعُهُ عَلَى خفقانِ قلبي وَأُرسله هتافاً أَو هديلا[1]
لحنتُ لكم به لحناً خفيفا لأمرٍ ما وَأَرجأتُ[2] الثقيلا
أَلم يك نغمةً في الأُذن تشجي وَعذباً بالمذاقةِ سلسبيلا

* * *

دمشقُ ولست بالباغي بديلا وَعن عهدِ الأَحبةِ لن أحولا
ذكرتُك واللهيبُ له وَميضٌ يُنشّرُ من شقائِقه ذيولا
له وَهجٌ إِذا وازاه طيرٌ رماه وَلو علا في الجوّ ميلا
وَأمطرتِ الرصاصُ فكان وَبلاً شديدَ الوكْفِ منهمراً وَبيلا
وَهاج عليَّ بحرٌ من سعيرٍ طغتْ أَمواجُه فغدتْ سيولا
إِذا ما مسّ قصراً مشمخرّاً هوى فأَحاله رسماً محيلا[3]
فقمتُ عَلَى الرسومِ كجاهليٍّ بكى الدِمَنَ[4] البواليَ والطلولا
فياخدرَ الأُباةِ — بلا هوان — صبرتِ على الأَذى صبراً جميلا

* * *

أَليس اللهُ يعلم أَنّ نفسي تعاني الهمَّ والداءَ الدخيلا

---

(١) الهديل صوت الحمام .
(٢) أرجأ أخر .
(٣) المحيل الدارس .
(٤) الدمن جمع دمنة وهي آثار الدار .

وَجدتُ أحبتي إلاَّ يسيراً ... أسيراً أو شريداً أو قتيلا
هُمُ أبلوا مهادنة وعنفاً ... فكانوا فيهما أهدى سبيلا
وَخطوا بالدمِ المهراقِ سِفراً ... سيروى بعدهم جيلاً فجيلا
لئنْ غُلبوا عَلَى حقٍ مبينٍ ... فليس لمن تغلّب أن يطولا
فكم من غالبٍ خسر المعالي ... وَمغلوبٍ بنى مجداً أثيلا

* * *

رَمَتْ بي عن دمشق نوى شطونُ[1] ... غداةَ أشارفُ الحدثَ المهولا
تمطّى الواغلون بها وَضاقتْ ... عليَّ فلم أجدْ فيها مقيلا
وَكنتُ إذا حُملتُ عَلَى خنوعٍ ... وَلم أصلتْ[2] له عَضْباً صقيلا
نأيتُ بجانبي وَأجبت «كلاّ» ... بملءِ فمي وَأزمعتُ الرحيلا
أقول وَلست أدري ما نصيبي ... عذيراً سوف ألقى أم عذولا
نقمتُ من الأُلى احتلوا حمانا ... مدافعة الحقيقة والنكولا
وَأُخرى أنهم وَلّوا علينا ... غبياً أو دعياً أو ختولا[3]
أَساءَ إلى العروبةِ في بنيها ... وَشاقَقَ[4] ربَّه وَعصى الرسولا

---

(١) شطون بعيدة .
(٢) أصلت السيف جرده من غمده .
(٣) ختل خدع والختول المخادع .
(٤) شاقق خالف .

أَلحّ عليَّ حبُّ الشامِ حتى رجعتُ إلى الحمى نضواً هزيلا
فربَّ كريمةٍ[1] ريعتْ لشيبي وَأنكرتِ انحنائيَ والنحولا
رأتْ سِمَةَ[2] الشبابِ لما علاها من الأَشجان توشك أَنْ تزولا
وفجر الشيب يطوي من شبابي وَمن أفيائه ظلاً ظليلا
أَسيتُ عَلَى الشبيبةِ وَهي ضيفٌ أَسأتُ جوارَه فنوى القفولا
وَجاوزتُ الثلاثين اللواتي حفانَ بكلِّ مرهقة حفولا

* * *

أرى في الغربِ أقواماً تباروا بما بَهَرَ النواظرَ والعقولا
لقد فرغوا من الدنيا فهمّوا إلى الأَفلاك يبغون الوصولا
هُمُ ملكوا الرياحَ فسخّروها لأمرهمُ دَبُوراً[3] أو قَبُولا[4]
إلى كبدِ السماء سموا صعوداً وَقيعانِ البحارِ هوَوْا نزولا
وَما تحتَ الثرى نفذوا إليه وَساروا فوقه عرضاً وَطولا
وَما قنعوا بعلمِ الغيبِ وَحياً فأوتوا علمه نظراً وَقيلا
يرونك من بأقصى الأَرض جهراً وَتسمعه مجيباً أو سؤولا

---

(١) كريمة ابنة .
(٢) السمة : الشارة .
(٣) الدَّبور : الريح الغربية تقابل الصبا .
(٤) القَبول : ريح الصبا .

٩

هُمُ هابوا القويَّ وَقدَّروه وَما اعتبروا الضعيفَ أو الكسولا
فإنْ جادلتَ في دعواكَ فاجعلْ بعزمِكَ لا بمنطقِكَ الدليلا
وَلا ترجعْ إلى لينٍ إذا ما رأيتَ اللينَ لا يغني فتيلا
إذا غامرتَ في أمرٍ جليلٍ ركبتَ لأجله الخطر الجليلا
وَإنْ هاوَدتَ في حقٍ صريحٍ لتعطاه طابتَ المستحيلا
فهذا الوحشُ حرٌّ في الفيافي ففيم نلامُ إنْ عفنا الكبولا

* * *

في تموز ١٩٢٩ م

حيَّا الشاعر مسقط رأسه دمشق بهذه القصيدة حين جاءها بعد أن نزح عنها هارباً مدة أربع سنوات ونيف أثر ملاحقة الفرنسيين له لزجه بالسجن مع من زج من أحرار الشعب في السجون أيام الثورة

يوم ميسلون

أدالَ اللهُ (جلّقَ) من عداها ... وَأحسنَ عن أضاحيها عزاها
فكم حملتْ عن العربِ الرزايا ... كذاكَ الأمُّ تدفعُ عن حماها
مضتْ عشر عليها حالكات ... كقطعِ الليلِ لم يكشفْ دجاها
أعادتْ عصرَ (تيمورٍ)[1] إليها ... فظنتْ مرةً أُخرى غزاها
وَما شابتْ لها الأَطفالُ لكنْ ... بشرعِ طغاتِها وَردتْ رداها
عرفنَا يومَ (يوسف)[2] مبتداها ... فهلْ مِنْ مخبرٍ عن منتهاها

* * *

أيوسفُ والضحايا اليومَ كثرٌ ... ليهنكَ كنتَ أولَ من بداها
زكا نبتُ البلادِ وَليس بدْعاً ... زكيّاتُ الدما كانت حياها
فديتُكَ قائداً حياً وَميْتاً ... رفعتَ لكل مكرمةٍ صُواها[3]
غضبْتَ لأُمةٍ منهـا معدٌ ... فأرضيتَ العروبةَ والإلٰها

(١) هو السفاح تيمورلنك الذي هدم مدينة دمشق .
(٢) هو البطل الشهيد يوسف العظمة .
(٣) الصُوى : جمع صُوَّة وهي حجر يكون دليلاً في الطريق .

فيالك راقداً نبهت شعباً وأيقظتَ النواظرَ من كراها
وَيالك ميّتاً أحييتَ منا نفوساً لا تقرُّ عَلَى أذاها
وَيالك عاثراً[1] أنهضتَ منّا عزائمَ بعد ما وَهَنَتْ قواها
سمتْ بك للمعالي نفسُ حرٍ لقدْ كانت منيّتها مناها
هويتَ عَلَى المنيةِ لا تبالي كما تهوي الثواقبُ[2] من سماها
فداً لك بل لنعلك كلُّ تاجٍ تصرّفه الطغاةُ عَلَى هواها

* * *

مصيبةُ (ميسلون) وَإن أمضّتْ أخفُّ وَقيعة مما تلاها
فما من بقعةٍ بدمشق إلاّ تمثل ميسلونَ وَما دهاها
فروعُ النارِ قد طالتْ ذراها وَبالدمِ لم يزلْ رطباً ثراها
فسلْ عمّا تصبّبَ من دماء تخبّركَ الحقيقةَ (غوطتاها)
وَلم أرَ جنّةً أمسى بنوها وقودَ النارِ فائرة سواها
وَما زالتْ بقايا السيفِ منهم تماني غربةً شطّتْ[3] نواها
هُمُ كتبوا صحائفَ خالداتٍ أرى صدرَ الزمانِ لقدْ وَعاها
وَمحنتُهمْ عَلَى مرِّ الليـالي يرنُّ بمسمعِ الدنيـا صداها

---

(١) العاثر السيئ الحظ .
(٢) الثواقب : النجوم .
(٣) شطّ : بَعُدَ

عشقتُ دمشق إذْ هِيَ دارُ خلدٍ مقيم سعدُها دانٍ جناها
فلما شبّتِ النيرانُ فيها وَطال لهيبُها أعلى ذراها
أَرتنيهــا المحبةُ بيتَ نارٍ يلوح (لموبذ[1]) وَهْناً[2] سناها
عبدناها نعيماً أو جحيماً وَألهمتِ النفوسُ بها هداها
وكان تمامَ محنتِهــا أمورٌ لقد ضحكَ الزمانُ بها سفاها
بهزلِ الدهرِ تاه بهــا وضيعٌ كما إبليسُ في الفردوس تاها
وَشرذمةٌ[3] تسابق في المخازي عجبتُ لربنــا أنّى براهـا
أظنُّ مقاطعَ المأساةِ تمّتْ بهزلة تَظرّفَ من رواها
إذا ما ليلةٌ حلكتْ وَطالتْ فأجدرْ أنْ يكونَ دنا ضحاها
وَعاقبةُ الشدائدِ والرزايا إلى فرجٍ إذا بلغتْ مداها

* * *

سأقصرُ فالقوافي اليوم جمرٌ أخافُ عَلَى المسامعِ من لظاهـا

* * *

في ٢٣ تموز ١٩٣٠ م و ٢٨ صفر ١٣٤٩ هـ

---

(١) الموبذ : كاهن فارسي يقيم على حراسة النار .
(٢) الوهْن بعد منتصف الليل .
(٣) الشرذمَة الفئة من الناس .

الحلفُ والجار

« قيلت بمناسبة حوادث الاسكندرونة »

أجارك الله ، هذا الحلفُ والجارُ عليكَ = لالك = أعوانٌ وَأنصار
هم حكَموا فإذا التحكيمُ عندهمُ تحكّمٌ وَإذا التخييرُ إجبار
قضيةٌ عجبٌ تبكي وَتضحكُ سلْ عن خطبها (الوفد)[1] واستشهدْ لها (غارو)[2]
لا يستقيمُ قياسٌ في تناقضِها ولا يصحُّ عَلَى ما تمّ معيار
الخصمُ يحكم والقاضي بها همل والحقُّ يصرعُ والبهتانُ سوّار[3]
إذا المحامي أعان الخصمَ في ترةٍ فليت شعريَ ممن يُدرك الثار

* * *

قلْ للحليفِ وخيرُ القولِ أصدقُه ما بال جيش توارى وَهو جرّار
من بعد عشرين عاما بين أظهرنا لم يحمِ ثغراً وَلم تُمنع به دار

---

(١) اللجنة الدولية التي أرسلتها عصبة الامم الى الاسكندرونة للاشراف على التسجيل.
(٢) المندوب الفرنسي في الاسكندرونة .
(٣) السوّار الذي يواثب نديمه إذا شرب والسوّار من الكلاب الذي يأخذ بالرأس .

عهدي به يستثير الطفلُ غضبتَه ... ما باله اليومَ رحبُ الصدرِ صبّار
أعيذه أن يقولوا عنه : جبّارُ ... عَلَى الضعيف وعندالبأسِ خوّار [1]

* * *

يا لابسَ الثوبِ مزهواً بجدّتِه [2] ... أنظرْ فقد علقتْ في ذيلِه النارُ
عساكَ تزعمُ أنَّ الأمرَ بُتَّ به ... من دون عِلمِكَ ؛ هل في ذاكَ إعذار؟
يقضى عَلَى حقِنا بغياً وَليس لنا ... علمٌ ، لعمركَ هذا الهُوْنُ [3] والعار
ويلُ الضعيفِ وأُفٍّ للقوي إذا ... لم يبق للعدلِ إيرادٌ وإصدار
إذا الممالكُ لم ترفعْ قواعدُها ... عَلى الأَسنّةِ [4] فالبنيانُ منهار

* * *

قالوا (الجزيرة) لا ترضى بحكمكمُ ... ما في (الجزيرة) إلا النفطُ والقار
ديارُ (عمرو بن كلثومٍ) يعيثُ بها ... بهزلِ دهركِ إسكافٌ وخمّار
من لاجىءٍ وَدخيلٍ وابنِ سابلةٍ ... في ظهرِه من سياطِ (الترك) آثار
(طيّ) و (تغلب) هل نامتْ فوارسُها ... فَصال يُرهجُ [5] في الميدانِ حمّار؟
روايةٌ سمجةٌ ، صوتُ الملقن من ... وراءِ قترته [6] كالرعد هدّار

* * *

(١) خوّار ضعيف .
(٢) الجدّة كونه جديداً .
(٣) الهُوْن الصغار والخزي .
(٤) الأسنة الرماح .
(٥) أرهج أثار الغبار .
(٦) القترة المخبأ .

بني (العروبة) كم من صيحةٍ ذهبتْ لَوْ يُستثارُ بها الموتى إذنْ ثاروا
إنَّ الحوادثَ لو أدركتمُ عبرٌ فأين = لا أين = ألبابٌ وأبصار؟
الرحمُ واشجةٌ والدارُ جامعةٌ فلمْ تقطَّع أرحامٌ وأقطار؟
هنتمْ عَلَى كلِّ شعبٍ من تخاذلِكمْ شأنَ العبيدِ وباقي الناس أحرار
لم تغن كثرتُكم عنكم كأنكمُ عَلَى المزيد = ولا أرقام = أصفار....
تُخرِّبون بأيديكم بيوتكمُ جهلاً أكلُّكمُ يا (عربُ) أغمار[1]
يا ليت شعريَ ماذا يستفزكمُ؟ حمىً مباحٌ وإذلالٌ وإفقار
أرى الحجارةَ أحمى من أنوفِكمُ كم أرسلتْ شرراً بالقدحِ أحجار
إخوانكم في (فلسطين) تنالهمْ بالسوء والعسفِ أنيابٌ وأظفار
(مهد المسيح) و(معراج النبي) و(أو لى القبلتين) بها لم يأمنِ الجار
كم ربع سربٌ بها بَغْياً وكَمْ هُتكتْ من حرمةِ (الحرمِ القدسيِّ) أستار
أين السوابقُ للجلى إذا نزلتْ إنَّ الحوازبَ[2] والأحداث مضمار

* * *

في ١١ ربيع الآخر ١٣٥٧ هـ
و ١٠ حزيران ١٩٣٨ م

---

(١) أغمار جمع غمر وهو المجهول الخامل الذكر.
(٢) الحوازب جمع حازب وهي الشدائد.

حديث المعاهدة

عذيري من حليفٍ ذي خصالِ بدائِعُها تجلُّ عن المثالِ
أتى ضيفاً فأصبحَ ربَّ بيتٍ يحكِّمُ بالقطينِ وبالعيال
وسمّى نفسَه قسْراً وصيّاً عليَّ مفوّضاً في كلّ حال
وَما أنا باليتيم ولم أكُنْهُ ولا شيخٌ دقيق العظمِ بال
وسمّى نفسَه دهراً وليّاً فساواني بربّاتِ الحِجال[1]
ومنتدباً عليَّ برغمِ أنفي ولستُ بقاصرٍ يوم النزال
يضنُّ عليَّ من مالي وَيسخو عَلَى غيري بميراثي وَمالي
يعلمني الخشونةَ في معاشي وَينْعَمُ بالأطايبِ من غلالي
وَيحملني عَلَى زهْدٍ مريرٍ وَيأخذُ كلّ مرتخصٍ[2] وَغالي
وَيأبى لي الغنى كَسْباً حلالاً وَيأخذُ بالحرام أو الحلال
وَأخوف ما يخاف عليَّ منه وَينذرني به شرَّ الوبال

(١) ربات الحجال النساء ، والحجال الخلاخيل .

(٢) المرتخص الرخيص .

هو الذهبُ الذي جمعتْ جُدودي ... عَلَى الأيامِ والحججِ الخوالي
نفضتُ له الجرابَ وَكلَّ جيبٍ ... وَقوْصرةٍ[1] وَما تحت الرحال
فبدّلني جزاه الله عني ... عَلَى حسبِ المقاصدِ والفعال
قراطيساً عليها (رأس مهرٍ) ... وَقاها الله من (رأس الغزال)[2]
تطيرُ مع الهوا يوماً وَيوماً ... تذوبُ إذا أُصيبتْ بالبلال
وَتأكلُ نفسَها إنْ لم ينلها ... فسادُ العثّ أو قرض النمال
وَتنقصُ وَهي في جيبي وَتبلى ... فأَرثي للنواقص والبوالي
وَتعجز كالعجائزِ عن صعودٍ ... وَتهبط للبلى بخطىً عجال
رَعىٰ سِربي فأَجدَبَ كلَّ مرعى ... فكاد يموت من فَرْطِ الهزال
وَباعَدَ بين إخوانٍ وَأهلٍ ... فلجّوا في التقاطعِ والتَقالي[3]
وَشاركني فكان الغُرمَ حظي ... وَخُصّصَ بالغنيمَةِ والنوال
وَمن حبِ السلامِ حوى سلاحي ... ليكفيني ممارسةَ القتـــال
وأَنقض بعد ذا ظهري بعبءٍ ... يؤودُ[4] الراسيات من الجبال
فدرّبني عَلى حملِ الرزايا ... وَأَوصاني بصبرٍ واحتمال

---

(١) القوْصرة وعاء من القصب .

(٢) صورة الغزال سمة لنوع معروف من ورق السكاير .

(٣) التقالى : التباغض .

(٤) آدّ : أثقل .

وَكَمَّ فمي عن الشكوى لكيلا يسير بغيبةٍ يوماً مقالي

* * *

وَأحرجني فأَخرجني فلما رآني بالمنيةِ لا أُبالي

دعاني للتفاهم بعد أخذٍ وَردٍّ واختلافٍ واقتتال

وَعانقني بزنديه احتفاءً وصافحني بهزٍ واحتفال

فطوّقني بأَدهىٰ من أفاعي وَشَدَّ يدي عَلَى حدٍّ النصال

وَهشَّ وبشَّ مبتسماً فيا مَنْ رأى ذئباً تبسَّم للسِخال[1]

وأَقسمَ لا يفاوضنا إذا لمْ نظل من السكينةِ في ظلال

فخفَّضَ صوتَه حتى المنادي وما جهر المؤذنُ والمتالي

وعاهدني وسمّاني حليفاً فَلَمْ أشققْ عليه ولم أُغال

تقبّلتُ القليلَ النزْرَ منه وقلتُ: النقصُ مرقاةُ الكمال

وما خلتُ القليلَ يظلُّ وعداً يكدر بالتملل والمطال

وليس لغلةِ الصادي شفاء ببرقِ خلّبٍ أَولمع آل[2]

وواعدني إلى أجلٍ مسمى يكون قضاؤه عهدَ انتقال

فكاد يكون من مكرٍ وكيدٍ ودسٍ عصر فوضى واختلال

(١) السِخال جمع سخلة وهي ولد الشاة .

(٢) الآل السراب .

لقينا في سبيلِ العهدِ ما لَمْ نلاق مِنْ انتدابٍ واحتلال
فكم من حاذقٍ فَطِنٍ تغابَى وداهيةٍ تظاهر بالخبال
وكم من ضابطٍ أو مستشارٍ تحذلق بالتجنّي والدلال
تحدانا معاكسةً وكيداً وَأعيانا بأشباهِ الرجال
وَخامَرَ كلّ فَدْمٍ[1] أو زنيمٍ وَشايَعَ من طواغيتِ الضلال
أتذكرُ إذْ تجنّى الذئبُ يوماً عَلَى حَمَلٍ بتكديرِ الزلال[2]؟
إذا استنجزت مَنْ عاهدتَ وَعداً تشاغل بالتنحنحِ والسُعال
ويسمعني إذا استوضحت منه وليس بشاعرٍ لغةَ الخيال
يقول الإنكليز أبَتْ وَهذي جيوشُ التركِ تنذر بالصيال[3]
وَما يدريك أن يحتجّ ناس عَلَى التصديقِ في القطب الشمالي؟
وَجرّدَ سيفَه عشرين عاماً لتأديبِ (العصاة) من الأهالي
فلما اجتاحتِ الغرباءُ داري شكا السيفَ الجرازَ[4] من الكلال
سلِ (الإسكندرونةَ) عن أمورٍ من الإغرابِ لم تخطرْ ببال
أمِن إربِ السياسةِ خذلُ حلفٍ وإيثارُ الخصيمِ عَلَى الموالي؟

---

(١) الفدْم العي عن الكلام في ثقل وقلة فهم .
(٢) الزلال : الماء الصافي النقي .
(٣) الصيال : السطو يقال صال على قرن يصول صوْلا وصيالا سطا عليه وقهره .
(٤) الجراز القاطع .

وَربَّ روايةٍ سمجتْ وَطالتْ بأطرافِ (الجزيرة) والأعالي
أليس من السماجةِ أن صوتَ الـــملقنِ من وراء الستر عال ؟
وأشخاص الروايةِ من ذكورٍ ونسوانٍ قرود أو سعال[1]
نَزَتْ تَسْتَنُّ في الميدانِ جربى وقرعى والعجاف من الفصال
وأحجمتِ العتاقُ[2] منَ المذاكي تململ في اللجامِ وبالشِكال
أتحرقني بنفطي في بلادي وَتورثها الصعاليك الجوالي ؟
ولم أذنبْ وَما قارفتُ إثماً سوى أني وَصلتُ بِكمْ حِبالي
هبوا أنَّ الأصاغرَ خالفونا فَلِمْ تصغون للهمجِ الضلال
ولم تخلُ الملائكُ من رجيمٍ فهلْ تخلو الشعوبُ من الرذال ؟
بعثنا بالأمينِ لكم ومن ذا يساوي بالأمين (أبا رِغال[3]) ؟
أقول ونحن في عهدِ التَّصافي سقاكَ الله يا عهدَ النضال
ولَمْ تخلُ السياسةُ من خداعٍ وما كلُّ السياسةِ باحتيال

* * *

ألا قلْ للرَّسولِ بلغت عُذْراً وكنتَ من السَّوابقِ في المجال

---

(١) السعال الغيلان .
(٢) العتاق كرام الخيل .
(٣) أبو رغال : جاهلي خان قومه ودل الأحباش حين غزوا مكة على مسالك الطريق فتبرأ منه العرب وصار يرجم قبره حتى اليوم .

سَمتْ لكَ في النَّوازلِ كلُّ عينٍ كما تسمو العيونُ إلى الهِلال
أيرفضُ غابنٌ طمعاً ويرضى غبينٌ ؟ ذاك من عَنَتِ[1] اللَّيالى
ويعطي باليمينِ عطاءَ كزٍّ[2] ويأخذُ بعدَ لأْيٍ بالشمال ؟
ويلحق في كتابِ العهدِ ذيلاً كذيلِ الضَّبِّ ذي عِقَدٍ طوال ؟
ألا فانبذْ إليـهِ عَلَى سواء ولا تلحفْ عليه في السؤال
وإنْ جادلتَ في أمرٍ فأَجْمِلْ فما استقْصى كريمٌ في الجدال
فما أنـا بالحريص عَلَى وصالٍ إذا ما باتَ يرغبُ عن وِصالي
فكمْ مِنْ عاشقٍ جافى محبّاً تجـاوزَ في دَلالٍ واعتلال
ولولا أن يقالَ النَّقضُ نقصٌ لقلتُ له أَقِلني قـدْ بدالي
رأيتُ الداءَ أعْضَلَ دونَ كَيٍّ[3] فأَيْنَ الـكيُّ للداءِ العِضـال
أما لك قد شببْتَ كما أقروا عن الأطْواقِ فانشطْ مِنْ عِقال

* * *

١٩ جمادى الآخرة ١٣٥٧ هـ
و ١٦ آب ١٩٣٨ م

(١) العَنَتُ : الخطأ .
(٢) الكزُّ : اليبس والانقباض كناية عن البخل .
(٣) الكيُّ : مصدر كوي بالنار .

الفتح العربي

مالي أرى القومَ بعد الحزنِ في طربِ
هل عادَ سالفُ مجدِ العرْبِ للعربِ
نعمْ وإلاّ فما للكونِ مبتسماً
من بعدِ ما أخذته سَوْرَةُ[1] الغضبِ
وما لأهلِ الهدى والحقِّ في صعدٍ
وما لشرذمةِ الضّلاّلِ في صببِ[2]
عادتْ وشائجُ[3] فِهرٍ بعد ما انصرمتْ
عن بعضِها عُصراً موصولةَ السَّببِ
وقامَ بالأمرِ من كان الأحقّ بهِ
نجل النبيِّ الحسين الطاهر النسب
قرّتْ به أعينٌ من قبل قد سخنتْ
بمدمعٍ بالأسى والبثِّ منسكب

(١) السَوْرة : الشدة والحدة . (٢) الصبب : الانحدار والهبوط .
(٣) الوشائج : الأواصر .

وشُنِّفَتْ[1] أسمُعٌ قدْ كان أوقرها
رنينُ فاجعةِ الأحداثِ والنوَب[2]

وأدركتْ أنفسٌ فيه أمانيَها
كانتْ تُسالُ علَى مصقولةِ القُضب[3]

أغضى زمانًا على ماكان مُهتضمًا
منْ حقّه عند أهلِ الشّكّ والرّيب

عساهُمُ أنْ يؤَدّوا حقّ أُمنية
إذْ لمْ يكنْ خاطب الألقابِ والرّتب

فَلَمْ يزدهمْ سوى ظُلمٍ لظُلمِهمُ
تَظَلُّ منه نفوسُ القومِ في تعب

فكَمْ كريمٍ حنا للموت هامتَهُ
علَى الجذوعِ بحبلٍ غيرِ مُنقضب[4]

غلّتْ يدٌ منه قد كانتْ بسطتها
تفكُّ عن كلّ عانٍ عقدةَ الكرب

(١) شنّف كلامه حلاّه .

(٢) النوب : الخطوب .

(٣) القضب : السيوف .

(٤) منقضب : منقطع .

وَكم مخـــــدَّرةٍ للنفي قد برزتْ
ترى أباها عَلَى الأجذاعِ عن كثب
وَغير ذلك ما لو كنت ذاكرَه
أمليتُ جمّاً من الأسفارِ والكتب
دعا فلبّاه فرسانُ الحروبِ وَمَنْ
ترى الشهادةَ فيهـا أعظم القرب
لبيك داعي أميرِ المؤمنين عَلَى
بَذْلِ النفوسِ وَغالي الأهلِ والنشب
للهِ جيش أمينِ اللهِ منتصراً
يدني جيوشَ العدى من موردِ العطب[1]
شاموا بروقَ سيوفِ العربِ فانخطفتْ
أبصارُهم فعموا عن مسلكِ الهرب
واستسلموا لرجالاتِ الوغى فعفتْ
عن النفوسِ وَقد عَفّتْ عن السلب
يا صاحبَ الجيشِ والقهّارُ يعضده
مدرعاً بمواضي السادةِ النجب

(١) العطب : الهلاك .

لك الهنا بدمشق الشام إذْ برزتْ
تستقبل الجيشَ في أثوابها القشب[1]

خذْ سَمْتَ[2] لبنان فالشكوى لقد عظمتْ
وَسرْ (لبيروت) ثم اخلصْ إلى (حلب)

لا زال يخفِقُ في أرباعِنا عَلَمٌ
مربَّعُ اللونِ[3] نفديه بكل أَب

* * *

في ٢٤ ذي الحجة ١٣٣٦ هـ
١٩١٩ م

---

(١) القشب : الجديدة .
(٢) السمْت : الطريق المحجة .
(٣) يقصد الشاعر الألوان الأربعة : الأبيض والأسود والأخضر والأحمر .

الغزل الوطني

نظمت عند مجيء اللجنة الأميركية لسورية

وذلك في رمضان ١٣٣٧ هـ

طيفٌ لِلَمياءَ ما ينفكُّ يبعثُ لي   من آخرِ الليلِ إنْ هوّمت(١) أشجانا
يغري الدموعَ بأجفانٍ مسهّدةٍ   من حيث يُوري عَلَى الأَحشاءِ نيرانا
فلم تراني وَأَمرُ الليلِ مجتمعٌ   مشتت الرأيِ إثرَ الطيفِ حيرانا
حسبتني مُطْفِلاً(٢) قدضلّ واحدُها   عنها فطبّقتِ الآفاقَ تحنانا
قد كان صبري وَفياً إنْ فزعت له   عند الشدائدِ لكنْ في الهوى خانا
فما انتفاعي به إنْ عزّ نائلُه   عند التي كلُّ شيءٍ دونها هانا
يا أَنّةً عند إدبارِ النجوم حدتْ   من المدامعِ ثجّاجاً(٣) وهتّانا
مرّتْ عَلَى سمعِ (لمياء) لتشفع لي   وَلو تمرُّ عَلَى قاسي الصفا لانا
أكاد أقضي جوى والدارُ جامعةٌ   فكيف حالي إذا وَقت النوى حانا

(١) هوّم : هزّ رأسه من النعاس .
(٢) المطفل : ذات الطفل من الأنس والوحش .
(٣) الثجاج : سيّال شديد الانصاب .

وَليلةٍ من ليالي الوصلِ صالحةٍ عفتْ ضمائرُنا فيهـــا وَنجوانا
بتنا عَلَى السفحِ والظلماءُ ضاربةٌ عَلَى التلاعِ أطانيباً[1] وَأركانا
لولا بريقُ الثنايا ما اهتديت إلى مواردٍ نقعتْ بالرشف هيمانا
ترثي لشكواي إذ أرثي لشكوتِها والنجمُ من فوقِنا يرثي لشكوانا
ما راعني غير أناتٍ إذا انفصلتْ من قلبها وَصلتْ بالقلب أحزانا
حاوَلتُ أكشف من غمّائِها ظللاً تذيقها غصص الأشجان ألوانا
فلم أدعْ رقْيةً[2] أو عوذةً رويتْ إلاّ وَعوّذتهـــا سرّاً وَإعلانا
فبعد لأْيٍ بدا لي أنَّ ما منيتْ به تذكرها أهلاً وَأوطانا
تذكرتْ قومَها أبناءَ يعرب إذْ كانوا أعزَّ ملوكِ الأرضِ سلطانا
سادوا الممالكَ من هندٍ لأندلسٍ محكّمين بهـــا عدلاً وَإحسانا
فرقرقتْ أدمعاً أضحى بصيّبها[3] روضُ الأمانيّ بعد الجدبِ فينْانا
قالتْ عهدت الأولى تنمي أصولهمُ إلى الذوائبِ من قيسٍ وَقحطانا
من كلِّ أشوس منّاعٍ لِحَوْزَتِه[4] لا يستنيم لضيمٍ حيثما كانا
نحيزةٌ[5] بهمُ من عهدِ (يعرب) أنْ يأبوْا عَلَى الذلّ إخلاداً وَأركانا

---

(١) الأطانيب جمع اطنابة وهي سير يوصل بوتر القوس .
(٢) الرقية : العوذة .
(٣) الصيّب : السحاب ذو المطر .
(٤) الحَوْزة الناحية .
(٥) النحيزة : الطبيعة :

فما لهم لا أفال[1] الله رأيهمُ يشذّ بعضهم بالرأي أحيانا
فأبلغِ القومَ عن لمياء مألكةً[2] سارتْ بها الناسُ ركبانا فركبانا
ما حُررتْ من قيودِ الترك أنفسنا حتى نكونَ لغيرِ التركِ عبدانا
تأبى دماء زكيات لقد سفكتْ وأنفسٌ بالحمى زايلن أبدانا
ومن لنيلِ العلى في كلّ ملحمةٍ توافدوا للردى شيباً وشبانا
أنْ يستباحَ ذراعٌ من مواطننا في سهلِ سيناء أو في حَزْنٍ[3] لبنانا
ومن يك الدمُ لاستقلالهِ ثمناً فلن يلاقيَ بعد الربْح خسرانا

* * *

ثم أن السيد محمد الخضر التونسي طلب مني بواسطة أخيه شيئاً من شعري مع ترجمتي لأنه كان أزمع على العودة إلى تونس فكتبت إليه بهذه القصيدة بعد الأسطر التالية وهي :

ان من خير ما أثبته في سجل حياتي وأشكر يد الدهر عليه معرفتي الى الأستاذ الجليل السيد محمد الخضر التونسي واخوانه الفضلاء فقد صحبت الاستاذ سنين عديدة رأيته بها الانسان الكامل الذي لا تغيره الأحداث والطوارىء فمازلت أغبط نفسي على ظفرها بهذا الكنز الثمين حتى فاجأني خبر رحيله عن هذه الديار فتراءت لي حقيقة المثل (بقدر سرور التواصل تكون حسرة التفاصل) فلم يعد لي إلاّ الرجاء بأن يكون لي نصيب من الذكر في قلبه وحظ من الخطور على باله لذلك فانا أتقدم اليه بهذه القصيدة الوطنية لتكون لي

---

(١) أفال : أخطأ وضعف .
(٢) المألكة : الرسالة
(٣) الحَزْن : ماغلظ من الأرض وارتفع

رتيمة عنده وذكرى أحد المخلصين اليه أمتع الله به وأدام له الكرامة وكتب له السلامة في حله وترحاله .

فنقلت له قصيدة (الغزل الوطني) المثبتة آنفاً فكتب لي بهذه الأبيات :

ما النجم تسري به الأفلاكُ في غَسَقٍ — كالدرِّ تقذفه الأقلامُ في نسقِ
لقد سلوت محيّا البدرِ إذ طلعتْ — عقيلة الطرسِ والأجفان في أرق
وَكنت أرشف من مجرى بلاغتِها — راحاً فيهدأُ ما في الجأشِ من قلق
تخشى إذا أفصحتْ عما توهّجَ من — حماسةٍ أنْ تشبَّ النارَ في الورق
فألبستها أساليب النسيب وَكم — ذاق الحشا لوعة من ناعس الحدق
هي الرتيمةُ فيما قال مبدعهـا — وَهَلْ يغيبُ السنا عن طلْعةِ الفلق
إني عَلَى ثقةٍ من أنْ ذكركَ لا — ينفك مرتسماً في النفس كالخلق
وَكيف أنسى (خليلاً) قد تضوّعَ من — حشاشتي وَدّه كالعنبر العبق
وَفي الورى خزفٌ لكنْ تبرّجَ في — نضارةِ الذهب الأصفى أو الورق
وَلو عصرت بكفِ النقدِ مهجتَه — لما تقاطر غير الضغن والملق
لاعتب إنْ ضاق باعي في القريظ فلم — يضيء كما ضاءتِ الجوزاء في الأُفق
فإن إحساسيَ الشعريّ أوشك أن — يلاقيَ النَفَس الأقصى من الرمق
لم تبقِ لي حادثاتُ الدهر منه سوى — إثارة كبقايا الشمس في الشفق

* * *

في ٥ صفر ١٣٣٨ ﻫ

الى فيصل

نشرتها جريدة الأردن بتوقيع (سديف)

أَلا كلُّ مجدٍ عرضةٌ للتهدّمِ إذا لَمْ يحصَّن بالوشيجِ[1] المقوّمِ
وَكلُّ حمى لم يحمه آله وَإنْ يكنْ حَرَماً في عصرنا لا يحرم
وَمن يتواكلْ في جليلِ شؤونه عَلى غيرِه يرجِعْ بعقبى التندمِ
أَحقاً عبادَ اللهِ إنّ بلادَنا تناوَلها الأَيدي كنَهْبٍ مقسم
وَإنّ الأُولى ندعوهمُ حُلفاءنا عَلَى حقِّنا قدْ أبرموا بالتهضم
وَإنّ الأَمانيَّ التي عللوا بها لقد كنَّ ضرباً من ضروبِ التهكم
وَإنَّ الذي نيطتْ مقاليد أمرِنا به سوف يغدو حاملاً أنف مرغم
أَتحكمنا الأَعلاجُ[2] في عقْرِ دارِنا فيالإباء العربِ من ذلِّ أعجمي
إذا ما ذكرنا نكثَهمْ بعقودِهمْ وَجدنا بشدقينـا مرارةَ علقم
أَبى اللهُ أنْ نرضى بخطةِ عاجزٍ وَلمّا نخضّبْ صفحةَ الأَرضِ بالدم

---

(١) الوشيج : شجر الرماح .

(٢) الأعلاج : جمع علج وهو حمار الوحش .

إذا لَمْ نثرها يلفح الوجهَ حرُّها وَيفرق من أهوالِها البطلُ الكمي

فلسنا الأُولى تأبى هواناً نفوسُنا وَلسنا لقَيسٍ أَو لقحطان ننتمي

وَما هي إلاّ صرخةٌ ثم أُختهـا تطير لها الأبطالُ من كلِّ مجثم (١)

فَمَن مُبلغٌ (غورو) (٢) وَمن لفَّ لفه وَشايعه من كلِّ مَنْ قلبه عمي

مقالة صدق إن وَعاها أَحسَّ في جوانحِـــه ما دونه أم ملدم

إذا ما كبا في (الدردنيل) إلى يدٍ ففي الشامِ يكبو لليدين وَللفم

لأَنّا أُناسٌ ما استبيح لنـا حمى ولا حرم من عهدِ عادٍ وَجرهم

إذا خصمُنا لم يندملْ جرحُ عينه كويناه قسْراً كويةَ المتلوم

* * *

سقى اللهُ أحقافَ (٣) الحجازِ وَجادها بكلِّ ملثٍّ (٤) دائمِ الهطلِ مرهم

منابتُ عزٍ فارعات فروعُـــه وَمرقى إباء لا يُنـــال بسلّم

أَماطوا الأَذى عنهمْ بحدِّ سيوفِهم وَلم تنطلِ الأَوهامُ يوماً عليهمِ

* * *

---

(١) المجثم : محل الجثوم ويقال جثم الطائر أي تلبّد في الأرض .

(٢) هو الجنرال غورو الذي غزا سورية ودخلها بعد معركة ميسلون التي استشهد بها البطل يوسف العظمة .

(٣) أحقاف جمع حِقْف ، والحقف الرمل المعوج .

(٤) الملث : المطر .

إلى (فيصل) [1] لا يثلم اللهُ حدَّه ... قوارص قولٍ دونها كل مِخْذَم [2]

إذا بلغته أحرج الهمُّ صدرَه ... وَقبَّض وَجهَ العابسِ المتجهم

وَأُقسمُ بالبيتِ الرفيعِ عمادُه ... وَحرْمةِ ما بيْنَ (الحطيمِ) (وَزمزم)

عَلَى أنه لا يبرح الدهر قائماً ... عَلَى كشْفِ ضرٍّ الموجعِ المتظلم

أفيصل إنْ سَلّمْتَ مقدارَ ذرةٍ ... مياسرةً من حقنا لا نسلم

نفضنا يدينا منك لا عن تباغضٍ ... وَكنّا بحلٍ مَعْك من كل محرم

حنانيك إن زلَّ اللسانُ ببعض ما ... يخالف آدابَ المقام المعظم

فما ذاك إلاّ نفثةٌ قذفتْ بها ... لواعجُ همٍ في فؤادٍ مكلم

* * *

في ١٧ ربيع الأول ١٣٣٨ ﻫ

١٩٢١ م

---

(١) فيصل : هو الملك فيصل الأول ملك العراق ثالث أولاد الملك حسين الهاشمي وسبق انه انتخبه الشعب السوري ملكاً على سورية ولكنه اثر معركة ميسلون سنة ١٩٢٠ التي انتهت باحتلال الجيوش الفرنسية للبلاد السورية ان غادر فيصل دمشق .

(٢) المخذم : السيف القاطع .

الى اللجنة الوطنية العليا

نشرتها جريدتا « العاصمة » و « الأردن »

أنا ما حييتُ فقدْ وَقفتُ لأُمتي — نفسي وَمالي في سبيلِ بلادي
فإذا قتلتُ وَتلك أقصى غاية — لي فالوصيةُ عندهـا أولادي
بنتٌ لتضميدِ الجراحِ وَيافعٌ[1] — يُعنى بتثقيفِ[2] القنا الميادِ
حتى إذا بلَغَ الأَشُدَّ رأتْ به — ذخراً ليومِ كريهةٍ وَجِلادِ[3]

* * *

في ٢٠ ربيع الأول ١٣٣٨ هـ
١٩٢١ م

ونشر الأمير شكيب أرسلان في جزيرة الأردن جواباً على أبياتي التي أولها (أنا ما حييت فقد . . الخ . .) هذه الأبيات :

قلْ (للخليل) مفدّياً أوطانَه — وَموصّياً إنْ راح بالأولاد

(١) اليافع : الغلام الذي ناهز البلوغ .
(٢) التثقيف التقويم يقال ثقّف الرمح أي قومه وسوّاه .
(٣) الجلاد : النضال .

هذا لتثقيفِ القناةِ وَهذه   وَقفٌ لأَسوِ جراحةٍ وَضماد

في مثلِ هذا يا ابنَ مردم يلتقي   عظمُ الجدودِ وَسُؤددُ الأَجداد

إنْ كان في الشبانِ مثلك جملةٌ   فَلَنَــا الرجاء بأُمةٍ وَبلاد

أَفديك بالروحِ العزيزةِ إنها   لفداء مثلك من عزيزٍ فادي

الاستقلال أو الموت

نشرتها جريدة المفيد

أَرأَيتَ كيفَ ذَرَى الدموعَ وَناحا لما رأى بَرْقَ الجزيرةِ لاحا
وَتنفسَ الصُعَداءَ[1] حتى إنْ سرتْ نسماتُ أَوديةِ العقيقِ ارتاحا
وَإِذا عرته من التشوّقِ غَشْيَةٌ[2] ثم استفيق بذكرِ (مكة) صاحا
بلدٌ دعا فيه (الحسينُ)[3] إلى التي تركتْ معبّسةَ الوجوه صباحا
أملٌ به قد عاد أَخضرَ ناضراً من بعد ما قالَ العداةُ انصاحا
حيّتكِ يا شبهَ الجزيرة مزنةٌ تدع المفاوزَ والملاع[4] قراحا
هل تعلمين بما أَصاب بلادَنا فالبغي مدَّ عَلَى الربوع جناحا
كان الذي ناب البلادَ وَأَهلها قدر تطيش له الحلوم متاحا
ضاقتْ عَلَى أَبنائِها أَرجاؤها وَغدا عليها الأَجنبيُّ وَراحا

(١) الصعداء التنفس الطويل .
(٢) الغشية الغيبوبة .
(٣) هو الحسين بن علي ملك الحجاز وقد ترك الحجاز إثر استيلاء السعوديين عليها.
(٤) الملاع : مفازة لا نبات فيها والقراح المخلصة للزرع .

في الشامِ ما يدع الحليمَ محمّقًا   جمحتْ به خيلُ الأناةِ جماحا
هاضوا جناحيها وَخلوا قلبها   غرضًا يسيل من السهام جراحا
وَ (ببعلبكَ) حوادثٌ لو أنها   تنمى لعمرو[1] ما أساغَ الراحا
هتك المحارمَ وَهو جدّ محرمٍ   أضحى لأعلاجِ البغاةِ مباحا
المحصناتُ مباحةٌ حرماتُهـــا   تجد السياطَ عَلَى الخصورِ وِشاحا
كم مسجدٍ حرقوا وَكم مِنْ راكعٍ   سالتْ دماؤهُمُ بها ضحضاحا[2]
أضحى كتابُ اللهِ وَهو ممزقٌ   أرجوا[3] إليه أسنةً وَصفاحا
يا غيرةَ الله اغضبي لكتابهِ   إنْ قومه لم يبذلوا الأرواحا
يا أيها الثوار هذا يومكمْ   فإذا انقضى لا تدركون فلاحا
إنّ المواثق والعهود تمخضتْ   عن شَوْبٍ[4] مكر عاد بعد مراحا
حلفاؤكمْ حسبوا البلادَ غنيمةً   جادوا بها إذْ قسّموا الأرباحا
الحكمُ لله المهيمن لا لهمْ   ذلّ الذي يلقي الغداةَ سلاحا
لا خيرَ في وَطنٍ وَلا في أهله   ما دام محتل الذرى مجتاحا
ما زلتُمُ في فسحةٍ من أمرِكم   كي تبعثوها غارةً ملحاحا

---

(١) اشارة إلى قول عمر بن كلثوم في معلقته : وكأس قد شربت ببعلبك .
(٢) الضحضاح الماء اليسير القريب القعر .
(٣) أرج : خلط .
(٤) الشوب : ماخلط بغيره .

هي جولةٌ لا تنجلي إلاّ وَقــدْ بلغتْ بها نفسُ الأَبيِّ نجاحا

بل ليلةٌ ظلمـاء دانٍ صبحُهـا حمد السُرى من أدرك الأَصباحا

أَين الكتائبُ منكمُ رجراجةً تذر الروابيَ والتلاعَ[1] بطاحا

أَين الأَسنّةُ والرماح شواجراً[2] عقدتْ عَلَى مهجِ العدو نكاحا

الموتُ أَربحُ صفقة من عيشةٍ مِنْ أَسرِها لا ترتجون سراحا

* * *

قل للأُلى يتربصون بنا الردى ما كل من أدلى الدلاء امتـاحا[3]

تَرِبَتْ[4] يدا من يبتغي إذلالَنا أَودى به عادي الغرورِ وَطاحا

* * *

في ربيع الثاني ١٣٣٨ هـ

١٩٢١ م

---

(١) التلاع جمع تلعة والتلعة ما علا من الأرض .

(٢) شواجر : شواغل يقال رماح شواجر أي مختلفة الطعن .

(٣) امتاح الماء : استخرج الماء :

(٤) ترب : أصابه التراب .

مَوت حاكم كورك

ماك سويني

[اطلب الموت توهب لك الحياة]

أَبى رقَّ الحياةَ فماتَ حرّا وَأبلغَ نفسَه في ذاكَ عذرا
أبيٌّ ساغَ كأْسَ الموتِ صِرْفاً دهاقاً [1] حين طعم العيشِ مرّا
وَتامَتْ قلبَه بكرُ المعالي فقدَّم نفسَــه في الحبِّ مهرا
وَأقسمَ لا يكون حماه نهباً مبـاحاً أو يموت طوىً فبرّا
قضى جوعاً وَربَّ ممضِ جوعٍ يكون عَلَى حياةِ القوم أمرا
وَما يدريك أَنَّ طواه يوماً يكون لقومِه بعثاً وَنشرا
بميتته رأى إحيــاءَ شعبٍ فأيقن أنَّ بعد العسرِ يسرا
فلو في كلِّ شعبٍ مثل (ماكٍ) [2] لما كانتْ خطوبُ القومِ تترى
عجبتُ له جليداً ذا اختيــارٍ يعـاني نزْعَـهُ شهراً فشهرا

---

(١) دَهاقَ : الكأس الممتلئة .

(٢) هو الشهيد المرثي حاكم كورك الذي أضرب عن الطعام حتى مات احتجاجاً على التعسف البريطاني .

إذا كَلَحَتْ[1] به زرقُ المنايا تهلّلَ وَجهُــــه وازداد بشرا
كأنَّ له عَلَى الأنفـــاس وِتراً فأدركَ من إفاظتهنَّ[2] وترا
كأنَّ حيــاتَه أَمرٌ عليه فخفَّفَ عنه عند الموت أصرا
فيالك سكرة غشيْتهُ لكنْ لقد كشفتْ عن الأَقوام ضرّا
ويالك ميتاً أَحيــا شعوباً وَشادَ لها عَلَى الأَيامِ ذكرا
فديتك هل نذرتَ النفسَ يوماً عَلى منعِ الحمى فوفيتَ نذرا
بنفسي أَنت من هادٍ إمامٍ أَنارَ لمدْلـجٍ[3] الأَقوامِ فجرا
عظامُك وهي جوفٌ باليات رفعتَ بهـــا بناءً مشمخرا
ونفسُك وهي ذاهبةٌ شعاعاً أَظلّتـــه رواقاً مسبطرا
إلى الاخرى عهدتَ الصومَ ذخراً وصومُك كان في الدارين ذخرا
ليهنك أَنَّ أَهلَ الأَرضِ إلبٌ[4] عَلَى أَن يدركوا لذويك ثأرا
كأَنك من ذوي قرباهمُ لمَّا رثيتُك باكياً نظماً ونثرا
ولم تك ذا ولاءٍ في مَعَدٍ ولم تبلغْ بك الأَجدادُ (فِهرا)
ولكني بكلِّ فتى كريمٍ أَخي ثقةٍ عزيزِ النفس مغرى

(١) كلَحَ تكشر في عبوس .
(٢) فاظ : مات .
(٣) المدلج : الذي يسير في الليل .
(٤) الإلب ، القوم تجمعهم عداوة يقال هم عليّ ألب واحد .

فنبئني أَعَيْشُ المرء خيرٌ بذلٍ أم رداه فأنت أدرى
إذا كانت حياةُ المرء أَسراً فإنَّ الموتَ بالأَحرار أحرى
فأُفٍ للجبان وكل نذلٍ يُقاد إلى حياضِ الذلّ قسرا
وأُفٍ للأُولى ظلموا وجاروا وآلوا أن يسودوا الناسَ قهرا
فلولا الظلمُ والأَطماعُ كنا لآخرِ دهرنا ماءً وخمرا

* * *

نشرتها المقتبس في ٢٣ صفر ١٣٣٩ هـ

وفي ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ نقلتها عن المقتبس جريدة البرق البيروتية الذي يصدرها الشاعر بشارة الخوري مع هذه المقدمة .

إلى شهيد ايرلندا

القصيدة التي تقرأ نشرتها المقتبس دون ما كلمة إعجاب بما اشتملته من إبداع حتى ليمر بها غير المضطلع بأسرار القريض فلا يدرك فيها تلاعب الشاعر واقتدار اللغوي وفصاحة المنشيء وسمو الموضوع ، محاسن قل أن وجدتها في ماقرأنه لكبار شعرائنا منذ مطلع الانقلاب إلى اليوم ومن أجل ما وجدناه فيها لم نر أن نجلوها للقاريء دون هذه التوطئة .

واعربيتاه

نشرتها جريدة البرق في ٥ شباط سنة ١٩٢١ م

الموافق ٧ جمادى الثانية ١٣٣٩ هـ

بَرِحَ الخفاء فلستُ أكتمُ لوعةً — عَبَثَ الأسى بين الضلوعِ وهاجَها
دافتْ[١] ليَ الأيامُ كأسَ قطيعةٍ — تأبى المودةُ أنْ أسيغ أجاجها[٢]
فذكتْ بقاصيةِ الجوانحِ جمرةٌ — ضمنتْ وإنْ طأمنتها إيهاجها
والسهدُ حالَفَ مقلةً مقروحةً — من طولِ ما قد أرسلتْ ثجّاجها[٣]
من لي بمن تشجيه أخبارُ الهوى — فالنفسُ تأنس إنْ رأتْ أزواجها
فلقد ضربتُ من الهيامِ بوافرٍ — وَركبتُ من لُججِ الهوى أثباجها[٤]
قل للأُولى اتخذوا الملامةَ ديدنًا — أنا لستُ أسمع في الملامِ حجاجها
ما كان لي في الحبِّ رأيٌ إنما — هي علةٌ جهل الأُساةُ علاجها

(١) دافَ الدواء خلطه وأذابه .

(٢) الأجاج : المر من الماء .

(٣) ثجّاج : السائل وهنا كناية عن الدمع .

(٤) أثباج جمع ثبج والثبج من كل شيء وسطه

دافعته جهدي فلما آذني		أسلمته نفسي فقاد لجاجها
عبثاً أكلفها الفطامَ عن الصبا		بة بعد أنْ قدْ خامرتْ أمشاجها[1]
ليكاد يذهبها شعاعاً يأسُها		لولا أمانٍ يعترضنَ فجاجها
هذي الشبيبةُ وَهي خيرُ وَسيلةٍ		أمسى التوجُّدُ كافلاً إنهاجها
سقياً لأيامٍ تقادم عهدُها		بلغتْ بها نفس المتيم حاجها
سالمنني حتى وَردتُ مواردا		قد كان سمّ السالخات مزاجها

* * *

يا ليلةً باتتْ تنازعني بها		نفسي اللقاء فأزمعتْ إدلاجها
فقطعتُ مَوْماةً[2] عزوفاً جُنها		ضَلَّتْ بها كدرُ القطا منهاجها
حتى وَلجتُ خباءها متنكراً		وَكفأتُ من خوفِ الرقيبِ سراجها
ما كنت أعلم كعبةً مأمومةً		من قبلها ما أَمَّنَتْ حجاجها
وَكأنَّ نقطَ مدامعي في نحرِها		بردٌ بمرآة جلوتُ زجاجها
بأبي الربوعَ وأهلَها وَجوارَها		بل مَنْ رأى تلك الربوعَ وَعاجها
فلكم جعلتُ دواءَ نفسي ماءها		وَجعلتُ أَنْعَدَ ناظريَّ عجاجها

* * *

(١) أمشاج: جمع مشج والمشج ما كان مختلطاً.
(٢) مَوْماة: المفازة الواسعة.

قالتْ وَلم تملكْ بوادرَ دمعِها والغيظُ ينفخ كظمه أوداجها
ما أنت من همّي وَلا من لوعتي فارفقْ بنفسي أن تزيدَ هياجها
هبك (ابن حجر)[1] بالقوافي حرة بل هبك في رجّازها (عجّاجها)[2]
أتظن أنَّك نافعي من بعد ما أنهجتمُ[3] ومن رقعتي ديباجها
مهما تكنْ أو لست من بعض الأُولى عادتْ بهم رسل المنى أدراجها
هجروا من الكلمِ الصحاحَ سخافةً واستبدلوا بعرابهـــا أعلاجها
لم يتركوها بعد ذاك وَشأْنها بل أجهزوا كي يطفئوا وَهّاجها
هذي اللغاتُ عَلَى حداثةِ سنِّها أمسى جوادي تالياً هملاجها[4]
هل من يجير حشاشتي من زفرةٍ ضمنتْ إذا صعّدتهـــا إخراجها
وَإذا أُحاول كظمَها حرجتْ بها نفسي وَلستُ مفرِّجاً إحراجها
واهاً لآسادٍ فمنذ ثكلتهمْ قصرتْ يدي عن أنْ تذودَ نعاجها
يا هل تردُّ ليَ الليالي جيرة نوتِ النوى عن موطني إزعاجها
صمدتْ لعادي الدهرِ أطولَ مدَّة لو لم يقدرْ فرعه أَبراجها
تتمخضُ الأيامُ لي عن طالعٍ وَأرى بأنحس طالعٍ إنتاجها

---

(١) هو الشاعر امرؤ القيس .
(٢) هو العَجّاج الراجز المشهور .
(٣) أنهج : أخلق .
(٤) الهملاج من البراذين واحد الهماليج ومشيها الهملجة فارسي معرب .

عزَّ الثقات من الرواةِ بما رووا أيامَ تسمع للجدال ضجاجها
بل عزَّ أَشياخُ النحاةِ بعلمها فرّائها[1] وَقرينه زَجّاجها[2]
واضرِبْ بطرفِكَ هل ترى من أُمة عقدتْ عَلَى هام ِ المجرَّة تاجها
إلاَّ وَللّغة المقـــام المجتبى جعلوا إلى هام ِ السها معراجها
وَإلى هنـا عَقَلَ البكاء لسانَها والحزنُ حتى ما تسيغ مُجاجها[3]
لله مرتجاً عليهـــا في الأَسى ما كان أَبين في الأَسى أَرتاجها[4]
فاقضوا معي نذرِ الدموعَ على التي رتجتْ عليها الحادثاتُ رتاجها

* * *

(١) الفرّاء هو يحي بن زياد إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة .
(٢) الزجاج هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري عالم بالنحو واللغة .
(٣) المجاج : الريق ، العسل .
(٤) أرتج : الباب أغلقه .

لوحة الوحدة

فيم التقاطعُ والأرحامُ واشجةٌ		والدارُ جامعةٌ والملتقى أَمَمُ (١)
الله في قطعِ أرحامٍ وَفصمِ عرى		عهدي بها وهي وثقى ليس تنفصم
تأبى وَشائجُ من قربا كمُ اشتبكتْ		أنْ يُنقضَ العهدُ والميثاقُ والذمم
أواصرٌ عندنا من وَصلِها نعمٌ		بقطعِ أسبابِهـا تستنزل النقم
حصنٌ من الشملِ إنْ يفرع (٢) فليس لنا		والله من بعده يا قوم معتصم
أفي الحصافة صدع الشملِ في زَمَنٍ		وَنحن أحوج ما نضوي وَنلتئم
وَهل ترى فئةً في أمرِها انقسمتْ		إلاّ وَأصبح عقبى أمرِها الندم
ماذا عسى أنكرتْ من (جلّق)(حلب)		بل ما عسى أهل لبنانَ يريبهم
بلادُنا وَيدُ التقسيمِ تعلقهـا		كأنها رقعةٌ ينتابهـا جلم
أكلّ حاضرة دارٌ لمملكةٍ		أبعاد ما بينهن الفتر والبصم (٣)

---

(١) أمَمٌ : قريب .

(٢) أفرع : انحدر .

(٣) البصم مابين طرف الخنصر إلى طرف البنصر .

لمفحص من أفاحيص[1] القطا[2] حرج   حامتْ عَلَى سمْته العقبانُ والرخم
أَبقى وَأَوسع عند الظنِ من دولٍ   يحصي مساوفهنَّ الشبر والقدم
وَكلّ مملكةٍ ضاقتْ بساكنها   ليست بمملكةٍ بل إنها رَجَم[3]

* * *

إنَّ التخاذلَ إلاّ في مواطننـــا   خلق تحاماه حتى الأَعبد القزم
لقد أَضعنا تراثَ السالفين سوى   نارٍ من الحقدِ والأَضغانِ تضطرم
أَكلّما قام داعٍ للوئام بنـــا   إذا بأَسماعنا عن قولِه صمم
من مبلغ الحمس من (قيسٍ) وَمن (يَمَنٍ)   إنّا عَلَى كل أمرٍ دَقّ نختصم
بل مَنْ يبلغُ (مخزوم[4]) التي شمخت   بآنف زانهن الكبر والشمم
إنّا عَلَى الهون نستخذي فآنفنا   إمّا مجدعةٌ بالهون أَو خزم[5]

* * *

قالوا وَفي الدين بونٌ دون وَحدتنا   إلى متى باسم هذا الدينِ نقتسم
لئنْ أَصرّوا عَلَى أَهواءِ أَنفسِهمْ   لا الدينُ يبقى وَلا الدنيا وَلا الشيم

* * *

في ١٧ رجب ١٣٣٩ ﻫ
١٩٢٠ م

---

(١) أفاحيص جمع أفحوص وهو الموضع الذي تفحص القطاة التراب عنه لتبيض به .
(٢) القطا جمع قطاة والقطاة طائر في حجم الحمام .
(٣) الرجم : القبر .
(٤) مخزوم : احدى القبائل المذكورة بالكبر .
(٥) خزم : أي مثقوبة .

النسيبُ

البدوية

إنْ كانَ وَصلُكِ لم يدمْ ... ما بال طيفكِ لا يُلِمّْ ؟
أضننتِ حتّى بالخيا ... لِ فأَيْنَ للعربِ الكَرَم ؟
العينُ بعدكِ لم تَنَمْ ... واستبدلتْ بالدمعِ دم
طالَ التقاطعُ بيننا ... والوصلُ كان ، كلا ، وَلم

* * *

واهاً لأيامٍ مَضَتْ ... بالصفوِ والخيرِ الأعم
الصبُّ يشفي سقمَهُ ... بوصالِ داعيةِ السقم
فَخَلَتْ له وخلا لها ... والليلُ أسفعُ[1] مدلهم[2]
فتعانقا ، صدرٌ لصد ... رٍ قد دنا وَفمٌ لفم
والشوقُ لفهما فمن ... فرعٍ يجول إلى قدم

* * *

يا مَنْ يؤنِّب في السها ... دِ اترك له عيني وَنم

(١) الأسفع : الثوب الأسود .
(٢) شديد الظلمة يقال ادلهم الليل إذا اشتدت ظلمته .

خلِّ الشجيَّ بحـاله يهلكْ أسىً وَخلاك ذم
فالنفسُ أولع ما تكو ن بمن تحبُّ إذا صرم

* * *

كم غادةٍ حضريّةٍ كمل الجمالُ لها وَتم
جادتْ بما ضنَّتْ به (لميـاء) قائلةً هلم
فأَجبتها : قلبي عَلَى (لا) إن جرت بفمي (نعم)
قَدْ كنت أولى بالهوى لولا المواثقُ والذمم
تأْبى نوازعُ[1] من فؤا ديَ والمودَّةُ والرحم
أَن لا يكون هوايَ مع (لمياء) حيث نوتْ يؤم
إنَّ التي تدعينها بدويةً ترعى الغنم ...
أفدي بداوتَهـا بمنْ هو بالتعمّل معتصم
العنجهيَّةُ[2] والجفـا ءُ بها يدل عَلَى الشمم
خيرٌ من اللينِ الذي من دونه لين الأَصم
بَدَأَ الفؤادُ بحبّهـا وَعَلَى الهيامِ بهـا ختم

* * *

في ٢٩ المحرم ١٣٤٢ ﻫ
١٩٢٣ م

---

(١) النوازع : الأشواق .
(٢) العنجهية : الصلف .

واكبدي

خلَّفَ الأَسى كبدي		بين ما ضغيْ أَسدِ
كَمْ أَضمُّها كأَبٍ		مشفقٍ عَلَى وَلدِ
كم أَبيتُ أَربطها		بالذراعِ والعضـــد
واصلتْ بأَلسنـــةٍ		من شواظِها كَتَدي[1]
كلّما عمدتُ لتبـ		ـريدِ حرّها يقد
جرحُها يظلّ على الأَ		سوِ غير منضمد
ما عَلَى بقيتهـا		لو وَهتْ مع الجلد
طالما طلبتُ لها		آسياً[2] فلم أَجد
أَطرَقَ الطبيبُ فلَمْ		يبتدئْ وَلم يعد
ذاده توهّجهـا		أَنْ يمسَّها بيد
كل ما أَشار به		بعد ذاك لم يفد

(١) الكتد . مجمع الكتفين .

(٢) الآسي : الطبيب .

ما بطبِّهِ أبداً عمدة لمعتمد
ما له (وَقيتَ) يد بالأَسى وبالسهد

* * *

يا ضمانةً ضمنتْ ان تطيل من كمدي
قد بلغت منيَ ما تشتهين فاقتصدي
جرت في القضاء عَلَى مهجتي بلا قَوَدِ[3]
لا مجير منك سوى أَنْ أَقول واكبدي

* * *

نشرتها جريدة ألف باء يوم الخميس في ٢٦ شعبان ١٣٤١ هـ
١٢ نيسان ١٩٢٣ م

---

(٣) القَوَد : قتل القاتل بدل القتيل .

لولاكِ

مضناكِ حين أمضَّ البينُ مضناكِ / بدمعهِ وَشعاع النفسِ حيّاكِ
صانَ التحيةَ حتى ما يبوح بها / إلى نسيمِ الصبا ضنًّا بنجواكِ
بعثتِ أشجانَه لمّا بعثتِ له / بالطيف يغريه تضليلاً بلقياكِ
واهاً له لم يذرْ منه سوى شبحٍ / قد خَلَّفَ الروحَ مختاراً بمغناكِ
يدنو بكفيه من قلبٍ وَمن كبدٍ / أصمتهما [1] بسهام الحب عيناكِ
إذا تناوَحتِ الأَرواحُ [2] ناح لها / بزفرةٍ ترجمتْ عن لوعةِ الشاكي
بكى الغمامُ لمبكاه كثاكلةٍ / مرى المدامعَ منها مشهدُ الباكي
يا ضلَّ ما جرتِ العذّالُ فيه وَلن / يزال يعبدُ بعد اللهِ إياكِ
هذا هو البدرُ في شتى مطالعه / أفي التمامِ أم الإهلال حاكاكِ
كأنه صورةٌ ما زال راسمها / يمحو وَيثبت كي تحكي محياكِ
والشمسُ في روعةِ الإشراق ماطمعتْ / بروعةٍ خصّها الباري بسيماكِ

---

(١) أصمى : رماه فقتله مكانه .
(٢) الأرواح جمع ريح وهي النسيم .

عزَّ اللقاء فهاجتْ بي نوازعُه فقمتُ من مرتقى (صِنِّين[1]) أرعاكِ
كالنسْرِ حلَّ عن أفحوصِ[2] هيثمِه[3] فصفَّ في الجوّ يرعى فرخه الماكي
كم نظرةٍ من ذرى (صنين) قد ومضتْ عيني بهــا علَّها تحظى بمرآكِ
كالبرقِ مؤتلقاً في الليل إذ خرقتْ جون السحائب تسري نحو مأواكِ
والشمسُ في الغرب دينارٌ يشعّ سنا رمتْ به يتلظّى كفُّ سكّاكِ
حاكتْ عَلَى البحر لما أزمعتْ غسلاً غلالةً أين منها كل حيّاكِ[4]
لمّا هوتْ نحوه شبّتْ به شعلٌ ما بين مسبحِ أسماكٍ وَأفلاكِ
كأنَّما هو مرآةٌ دنوت لهـا بجذوَةٍ فأشعّتْ نورها الذاكي

* * *

وَزهرةٍ تخجلُ الياقوتَ حمرتُها حييتُها بفمي إذْ أشبهتْ فاكِ
قبَّلتُها فتلظّى لونُها خفراً وَزدتُ فابتسمتْ عن ثغرٍ ضحّاكِ
شاعتْ بنفسيَ منها نشوةٌ عجبٌ لمَّا شممتُ لها ريّاً كريّاكِ
كأنَّها وَدموعي فوقهـا بددٌ خدّاكِ إذْ بدموعي ابتلَّ خداكِ

* * *

---

(٣) صنين جبال في لبنان .
(٤) الأفحوص : الموضع التي تفحص القطاة التراب .
(٥) الهيثم : فرخ النسر .
(٦) الحيّاك : الحائك .

وَربَّ عصفورةٍ في (الأرزِ[1]) ناعمةٍ هاجتْ بترجيعها في القلبِ ذكراكِ
تكاد تختطف الأبصارَ زينتُها لها تبرّجُ عرسٍ يوم إملاكِ[2]
حكتْ بمختلفِ الألوانِ بردتُها شعاعَ شمسٍ بروضٍ مونقٍ زاكي
بدتْ وَفي جيدها طوقٌ به اتسقت فرائدُ الدرِّ لم تنظمْ بأسلاكِ
مالتْ بمنقارِها القاني عَلَى عنقٍ فخلتُ أسوارَ ياقوتٍ بيمناكِ
قد استدارتْ عَلَى فرع براثنُها كخاتمٍ من عقيقٍ زان صغراكِ
كأنما دمعُها إذْ جفَّ آضَ[3] دماً بعينها فأجالتْ عينَ فتّاكِ
عصفورةَ (الأرزِ) لي -والله يكلؤها- عصفورةٌ في ظلال (الحورِ[4]) شرواكِ
لله ما هجتِ من أشجانِ مغتربٍ لمّا هتفتِ به بالدمع لبّاكِ
إذا بكيتُ فناءٍ شاقه سكنٌ فما الذي في غصونِ الأرز أبكاكِ
إلى كم النوح والترجيع فاستمعي لبلبلٍ من رياضِ الشام غنّاكِ
في (الغوطتين) تلقّى لحنَه فلقدْ واتاه ما لم يكنْ في النوح واتاكِ
فهل تجيدين تحنانَ الغريبِ إذا بالنوحِ والبثِّ والشكوى تحدّاكِ
خذي التفجعَ وَأروي البثَّ عنه فما غير الشجي من الألحانِ روّاكِ

(١) الأرز : قرية في لبنان يوجد بها شجر الأرز الشهير .
(٢) إملاك : تزوج الرجل .
(٣) آض : رجع ، عاد .
(٤) الحور : شجر الحور والشاعر هنا يكنى عن مدينة دمشق حيث يكثر حورها .

ما نفّرته عن الروض الأريض سوى حبائلٍ نصبتْ فيه وإشراك
وَربّما أزعجته عنك أغربةٌ إنْ أدركتْ وَكنَه يوماً تحاماك
واسيتهِ وجواري[1] السعدِ مدبرة فربما أقبلتْ يوماً فواساك
لولاكَ أسلمتُ نفسي وحشةً وَأسى دعي بكورَكَ عن عشي وَمغداك
إذا سغبت رمى قلبي بجبته وَإن ظمئت فعينُ الدمع أرواك
إليك أُغرودةً أوحى الحنينُ بها وَهاكِ ما فاضَ من نفسي أسىً هاك

* * *

وَبيعةٍ[2] أخبتتْ نفسي بهيكلها كأنّما أنا جاثٍ في مصلاّك
حفتْ به كلُّ عذراء فكدت أرى حظيرةَ القدس قد حُفّتْ بأملاك
مدَّ الصليبُ ذراعيه كوالدةٍ همّتْ بضمِ ابنِها مِنْ نطعٍ[3] سفّاك
خشعتُ إذْ قَرَعَ الناقوسُ في سحرٍ من ليلةٍ ذات أسدافٍ[4] وَأحلاك
يرنّ أرنانَ أوّاهٍ تملّكه حالٌ يباعدُ عن حسٍّ وَإدراك
له تواجدُ[5] صوفيٍّ إذا ذكرتْ (ليلى) بحلقةِ زُهّاد وَنُسّاك
حنتْ عليه حنوَّ الصدر قبّته إذْ كان كالقلب خفْقاً حين يلقاك

---

(١) الجواري مفردها جارية وهي الشمس والجارية أيضاً الريح .
(٢) البيعة الكنسية .
(٣) النطع : بساط من الجلد يُفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب .
(٤) أسداف جمع سدف والسدف الظلمة .
(٥) تواجد أري من نفسه الوجد والوجد المحبة .

نيطتْ به كوتينِ[1] القلبِ سلسلةٌ ... إذا الوتين تنزّى يوم بشراك

له هناة عَلى فكّيه دائرةٌ ... لَما تدير سواكاً كفٌ مستاك

حكى المؤذنَ في تكبيرِ بارئه ... وَإنْ تلجلج في تكبيره الحاكي

توافقا في انتحاء القصد واختلفا ... في النهجِ ما بين توحيد وَإشراك

* * *

ليت الليالِيَ أعطتني هوادَتها ... كأنما هي مغراةٌ بإهلاكي

كم شدةٍ أذهلتني عند سوْرتِها ... عَنْ كلٍّ ما علقته النفس الاّك

لولاك ما ارتعتُ في سربي وَعاقلتي ... وَلست أمتن إمّا قلت لولاك

لابلّغتني وَفي ذكراك كل ضنىً ... مطية العمر يوماً فيه أنساك

الله حسبي لقد أشبهت (حيدرة[2]) ... يُغنى بكل اضطهاد من تولاك

فلا تردّي له جهد المقلّ إذا ... بالروح والمال والأهلين فدّاك

المروج : لبنان . في ٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٥

كان الشاعر مطارداً من الحكومة الفرنسية حينما نظم هذه القصيدة وكان متوارياً في قرية المروج بلبنان . وان القارىء ليلمس في هذه القصيدة حرقة النازح وتفجع الغريب . وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة البرق البيروتية ثم نزح الشاعر إلى الاسكندرية ومنها الى لندن وظل أربع سنوات بعيداً عن وطنه وأهله حتى صدر قرار من الحكومة الفرنسية بالعفو عن أحرار الشعب في سورية .

---

(١) الوتين عرق في القلب .

(٢) حيدرة هو الامام علي بن أبي طالب .

كتابُ

كتابُكِ حينَ أُلقيَ لي   دعا قلبي إلى حبِّكْ

* * *

عيونٌ من كلامكِ قدْ   أرتني كلَّ ما يُصبي

وَمثَّلتْكِ للقلبِ   فَهامَ وَلجَّ(1) بالحبِّ

فيـــا لله ما لاقىٰ   فؤادُ الصبِّ من كتبكْ

* * *

فَكَمْ هيَّجتِ لي نفساً   تنـــازعني للقيـــاكِ

وَكمْ أسهرتِ لي عيناً   وَما اكتحلتْ بمرآكِ

فما هذا الذي ألقى   أمنْ كسبيَ أم كسبكْ

* * *

وَمذْ وَقفتْ عليك العيـــــنُ في جمعٍ بناديكِ

لكدتُ بوحيِ نفسيَ قبـ   ـل معرفةِ أُناديكِ

همتُ بذا وَلم أفعلْ   حياءً منك في سربكْ

* * *

---

(1) لجَّ : تمادى .

أُمورٌ قبل حبّكِ ما لديَّ بمثلِها عهدُ
عَلَى عيني التي نظرتْ أَلَحَّ الدمعُ والسهدُ
وَفي قلبي حسيسٌ[1] لظى فهل أحسستِ في قلبكْ

* * *

إذا إغفاءةٌ سنحتْ فأَنتِ الهاجسُ الآخرْ
وَحين أَهبُّ من نومي فليس سواكِ من خاطرْ
وَفي نومي المشرَّدِ لا تزالُ النفسُ تحلم بكْ

* * *

خيالُكِ وَهو نصب العيـــنِ يشغلها عن الناسِ
وَذكرُكِ لا يني وأَيـــك موصولاً بأَنفاسي
فأَنتِ لديَّ ماثلةٌ عَلَى بعدكِ أَو قربكْ

* * *

مُنىً بَيْنَ الرجا واليأْ سِ مثل الشمسِ في السحبِ
يحسُّ دبيبهَا قلبي وَيلمح رَيْبَها لبّي
فما أَدري أَمِن محضِك أُسقى اليوم أَم شوبكْ

* * *

(١) الحسيس الحركة .

أَلَنتِ القولَ بل منّـ ... تني بالودّ تلميحا
فهلْ لك أَن تبيني به ... د طورِ الشكّ تصريحا
إذا كان الذي قدّر ... تُ من جدكِ لا لعبك

* * *

فما قُمْرِيّةٌ[1] ألقى ... بها الجزّارُ مذبوحهْ
مشتْ شوطاً تظنُّ نجتْ ... فقرّت وَهي مطروحه
بأكثر روعة منّي ... غداةَ فُصلتُ عن جنبك

* * *

حنانيكِ ارفقي فالوجـ ... ـدُ لا تقوى عليه يدي
لظاه صدّعتْ خلدي ... وَسوْرته وَرتْ كبدي
فإن لم تجزني بالحبّ ... حباً فاُجزي من حَدْبك[2]

* * *

لئنْ أنكرتِ وَجهي إننـ ... ـي أنكرته قبلُ
نضارتُه التي كانتْ ... محاها الدمعُ ينهلُّ
فكيف منعتني وَصْلاً ... وَجاري الدمعِ من سيْبك[3]

* * *

(١) القمريّة : ضرب من الحمام .
(٢) الحدب : العطف .
(٣) السيْب : العطاء .

حناني الوجدُ حتى خلـــــتني جزتُ الثمانينا
وَشاعَ[1] الشيبُ في رأسي وَلَمْ أبلغ ثلاثينا
فإن راعَكِ ما بي مِنْ نحولٍ فهو من ذنبك

* * *

لِداتي[2] إنْ مشوا حولي يظنُّ الناس أولادي
فيا عجباً أكون أباً لمن أدرك ميلادي
بحبكِ ما بذلت من الـــحياة عَلَى الهوى حسبك

* * *

فما بي غير أنفاسٍ تفيضُ عليكِ أشعارا
بعثتُ بها إليكِ لكي تكون لديك تذكارا
تحومُ عليك أنّى سرْت في شرقِك أو غربك

* * *

إذا صوَّرتُ ظلمك لي وَكيفَ قتلتني كرْبا
وَكيف بخلتِ حين بذلـــتُ فيكِ النفسَ والقلبا
رأيتُ الحبَّ يدفعني لأن آخذ في ثلبك

* * *

---

(١) شاع : فشا :
(٢) اللدة : هو الترب ولدةُ فلان من ولد معه .

كطفلٍ أغضبته الأُمُّ إذْ منعته ثديها
فصاح يريدُ يشتمها لتحضنه بزنديها
فلا تجدي عَلَى صبٍّ لحبّك زلَّ في سبكّ

* * *

حياةُ المرء كالسفرِ وَفيها الحب كالشعرِ
فكيف=وَأَنت شاعرة= بهذا الشعرِ لم تدري
أَم أنَّكِ إِذْ علمتِ به سدلتِ عليه من حجبكِ

* * *

وَربَّ حمامةٍ هتفتْ بجنحِ الليلِ من فَنَنِ
فلم أفهمْ معانيها وَلكنْ هيَّجتْ شجني
فبتُّ أُريق من دمعي وَأَشربه عَلَى نخبك

* * *

وَرَجَّعتُ الحنينَ فكا د قلب الليلِ ينصدعُ
وَأَذريتُ الدموعَ فكا دطرفُ النجمِ ينهمعُ (١)
وَكدت أرى الحنانَ علـــيَّ يهبط من لدن ربك

في آخر ربيع الآخر ١٣٤٣ هـ
١٩٢٤ م

(١) همعت العين سال دمعها .

الشرط أملك

يا مَنْ يعيد ليالينا التي انصرمت ... بما يشاء من الأعوام من أَجَلي ؟
إذا خلونا جعلنا شرط ليلتنا : ... من نام ، نبَّهه اليقظانُ بالقبل
فكنت أنومَ من فَهْدٍ[1] بيقظتها ... كيما تقبِّلني غلاً عَلَى نهل
وَإِن غفتْ أو بدتْ في عينها سنةٌ[2] ... أهويتُ ألثمها = والشرط أملك = لي
فيا لها ليلة معسولة ضمنتْ ... أ. لا تزال من التقبيل في شغل

* * *

الاسكندرية في ١٠ شعبان ١٣٤٤ هـ
و ٢٣ شباط ١٩٢٦ م

---

(١) الفهد : نوع من السباع :
(٢) سنة غفوة .

على قبر زهرة ذاوية

« عن الفارسية بتصرف »

أرى الأزهارَ تُبعثُ في الربيعِ
فما لك طالَ عهدُكِ بالهجوعِ ؟
أفيقي وَانظريها حانياتٍ
عليك لتنهضي عنقَ الشفيع
شقائقُ طالما افتقدتك حتى
جرى دمعُ الشقائقِ بالنجيع
لئن ضنّ الغمامُ عليكِ إني
سقيتُ ثرى ضريحكِ من دموعي

* * *

في ٦ صفر ١٣٤٩ هـ
٢ تموز ١٩٣٠ م

ردت علي شبابي

كأسٌ تدارُ عَلَى هوى الأَحبابِ   شفة تعللُ راشفاً برضاب
وَلها وَللإِبريقِ حين تناجيا   لغوٌ وَقهقهةٌ وَهمس خطاب
بعثتْ بأحلام تجددُ صبوتي   وَبذكرياتٍ للشباب عِذاب
فوجدتني ملآن من مرحٍ بها   والعجبُ والخيلاء ملء إهابي
عادتْ بي الذكرى إلى عهدِ الصِبا   فكأنَّها ردَّتْ عليَّ شبابي

* * *

وَصبيحةٍ تختال في بردِ الصِبا   والحسن سوداء الفروع كعاب(١)
قالت وَقد رأتِ المشيبَ بلمَّتي   لوددتُ لو أَنَّ البياضَ خضابي
فالبحرُ في إزباده والغصنُ في   إزهارِه أَدعى إلى الإعجاب
بتنا عَلَى حكم الكؤوسِ وَطالما   قَدْ عوَّدتنا منَّةَ الوهّاب
وَهبتْ لبعضٍ بعضنا وَترفَّقتْ   وَتعفَّفتْ إلاّ عن الأَسلاب

---

(١) الكعاب الجارية نهد ثديها .

كنا نعدُّ كؤوسنا حتى إذا كثرتْ شربناها بغيرِ حساب

وَبدا لنا أنَّ الشفاهَ وَرشفَها أروى عَلَى ظمإٍ من الأكواب

ما زال من عَرَقِ العناقِ وَطيبه بعد التفرُّقِ عبقةٌ بثيابي

* * *

في ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٦٠ هـ

و ٢٣ تموز ١٩٤١ م

لمحة

لاحَ في جنحِ الظلامِ   بارقٌ شبَّ غرامي
يخطف الأَبصارَ بلْ   يخلبُ لبَّ المستهام
من رأى رايةَ نورٍ   في أهاضيب[1] الغمام
خَفَقَ القلبُ لها إذْ   خفقتْ ذات اضطرام
لمحةٌ منه رمتْ   قلبَ المعنّى بسهام
لا تكن إذْ أقصدته   رميةً من غير رام
أتراه خلّباً   يومض في غيثٍ جهام[2]
لم تشمه العينُ إلاّ   فاضَ دمعي بانسجام
ما عَلى من شقّ ثو   بيه هياماً من ملام

* * *

يا رياحاً حملتْ   أَردانُها ريّا الخزام

(١) أهاضيب جمع اهضوبه وهي الدفعة من المطر .
(٢) جهام : السحاب لاماء فيه .

بردُ أنفاسكِ ما زاد الجوى غير ضرام
هل لنارِ القلبِ مِنْ نفحةِ بردٍ وَسلام

* * *

ربَّ طيفٍ ماثلٍ في يقظتي أو في منامي
يتراءى عَنْ يميني وَشمالي وَأمامي
كلُّ شيء ما خلاه باطلٌ ؛ دون مرامي
ذكره روحي وَرَيْحا ني وَكأْسي وَمدامي
وَله نسكي وَنذري وَصلاتي وَصيامي

* * *

أيها الخمّارُ زدني فصريعُ الكأْس ظامي
كأْسُكَ الأُولى تمشَّتْ في عروقي وَعظامي
وَرضيعُ الكأْسِ يستعـــبرُ من خوفِ الفطام

* * *

في رجب ١٣٦٠ هـ
آب ١٩٤١ م

قالت لي السماء

من وَراء السحْبِ، فوق البحر، في يومٍ مطيرِ
الرياحُ الموجُ فيه ذاتُ عصْفٍ وَزئير
طفتِ الأَمواجُ تسمو بالهوادي والصدور
رفعتْ أَعناقَها ذاتَ رغاء وَهدير
بين رعدٍ قاصفٍ في إِثرِ برقٍ مستطير
حاوَلتْ أَنْ تشرق الشمسُ وَهمَّتْ بالظهور
صعَّدتْ أَنفاسَها حمراً كأَنفاسِ السعير

* * *

فإذا الأُفقُ من الأَلوانِ كالروضِ النضيرِ
وَإذا السحبُ كأَشباحٍ تنادتْ للمسير
وَلها في الجو أَشلاءٌ كأشلاء العقير[1]
مثلتْ أَضغاثَ أَحلامٍ لمرور[2] غرير

(١) العقير : المعقور .
(٢) المرور : المهْوس .

بعد لأيٍ أرسلتْ شمسُ الضحى شؤبوبَ نور

* * *

ما ترى « قالت ليَ السماء » ما بين السطور ؟

لمحة البارق في ليلٍ دجوجيٍ ضرير

وابتسام النور في يومٍ عبوسٍ قمطرير

قد يكون اللحنُ والإيماء أبدى للضمير

* * *

في ٢٨ شوال ١٣٦٣ هـ
١٥ تشرين الأول ١٩٤٤ م

ياليتني

يا ليتني لمّا شربتُ الكأسَ صِرْفاً لم أثنِّ
أو ليتني لمّا انتشيتُ من المدامةِ لم أُغَنِّ
أو أنّني لمّا وردتُ صدرتُ قبل نضوبِ[1] دنّي[2]
أو أنّني لمّا ارتويتُ تركتُ شيئاً للتمنّي
بل ليتني لمّا شممتُ الوردَ لم أقطفْ وَأجْنِ
أو ليتني لم أنتقلْ في الروضِ من غصْنٍ لغصن
فَلَقَدْ جريتُ مَعَ الشبابِ مشمّراً ثوبي وَردني
وَطويتُ كَشْحاً[3] عَنْ مقالةِ عاذلٍ وَسددتُ أُذني
ما كان أحوجني عَلَى خوضِ الغمارِ[4] إلى التأنّي
لم أنتفعْ يوماً بعلمي في العواقب أو بظنّي
حتى صحوتُ قرعتُ من ندمٍ عَلَى الإسرافِ سِنّي

* * *

---

(١) النضوب اليبس الجفاف .
(٢) الدن : وعاء الخمر .
(٣) الكشح مابين الخاصرة إلى الكتف .
(٤) الغمار جمع غمر والغمر معظم البحر .

لـكنَّني ما زلتُ من سحرِ الجمال أصوغ لحني

لي في مواكبهِ فؤا دُ ضعتُ منه وَضاع منّي

كَمْ بتُّ رهنَ هواه في كفِّ الجمالِ وَبات رهني

وَروَيتُ عنه من الرّوا ئعِ ما رواه النّاسُ عنّي

وَملأْتُ عيني منه حتّى لا يطيق الغمضَ جفني

وَنعمتُ من أفيائهِ وَظلالِه بجنانِ عدن

ملكٌ وَمن عجبٍ له في كل نفسٍ سحرُ جنّي

وَيشوقني أنْ أجتليــه عَلَى التمنُّعِ والتجنّي

وَكأَنَّ شوقي حين لا يشفي بصدري نار ضغن

الحلوُ يجرح والدلا لُ عَلَى ملاحتهِ يعنّي(١)

وَكرامةً لسهامِهِ نحَّيتُ عن قلبي مجنّي(٢)

فـإذا بقلبي بيت نا رٍ وَهو محرابي وَركني

فجعلتـه ليَ قبلةً وَلوجهِهِ أخلصتُ فنّي

* * *

في ١٤ ذي الحجة ١٣٦٦ ﻫ

٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٧ م

---

(١) يُتعب ويؤذي .

(٢) المجنُّ : الترس .

قالت

قالتْ شهدتُ القومَ ذا ت عشيةٍ يتناشدونْ
شعراً كرنّاتِ المثا ني يستخفُّ السامعين
حتى إذا رقَّ الحديــــثُ عن المنى وَعن الشجون
الله يعلم ما ذكر تُ سواكَ حين علا الحنين
قلْ لي بربِّكَ سِحرُ شِعــــرِكَ وَحيُه أنّى يكون ؟

* * *

فأجبتهـــا بأبي وَأمي تعلمين وَتسألين ؟
السحرُ من سحرِ العيونِ وَعندكَ الخبرُ اليَقين
والوحيُ من وَحيِ الجفو نِ وَما إخالك تجهلين
فتبسَّمتْ عُجْباً وَقا لتْ : عندكَ السرُّ المصون

* * *

بغداد في ٤ مايس ١٩٥٢ م

جَذوة غرام

أبيني هَلْ لوصلِك من سبيلِ فنجمُ العمرِ آذَنَ بالأُفولِ
وَقلبي يوم سرتِ به صباحاً إذِ العبراتُ كالغيثِ الهطولِ
عناهُ شَفَّه وَأنا عليل فرِفْقاً بالمعنّى(1) والعليل
إذا أَزمعتِ مَنْعَ الوصلِ عنّي فإني منك راضٍ بالقليل
عديني وَامطلي بالله يوماً وَإنْ أَخلفتِ ما أنا بالملول
أما وَجمالها وَعظيم وَجدي وَطرفٍ قد سحرتِ به كحيل
وَوَقفة شاعرٍ يشكو هواه عَلَى الدِمَنِ البوالي والطلول
بكيتُ تظلّماً منها إليها فما أغنى بكائي من فتيل(2)

* * *

في سنة ١٣٣٢ هـ

١٩١٢م

---

(١) المعنّى : المجهد المتعب .

(٢) فتيل : مفتول تقول ما أغنى الشيء فتيلا أي بقدر الفتيل .

بثّ وَجْد

طالَ ليلي وَتولاَّني السهرْ   وَفؤادي كاد شوقاً ينفطرْ
لم يكنْ مثلي في صرعى الهوى   ماابنُ حجرٍ(١) ماجميلٌ(٢) ماعمرْ(٣).
فلقد لاقيت في حبّك يا   (ليل) ما لم يلقه قبلي بشر
من سهادٍ واشتياقٍ وَجوى   كاد يودي بي وَدمع منهمر
لو تريني ساهراً أشكو الهوى   رقَّ منك القلبُ لو كان حجر
إنَّ هذا بعض ما قاسيته   والذي أكتم أدهى وَأمرّْ

* * *

في سنة ١٣٣٢ هـ
١٩١٢ م

(١) ابن حجر هو الشاعر الجاهلي امرؤ القيس .
(٢) هو الشاعر العذري جميل بثينة .
(٣) هو الشاعر الغزلي عمر بن أبي ربيعة .

القانونية الظالمة

أصغت لتسمعَ شكوتي وَتظلُّمي   لمَّا رأتْ دمعي جرى كالعنْدَمِ [1]

واستنطقتْ قانونَها فأَجابها   في حلِّ قتلِ المستهامِ المغرم

سلْ مَنْ أَباح لها دمي قانونها   هل قال قانونٌ بإهراق الدم

* * *

في سنة ١٣٣٣ هـ

١٩١٣ م

(١) العندم : دم الأخوين وقيل البقَّم وهو شجر ساقه أحمر يُصبغ به .

مقاساة جوى

ميلا إلى مسرحِ الآرام والعفرِ [1] ... وَلا تلوما فوجداً عيلَ مصطبري
إنْ لم تكونا حليفي صبوةٍ وَهوى ... كونا من الصخرِ أو من يابسِ الحجر
بي من هوى الغيدِ ربَّاتِ التدلُّلِ ما ... لو كان بالفَلَكِ الدوّارِ لم يدر
لكنَّ بعضَ الذي بي من محبَّتها ... العينُ في جنَّةٍ والقلبُ في سَقَرَ [2]
أقول والوجدُ قد أخنى عَلى كبدي ... والشوقُ يقذفُ بي في مَهْمَةٍ خَطر
والقلبُ يخفِق والعينانِ ساهرةٌ ... كأنَّما خُلقتْ عيناي من سهر
في ليلةٍ ضلَّ فيها النجمُ من حلكٍ [3] ... وأزوَرَّ عنها أخوكَ البدر من ذعر
يا من أسرتِ فؤادي في هواكِ وَمن ... أطلقتِ دمعي بحسنِ الدلِّ والخفر
بما بجيدكِ من حسنٍ وَمن جيدٍ [4] ... وَما بعينيك من سحرٍ وَمن حَوَرِ [5]
جودي بوصلك أو ردّي فؤاديَ لي ... فقد ملكتِ قيادَ النفعِ والضرر

في سنة ١٣٣٣ ﻫ
١٩١٣ م

---

(١) العفر : الظباء
(٢) سقر : جهنم
(٣) الحَلَك : شدة السواد
(٤) الجيد : العنق اذا طال وحسن .
(٥) الحور : شدة سواد المقلة في شدة بياضها .

تيقظ الهيام بنوح الحمام

تَذَكَّرَ وَصلَهَا فبكى وهاما   وَكاد بذكرِها يقضي هياما
وَزادَ فؤاده الذاكي ضراما   وَعَنْ عينيه قَدْ ذادَ المناما
نواحُ حمامةٍ تدعو حماما

حمامة رددي نَوْحَ الحزينِ   لعلّك في نواحِكِ تسعديني
فقالتْ وهي تأخذ عن حنيني   وقد زادتْ بما قالتْ شجوني
أيسعدُ مستهامٌ مستهاما

معذّبتي لعينيك البقاء   فلمّا يبق لي إلاّ ذماء[1]
فحتّامَ التجنّي والجفاء   أما للوعدِ عندكمُ وفاء
فجودي بالوصال ولو لماما[2]

* * *

في سنة ١٣٣٣ ه
١٩١٣ م

---

(١) الذَّماء: الحشاشة ويقال في المثل أطول ذَماء من الضب لأنه إذا قُتل يطول نزعه.
(٢) اللمام: المرة بعد المرة.

صبْوتان

صبا المشتاقُ لمّا أنْ رآها ... قبيل الظهر تخطر في حلاها
مبرقعةٌ كبدرٍ برقعته ... سحابةُ مزنةٍ عَبَسَتْ سماها
فما أصباك يا ابن العم منها ... أعيناها بربّكَ أم طلاها
ألا لله ما قاسى فؤادي ... وما قاسيتُ منها في هواها
سلاها هَلْ سَلَتْ صَبًّا شجياً ... فقلبي مذ رآها ما سلاها

* * *

في سنة ١٣٣٣ هـ
١٩١٣ م

خرجت أمشي

« تعريب أبيات غوته الشاعر الألماني التي قالها في التقائه مع زوجته »

خرجتُ أَمشي الهوينا غير ذي فكرِ
بغـــابةٍ ذات أطيارٍ وَأفنانِ
فشمتُ بالظلِّ قربي زهرةً طلعتْ
كثاقبٍ[1] خرَّ يعدو إثرَ شيطان
فبينما أنا مَعْ نفسي أُحدِّثهـــا
لم يثن مِنْ عزمتي عن قطفِها ثاني
دَنَتْ إليَّ بلطفٍ وَهي قـــائلةٌ
لا تفزعنْ آمنـًا يومـًا بعُدوانِ
أخذتها مشفقـًا من أصلهـا حَدِبـًا
لجنَّـةٍ ذات أرواح وَريحـــان

---

(١) الثاقب : النجم .

غرستُها في مكان ثانياً نضر[1]

فها هي الآن تزهو ذات صنوان[2]

* * *

في سنة ١٣٣٣ هـ

١٩١٣ م

(١) نضر : براق .

(٢) صنوان جمع صِنْو والصنو الأخ .

علّها إن متّ وجداً تأسف

مقلةٌ عبرى وَدمعٌ يكفُ   وَهوى نامٍ وَقلبٌ يجفُ[1]
لست بالصابر عنها ساعةً   وَهي في حكم الهوى تعتسف
كيف ذرَّتْ في فؤادي حبّها   ثم صدَّتْ فهيَ بي لا ترأف
ليتها قد وَجَدَتْ وَجدي بها   علّني في حبّها أنتصف
ربَّ ليلٍ بتُّ فيه أليل[2]   بات طرف النجم فيه يطرف
بين جنبيَّ جنانٌ خافق   وبجفنيَّ دموعٌ تذرف
يا هواها فاقض بي ما تشتهي   علّها إنْ متّ وجداً تأسف

* * *

في سنة ١٣٣٢ ﻫ
١٩١٢ م

(١) وجف يجف أي خفق .
(٢) أليل : طويل وشديد السواد .

إلانة الحديد

قد كان قلبي كالحديد قساوةً   قبل الصبابةِ لا مثيل لطبعه
لكنّه لمّا تعشّقَ لان إذْ   سطعتْ أشعةُ عينِ من أهوى به

في سنة ١٣٣١ هـ
١٩١١ م

* * *

أُفدي التي

مرّ أحدهم على دار فتاة يحبها وتحبه فلما رأته أطلت من نافذة لها فطأطأ رأسه مسلماً وأنفذ إليها نظرات أعربت عن وجده بها فهمّت بإجابته عن شغفها به فمنعها الحياء وبعد لأي دخلت غرفتها وأخذت عوداً وطفقت تضرب عليه . فطلب إلي نظم هذه الواقعة فقلت :

أفدي التي لمّا رأتنيَ مقبلاً   برزتْ كبدرِ التم بعد سِرارِ (١)
أبثثتُها وجدي فلمّا أزمعتْ   لتبوحَ لي بكوامنِ الأسرار
غلب الحياءُ على الكلامِ فأفصحتْ   عمّا تكنُّ بألسن الأوتار

في سنة ١٣٣٦ هـ
١٩١٦ م

---

(١) السرار : آخر ليلة من الشهر .

الحبّ المتبادل

ذرِ العينَ تقضِ اليوم بعضَ ديونِها فقد ناء بالأجفان دمعُ شؤونِها (1)

تراختْ حبالُ الوصلِ بيني وبين من أذابَتْ صليبَ القلب منّي بلينها

فلا صبر أو ينسى الفؤادُ غرامَها وهيهاتَ لا يرضى الفؤادُ بدونها

شربنا دهاقاً أكؤسَ الحبِ والهوى فقلبُ كلينا مترعٌ من معينها

إذا ما رأتني أعرضتْ خوفَ كاشحٍ وآيةُ ما تخفيه ملءُ عيونها

فوالهفا للشملِ تنقضُ رصفَه عواذلُ قد كنّا قذىً بجفونها

أرى أنَّ قلبي بين شِقّين من عصا وقد حال دون القربِ رجمُ ظنونها

فهل علم الواشون أنَّ أُولي الهوى ترى دون قطع الوصل قطع وتينها

فيا غلةً لم يطفها فيضُ أدمعي وكيف وما يرفضُّ (2) غيرُ سخينها

ويا حسرةً بين الحشا قد تغلغلتْ بلوغ نجومِ الأُفق دون دفينها

كذاكَ الهوى كالكهرباءة نورها جليٌّ ولمّا يدركنه كمينها

---

(1) الشؤون جمع شأن وهو العرق الذي تجري منه الدموع .

(2) أرفضّ : سال وتفرق .

بنفسي وأهلي من إذا نوّهوا لها بذكري أثاروا كامنات شجونها
فما هي إلاّ وجمةٌ ثم عبرةٌ حدتْ بعزاليها[1] رياحُ حنينها
فأيّ كتابٍ بعد هذا وسنة تباعدني أنْ لا أدينَ بدينها
لئن فرّقتْ كتبُ الديانات بيننا لتجمعنا صحفُ الهوى بغضونها
وإن حرّجَ الإنجيلُ وهو محرفٌ ففي صحة القرآن حلٌّ وضينها[2]
أعيذكِ يا (لمياء) من شرِّ كاشح يُبدِّلُ مبيضَّ الليالي بجوْنها
خذيني عَلَى العلاتِ خِدْناً[3] فإنني إذا نابتِ الأحداثُ ليث عرينها
تمخّضتِ الأيامُ حتى أتينَ بي عصوراً طوالاً غرة في جبينها
أمتُّ بأنسابِ ذرى الشمِ دونها أضاءت من الأيام غُبْرٌ[4] دجونها
إلى السبْطِ من آل النبي محمد ومن آل عباس لجدٍّ أمينها
ومن (عبد شمس) للأشج وعمه نمتني إليهم عاليات غصونها
وليمقولٌ (هاروت) بعضُ جنوده يحلُّ به عصمَ الظبا من حزونها
إذا ما تلتْ رسلُ البلاغةِ آيةً تخرُّ إليها سجداً لذقونها

(١) العزالي جمع عزلاء يقال ازلت السماء عزاليها اشارة إلى شدة وقع المطر .
(٢) الوضين تقول الشيء ثنى بعضه على بعض ، نضَّد .
(٣) الخِدْن : الصاحب .
(٤) الغُبر : جمع مفرده أغبر : ما لونه الغبار .

لئن غرزمتْ نظمَ الروائعِ صبيةٌ فما البازلُ[1] الهدّار كابن لبونها

وَعاذلةٍ باتت تصوِّبُ لومَها عَلَى مقته ما ساء ظنُّ ظنينها

وَهلْ ريبةٌ وَالسر كالجهر طاهر إذا ما صبتْ نفسٌ زكت لقرينها

وَما تام[2] لي قلباً وَلا شفَّ مسكة محاسن من حورِ النساء وَعينها

صبوتُ إلى أخلاقِ (لمياء) إنَّها لقد أَخذتْ من حرِّها بعتينها

حياءٌ يزيل الريْبَ عن مستقرِّه إذا قرئت آيــاته في جبينها

وَحسن حديثٍ لا يُملّ استماعُه كترديدكِ الأنفاسَ بعد كمونها[3]

ينسيك أَخبارَ الرواةِ وَما وَعتْ صدورهُمُ من غثّها وَسمينهــا

وَعلم بإرجاعِ الفتــاة تقدّماً إلى حيث كانت في خوالي قرونها

فأَيّ فتاةٍ شابهتها فإنهــا لدى خالد في الحب ليست بدونها

* * *

في ١٠ رجب ١٣٣٦ هـ
١٩١٦ م

(١) البازل : الفحل من النوق .
(٢) تامَ : ذللَ .
(٣) الكمون الاستخفاء .

وقفة الوداع

أيصبر متبولُ(١) الفؤادِ كئيبُ ... وَترحاله عمن يحبُّ قريبُ
وَما جزعُ الإنسانِ في موقفِ النوى ... عجيباً وَلكنَّ السلوَّ عجيب
فما حال من أمسى استقلتْ ركابُه ... إلى حيث ما ينفكُّ وَهو غريب
وَحان السُّرى إلا تريث ساعةٍ ... يقضّى بها حق الوداع وَجيب
فمعذرة إن كان للدمع وَكفةٌ(٢) ... وَللقلب من خوف الفراق وثوب
فيا وَقفةً ما كان أعظم رَوْعَها ... يكاد لها قلبُ الجمادِ يذوب
تعلق بي طفلايَ آناً كلاهما ... له أَنَّة تصمي الحشا وَنحيب
بكاؤهما عما يجنّان مفصحٌ ... وَدمعيَ عما يسألان مجيب
وَيا جيرةً خلّفتُ قلبي رهينةً ... عَلَى ودّهم إنْ ضيّعته قلوب
ثقوا أني لن أنثني عن هواكمُ ... وَإن شعّبتني في الغرام شَعوب(٣)

* * *

وَقائلةٍ والوجدُ بادٍ شواظُه ... عَلَى وَجنتيها والدموعُ تسيب
بربك لا تنكأ بقرحِ النوى غدا ... من القلب قرْحاً سال فهو رغيب(٤)

---

(١) متبول سقيم يقال تبل قلبه أسقمه .
(٢) و كفة هطلة تقول و كف الدمع اذا سال .
(٣) شعوب : المنية . (٤) رغيب : واسع .

فماذا عسى تبقى عَلَى الوجد والأسى ... وَشحط النوى نفس عليك تصوب
فقلت وَ نيرانُ الجوى في جوانحي ... بتصعيدِ أنفاسي لهنّ لهيب
خذي بيدي إنَّ الذي قلت مقصد ... شذاي فمنـــه في الفؤاد يذوب
منى النفسِ أن أدنو وَلو كنت مبغضاً ... فكيف ولي من ودِكنّ نصيب
وَلَمْ تنبُ بي دارٌ ولا ساء منزلٌ ... ولا عَقَّني ممنْ أود صحوب
ولكنْ ترى نفسي العلاء وإن يكنْ ... خضارم[1] من دون العلا وسهوب[2]
وهذي دموعي في يديك رتيمةٌ ... فكفُّك منها خاضل[3] وخضيب
كأنَّ الحمى ورد وصحبيَ دونه ... يجيلون فيه الطرفَ طلّح لوب[4]
أقول وقد شاهدتُ للبيْنِ مركباً ... له بالنوى عمّن أحبّ نعيب
قفوا بي ولو لوث الإزارِ فإنها ... نشيزةُ[5] نفسٍ ما تكاد تئوب
ويا ساكني (الفيحاء) جادَكمُ الحيا ... ولا برحتكمْ شمأل وجنوب
فواديكمُ يهوى الفؤاد وكلُّكمْ ... إلى النفسِ من أجل الحبيب حبيب

في سنة ١٣٣٦ هـ

١٩١٦ م

---

(١) الخضارم جمع خِضرم وهو البحر .

(٢) سهوب جمع سَهْب والسهب الفلاة .

(٣) خضل ندي وابتلّ فهو خَضِل وخاضل .

(٤) اللوب : شدة العطش .

(٥) نشيزة : يقال نشز الرجل في مكانه ارتفع وامتنع والنشيزة الدابة التي لا يكاد يستقر السرج والراكب على ظهرها

ألا من لصبّ

ألا من لصبٍ كاد من وجده يقضي ... بكى بعضُه مما يلاقي عَلَى بعضِ
تأوّبه[1] من حب (لمياء) طائفٌ[2] ... فبات عَلَى حالٍ من الخبْلِ لا ترضي
إذا ذُكرتْ لمياء ظلّتْ دموعُه ... وأنفــاسُه موكولةً ليدِ الفيض
وأهوى بكفيه لفيه وقلبه ... فأدماهما من شدَّةِ الحرِّ والعضّ
حذاراً وبقياً إنْ تريعَ لكاشحٍ ... فيقضي عَلَى قلبِ المتيمِ ما يقضي
أعيذ نحولاً منك إن تهدري دمي ... فإنَّ دمي عبءٌ لدى اللهِ في العرض
تحملتُ في حبّيك ما لو أقلّه ... تحمَّله[3] طودٌ لآذن بالنقض
قريتُ الهوى بالدمعِ حتى نزفته ... فأكرمتُ مثواه بلحميَ والنحض
تألّبَ أهلي كي يميتوا صبــابتي ... فكانوا قذىً بالعينِ لكنني أُغضي
وأُحفظهم كتمان أمركِ فانطوتْ ... صدورُهم مما كتمتُ عَلَى بغض
فلو أنَّ إنساناً يكاتم نفسَه ... لكنتِ إلى نفسي بحبّك لا أُفضي

(١) تأوّب : أتى ليلاً .
(٢) الطائف : الخيال .
(٣) طود الجبل العظيم .

رمى اللهُ كفي إنْ أشارتْ بشلّها وَجازى فمي إمّا تكلّم بالفضّ

وَجدتُ الهوى حلواً عَلَى كلّ علةٍ وَحكم ذويك الجور لكنه مرضي

هنيئاً لعينيك المنام فإنني وَجدتُ سهادي فيك أهنا من الغمض

لئن ساءني أهلوك ترقبُ زَوْرَتي لقد سرَّني أنْ مزتني بالهوى المحض

تعالي نفتهم هاربين فإننا إذاً لبعيشٍ، ما يُكدّرُ، ذي خفض

كأَني بها قد أشعر الوجد قلبَها فمالتْ بها هوجاه كالغُصُنِ الغضّ

وَأسلس لي بعد الجموح قيادُها أُصرّفُه ما شئت بالبسط والقبض

* * *

في شعبان ١٣٣٦ هـ

١٩١٦ م

سقياً لها

سقياً لمن أضرمتْ من حبها كبدي ... وَبدَّلتني لذيذَ النومِ بالسهدِ
بات الفؤادُ بكفيها تصرّفه ... كأنه درهمٌ في كفِّ منتقد
وَحملتني من الحبِّ المبرح ما ... وَهتْ له محكماتُ الصبرِ والجلد
أعاني الدمعُ حتى غاض عيلمهُ(١) ... فزعتُ منه إلى صبري فلم أجد
أبيتُ والشوقُ للقيا يغالبني ... حتى أهيم فلا ألوي عَلَى أحـد
تربصتْ زمناً كي تبتلي مقتي ... مصوغة بفمي أم أشعرت خلدي(٢)
وَأحجمت بعد أنْ صحَّ الهوى لترى ... هل كنتُ مقتصداً أم غير مقتصد
وَما درتْ أنَّ حبي بالغٌ أمداً ... عَلَى الحوادثِ لم ينقصْ وَلم يزد
حلَّ الغرام محلاً ليس ينزله ... من الفؤاد سوى ديني وَمعتقدي
(لمياء) لو أنَّ روحي طوع مقدرتي ... إنْ تطلبيها عَلَى وَجدٍ بها أجُد
ما مرَّ ذكركِ في قلبي فصدّعه ... إلا انثنيت عليه قابضاً بيدي

---

(١) العيلم : البحر .

(٢) الخلد : القلب .

١

وَما رايتك يقظاناً وَذا سنةٍ   إلا بهتُّ فلم أَبْدأْ وَلم أَعد
وَماذكرتُ الحمى إلا انتفضتُ له   شوقاً إليك انتفاضَ المبردِ الصرد(1)
كأَنَّ ذكركِ سلكُ الكهرباءةِ إنْ   يلامسِ القلبَ وَهناً منه يرتعد

* * *

في ١٧ رمضان ١٣٣٦ ﻫ
١٩١٦ م

(١) الصرد : شدة للبرد تقول يوم صرد اي شديد البرد .

إذا لم تطق لمياء

إذا لمَ تطقْ (لمياء) أنْ تنجزَ الوعدا فقلبي لديهـــا هَلْ تطيقُ له ردّا
سلامٌ عليها : إنْ تصرّمَ ودُّهـا فلستُ أُرى منْ أنْ أموتَ أسىً بدّا
فيا نظرةً عادتْ عَلَى النفسِ حسرةً وَأورتْ بقلبي من محبّتِها زَنْدا (١)
تعبّدني من حسنِ (لمياءَ) رائعٌ فلستُ لسلطانٍ، سوى حسنها عبدا
فوا كبداً من غلةٍ ليس تنطفي كأنّ عَلَى الأحشاءِ من حرِّها وَقْدا
وَمن زفرةٍ تعتادني إثر زفرةٍ لها وَهجٌ بين الحيازم (٢) ما يهدا
وَلكنْ إذا هبّتْ من الحيّ نسمةٌ وَجدتُ عَلَى قلبي لنفحتها بردا
وَلولا رجاء القلبِ أنْ تسعفَ المنى ببعضِ الذي أرجو قضيتُ بهاوَجْدا
أفي الله أنْ تجفو وَفي أضلعي لها بنات جوى لا أستطيع لها وَأدا
وَما أيأستْ يوماً وَفي اليأْسِ راحةٌ وَلا محضتني بعد إعراضها الوِدّا
وَلو غير ديني كلفتنيَ بذله رأتني لا كزّ اليمينِ وَلا جَعْدا (٣)

(١) الزَّنْد : العود الأعلى الذي تقتدح به النار .
(٢) الحيازم : ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر .
(٣) الجعْد : البخيل اللئيم .

خليليَّ إنَّ الحبَّ مرد اخاكما فشدّا عَلَى قلبي بربكما شدا
خليليَّ إنْ أهلكْ وصاتي إليكما بأن تحفرا لي قربَ مسكنها لحدا
وَأن تدرجاني قبل لحدي بدرعها عساها تُبـكّي حال من قتلت عمدا

* * *

وَما وجدُ صادٍ أنضجَ الحرُّ جوفَه بممنوعِ وردٍ إنْ دنا نحوه صدَّا
بأكثر من وجدي بها غير أنني عَلَى كل حالٍ قد برئت امرءاً جلدا
إذا نائباتُ الدهر يوماً طرقنني طرقن عَلَى دفع الأذى أسَداً وردا(١)
صليبُ قناة ما استلينتْ لغامزٍ إذا ما اُستلان الماضغُ الحجر الصلدا

* * *

في سنة ١٣٣٦ هـ
١٩١٦ م

---

(١) الورد الجريء وصفة للأسد .

حقيقة

والله لو تعلمُ الزهراءُ مالك في … قلبي من الوجدِ لم تعذلْ ولَمْ تلمِ
أَليس تشفق أَنْ بوعدت عنكِ عَلَى … زغبِ الحواصلِ أَنْ يبقين باليتمِ

* * *

في ٢٦ رجب سنة ١٣٣٧ هـ
١٩١٧ م

حللتِ فؤادي

حللتِ فؤادي ثم أنشأتِ بينه … وبين اللواتي كنَّ فيه ركاما
فما كان إلاّ مثل (مكة[١]) كل ما … سواكِ به أَضحى عليَّ حراما

* * *

في ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٧ هـ
١٩١٧ م

(١) مكة مدينة مقدسة وبها الكعبة .

جمرة الحب

وجمرةِ حبٍّ بتُّ أُصلى سعيرَها | لها حرقةٌ بين اللها[1] والحيازمِ
وغماءِ مِنْ وجدٍ قديمٍ كشفتها | بصبرٍ بصيرٍ بالعواقب حازم
فلا تعجبي إمّا قطعتُ علاقتي | بطوعي ولم أقرعْ لها سنَّ نادم
فصرفيَ عنك النفسَ ما تعلمينه | عزيزٌ عليها بعد طولِ التلازم
ولكنْ بدا لي منك ما لا أطيقه | وإنْ كنت فرداً باحتمال العظائم

في ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٨ هـ

١٩١٨ م

لوعة الحب

وأعظمُ ما لاقيتُ في الحب أنني | إذا ما التقينا لا أطيق كلاما
فلا هي تدري بالذي أنا واجد | وهيهات مني أن أبلَّ أُواما[2]

في جمادى الأولى ١٣٣٨ هـ

١٩١٨ م

(١) اللها : جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم .
(٢) الأوام : العطش .

الذكرى

ذكرايَ بعد الفلسِ الحبيبا   قد نكأَتْ من كبدي ندوبا (١)

ونضحتْ من ناظري غروبا   وجعلتْ عنه الكرى غريبا

بتُ أحاكي بالحنين النيبا (٢)   لما ذكرتُ يومها القريبا

وقد لثمتُ كفَّها الخضيبا (٣)   فخدَّها فثغرَها الشنيبا (٤)

عانقتُ منها غصناً رطيبا   شُذِّبَ (٥) لولا ردفُها تشذيبا

ظُلْتُ وظلَّتْ لم نخفْ رقيبا   فرُضْت من جماحِها صليبا (٦)

وثم كان أمرنا عجيبا

* * *

في ١٣ شعبان ١٣٣٨ ﻫ

١٩١٧ م

---

(١) الندوب : الجروح .

(٢) النيب : الناقة المسنة .

(٣) الخضيب : المخضوب .

(٣) الشنيب : برد ورقة في الأسنان .

(٥) شذّب : أصلح بقطع الشذب .

(٦) الصليب : الشدة والقوة :

آليتُ في حبك

(تعريب القصيدة الأفرنسية التي مطلعها : حتى القبر = جوسكو تومب = بتصرف)

آليتُ في حبكِ رعيَ العهدِ   حتى أبيت هامةً [1] في لحدي
جعلتُ نفسي لكِ وَقفاً عندي   وَما أراكِ تحفظين ودّي

* * *

فــداكِ أمي وَأبي وَنفسي   يا أملي وَوَحشتي وَأُنسي
كم ذا لقيت من شقا وَنحسِ   كي تظهري يوماً بمجلى السعد

* * *

قلبي بغيرِ حبكـم ما خَفَقَا   وَناظري لولاكُمُ ما أرقا
فاستبقِ صبًّا قد رأى فوَمَقا [2]   لا تجدين صادقاً من بعدي

* * *

ماذا عسى الزلفى التي ترضيكِ   وَراء حبي وَهيامي فيك
إن كان بذل مهجةٍ تفديك   فاحتكمي ليس له من ردِّ

* * *

(١) الهامة : أعلى الرأس وفيه الناصية .

(٢) ومق : أحب .

عجبتُ بالصدِّ وَبالجفـــاءِ حائدة عن سننِ [1] الوفاء
هلمَّ نقض العمرَ باللقـاءِ فالموتُ قاضٍ بيننـا بالصدِّ

* * *

لا تعذلي عَلَى البكا والحزنِ فبعض ما بي من هواكِ يضني
ما أخذ العشّاقُ إلاّ عني فما عليكِ إن بكيتِ جدّي

* * *

عيناي جودا بالدموعِ الهاميهْ وَبرِّدا جذوَةَ شوقٍ واريهْ
لم يبق مني غير دمعي باقيه تعدي عَلَى جورِ الهوى أو تجدي

* * *

كأنني وَبتُّ تحت التربِ بعندليبٍ فوق غصنٍ رطب
هيَّجه منظرُ قبرِ الصبِّ فظلَّ يبكي من قضى بالوجد

* * *

ضيَّعت ضيَّعتِ وَكنتُ الوافيا فَلْيَكُ روض العيشِ بعدي حاليا
ليَّتِ غيري إذْ أتى مناديا ما ليَ عن وِردِ الردى من بدّ

* * *

أقول والنفس أسى تفيضُ والجفن من سكر الرَّدى غضيض [2]
أمستْ حياتي ماؤها يفيض [3] في ذمةِ الحبِّ شهيد البُعد

في سنة ١٣٣٧ هـ
١٩١٨ م

---

(١) السنن : الطريق النهج .
(٢) غضيض : فاتر مسترخي .
(٣) يفيض : كثر وسال .

إلى ميّاء

أَيَسُرُّها أَنّي أَموتُ بدائي ... من بعد ما علمتْ مكانَ دوائي
جاءوا بحذّاقِ الأُساةِ وَما دروْا ... أَنْ ليس في طوقِ الأُساة شفائي
يا مَنْ يجسُّ النابضين ضلالةً ... انظرْ إذا ما اُسطعتْ في أحشائي
تجد الضلوعَ وَقد تداعى صفُّها ... مثل الطلولِ بدتْ لعين الرائي
وَكأَنَّ نارَ الحبِّ في أَرجائها ... نارُ الخليلِ تلفعتْ بأَياء[1]
ما كنتُ أَعلمُ أَنَّ من ذاق الهوى ... مَيْتٌ يعدُّ بزمرةِ الأَحياء

* * *

الله في نفسٍ عليكِ تقسّمتْ ... ما بين يأسٍ مقنطٍ وَرجاء
وَقفتْ بمضطربِ الشكوك وَلم تزلْ ... من أَمرِ نفسِك بعد في عمياء
أَرسلتُ عينيَ رائداً فأَعدتها ... برسالةِ التسهاد والأَنواء
لم أَدرِ إذ ملئت بحسنِك أَنها ... ملئتْ من العبراتِ والأَقذاء
عجباً لقلبك لا يرقُّ لحالتي ... فكأَنه من صخرةٍ صماء
ولقد صبرتُ وما صبرتُ لسلوةٍ ... بل صبر صادٍ عن قراحِ[2] الماء

---

(١) أياء نور الشمس وحسنها .
(٢) القَراح : الخالص .

ما كان لي ذنبٌ عليك علمته فلأي شيء قد أسأتِ جزائي
إن كان ذنبي أنني بك مغرمٌ فعلامَ حسنك فتنةٌ للرائي
هل تذكرين بسفح (دمَّر[1]) ساعةً فيها افترشتِ يدي وفضل ردائي
إذْ كانَ من شَجَنِ الحديث وشجوه تحنو غصون البانةِ الهيفاء
نجوى كما شاء الهيامُ أذعتها لما أمنتُ مسامعَ الرقباء
وتعتُّبٍ ماقال (جحظة[2]) مثله وتفجعٍ كتفجّعِ (الخنساء)[3]
وشكايةٍ بعثتْ حنانَكِ بعدما تركتْ خريرَ الماء صوتَ بكاء
رقمتْ دموعي فوق خدكِ أسطراً خُتِمَتْ بخاتمِ قبلة (خرساء)
وَبرشفِ ثغركِ وَهو خيرُ علالة كمْ قد أسغت حرافةَ[4] الصهباء
فكأننا إذْ ذاكَ زوجٌ من قطا يتطاعمانِ بروضةٍ غنَّاء
قد كان في طوقي بلوغ مآربي لولا زواجرُ عفَّة وَحياء

* * *

وَحمامةٍ تدعو أليفاً دونه شطنُ النوى وَفسيحةُ الأَرجاء
أودى به المقدارُ فهي لفقدِهِ نوّاحةُ الإصباحِ والإمساء

---

(١) منتزه مشهور خارج مدينة دمشق .
(٢) جحظة : من رجال الموسيقى المشهورين في العصر العباسي .
(٣) الخنساء : الشاعرة الشهيرة برثاء أخويها صخر ومعاوية .
(٤) الحرافة : طعم يلذع اللسان بحرارته .

فكأنها ثكلى أُصيبَ وَحيدُها　　برزتْ تنوح بحلَّةٍ سوداء
وَكأنَّ مدمعَها استحال إلى دمٍ　　فأراكِ ذات نواظرٍ حمراء
ألقتْ عَلَى أسماعِنا مرثيةً　　أشجى وأطرب من رثاء (الطائي)[1]
حتى إذا انحدرتْ ذكاءُ[2] لغربها　　وَبدتْ طلائعُ موكبِ الظلماء
طارتْ بقلبي حيث لا أدري فمنْ　　لي أنْ يردَّ عليَّ ذاك النائي

* * *

في شهر رمضان سنة ١٣٣٨ هـ
١٩١٩ م

---

(١) هو الشاعر الكبير أبو تمام الطائي .
(٢) ذكاء : الشمس .

معيني على نفسي

معيني عَلَى نفسٍ شتيتٌ جميعُها ... (للمياء) من دون الأَنام نزوعُها
وَطيفٌ لها وَهْنًا أطافَ بمضجعي ... فأوهمني حيناً بأني ضجيعها
كما ارتدَّ طرفٌ ثم أعقب رعشةً ... وَقد شخصتْ عيني وَذيد هجوعها
فما ذات طوقٍ بان عنها أليفُها ... وما مطفلٌ قد ضلَّ منها رضيعها
بأكثر مني لوعة وتقطعاً ... لزائرةٍ ولَّتْ وعَزَّ رجوعها
عهودٌ لمن تامَتْ فؤادي وذمةٌ ... وإنْ قَدَمَتْ أيامُها لا أضيعها
رعى اللهُ يومَ (النيربَين)[1] وَليلة ... سعدتُ بها حتى تولَّى هزيعها
إذا أنا من (لمياء) بالموقف الذي ... يطأطىء هامَ العزِّ فيه رفيعها
تلفتُّ في نصٍ[2] مخافةَ كاشح ... إذا استرقَ الأَسرار فهو مذيعها
كطائرةٍ قد أفلتتْ من حبالةٍ ... فما سمعته أو رأته يروعها
فما زلتُ أنفي الخوفَ حتى رأيتها ... وقد سكنتْ بالاً وأفرخ[3] روعها[4]

(١) النيربان: متنزه مشهور بين المهاجرين والربوة.
(٢) نصَّ ناقته: استحثها واستقصى آخر ما عندها من السير.
(٣) أفرخ: انكشف. (٤) الروع: الفزع.

١٥

يدٌ بيدٍ نيطتْ وخدٌّ لمثلِهِ   أضيفَ وأجفان تفيض دموعها
إذا ما شكوتُ الحبَّ أمررت كَفَّها   عَلَى كبدٍ ما يندملن صدوعها[1]
وقد كنت آبى كثرةَ الوصل بيننا   مخافةَ أنْ يدنو لغيري شسوعها[2]
كما كنت لا أرضى ببذلٍ ليانها   حذاراً و بقيا أنْ يراضَ منيعها
ولو كنتُ أدرى بالذي هو كائنٌ   لأدرك منها ما يُرجّى تبيعها
هممتُ ولم أُقدم ولو كنتُ مقدماً   شفيتُ بها نفساً شديداً ولوعها

* * *

في المحرم سنة ١٣٣٩ هـ
١٩٢٠ م

(١) الصدوع : جمع صدع والصدع الشق .
(٢) الشسوع : يقال شسع المنزل شسوعاً أي بعد .

من يخلصني ؟ (١)

مطوقةٌ على فَنَنِ · أثارَ هتافُها شجني
نفى عن مقلةٍ عبرى · لذيذَ الغمْضِ والوسن
وَنبَّه من غراميَ ما · عفاه اليأسُ من زمن
وَزاد إلى هموم النفـس هَمّاً قبل لم يكن
فيا للهِ ما ضمن الـهتافُ لقلبيَ الضّمِنِ (٢)
عجبتُ لها تجيدُ البثَّ · والشكوى وَلم تبن
فما تنفكُّ نائحةً · وَلستُ عن البكاء أني
إذا ضنّتْ بدمعتِها · أجودُ بدمعيَ الهتِنِ (٣)
كذاك الحالُ في الدنيا · فذو حزنٍ لذي حزن
مقاسمةُ الحزينِ على الأ · سى من أحسنِ السنن

(١) طلبت الي جريدة السائح التي تصدر في نيويورك أن أبعث إليها بقصيدة تنشرها في عددها الممتاز لسنة ١٩٢٢ فبعثت إليها بهذه القصيدة .
(٢) الضّمِن : الكفيل .
(٣) الهتن : المطر المتتابع .

هناكَ ذكرتُ من لميا ء عهداً جد مؤتمن

* * *

أواسيها وترثي لي وأرعاها وتحفظني

رآنا الدهرُ في دعةٍ وعيشٍ باللقاء هني

فأحفظه تدانينا فأبعدها وخلفني . . .

غريباً عن أخلائي وعن أهلي وعن سكني

كأني بينهم طراً أسيرٌ لزَّ في قَرَن[1]

وبدَّلني عن (القصريـن) بالأطلال والدمن

بكيتُ غداة فرقتها بكاء (عمارة اليمني[2])

أقول ومدمعي يهمي وقد برزتْ تودِّعني

أقلبٌ سُلَّ من صدرٍ وروح فكَّ عن بدن ؟

أحنُّ إلى مغانيها حنينَ العَوْد[3] للعطَن[4]

وَكم هزتنيَ الذكرى كهزِّ الريحِ للغصن

---

(١) القرن : حبل يُقرن به البعيران .

(٢) عمارة اليمني شاعر مجيد من أهل اليمن وفد مصر وأقام عند الفاطميين ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم فرثاهم بالجيد من الرثاء ثم إن صلاح الدين الأيوبي صلبه مع من صلب من المتآمرين .

(٣) العود : المسن من الابل .

(٤) العطن : المناخ حول ورد الماء .

وَتِقتُ إلى منازلها   كتوْقِ الطير للوكن[1]

* * *

لقد رقدتْ عيونُ العا   ذلين بما يؤرقني

وقد شفيتْ صدورُهمُ   لهمٍّ باتَ يوقذني[2]

عجبتُ لهم أمنّاهمْ   فخانونا وَلم نخنِ

دللناهمْ علينا إذْ   أضلّونا عن السنن

إذا ما استنجزوا وعداً   أجابوا بعد لم يحن

نسام الخسف والأهوا   ن ثم نئوء بالمنن

ألا هل [3]   وقد ذاتْ بنو وطني

ألا [4]   من الأَحداثِ والفتن

لقد طويتْ ضمائرُهمْ   عَلَى الأَضغانِ والإِحن

وفيهم كلُّ مشاء   خبيثِ السرِّ والعلن

بَرِمتُ بهمْ فمن لي بالـ   ـذي منهم يخلّصني

* * *

في غرة ربيع الأول ١٣٤٠ هـ

١٩٢١ م

---

(١) الوكن : عش الطائر .

(٢) وقذ : إذا ضرب حتى استرخى المضروب .

(٣) و (٤) وُجدَ بياض في ديوان الفقيد المكتوب بخط يده فأثبتنا البيتين على حالهما .

ميثاق الأسى

لست من همي وَلا من كمدي   بعد ما أسلمت جفناً للكرى
أخِــــذَ العهدُ عَلَى أعينِنا   أنْ تعاني دمعَهــا والسهرا
أنا ممن بايعوا الحزنَ عَلَى   أنْ يريقَ[1] الجفنُ دمعاً أحمرا
إنَّما النّــارُ التي في أضلعي   تتلظّى اللأَسى نار قرى
تَرِبَتْ[2] كفُّ امرىءٍ ينفضها   من عهودٍ أحكمتْ منها العرى
لست بالنّاقض ميثاقَ الأَسى   بفمِ الناقضِ يا سعد البرى

* * *

لا تلمْ عيني إذا جدَّ البكا   فلقدْ جدَّ بلميــاء السُرى[3]
مدَّةُ العيشِ عناءٌ بعدهــا   كيف أُقضيهـا وأَنَّى يا ترى
أنا لولا غايةٌ أَسعى لهــا   ضمَّني من بعد لميــاء الثرى

نشرت في « العمران » في ١ جمادى الأولى ١٣٤٠ ﻫ
١٩٢١ م

---

(١) أراق : أسال .
(٢) ترب : أصابه التراب ، لصق بالتراب .
(٣) السُرى : السير في الليل .

أيُّها النوَّام هبُّوا

الهوى يا ميُّ صعبُ   فارحمي من لك يصبو
الأسى والسهد والدمـــع عَلَى الوامقِ ألبُ
بين عينيه وبين الــنومِ قد أُعلنَ حرب
عينُه للدمعِ وَقفٌ   قلبُه للحبِ نهب
كلَّما كشَّف كرباً   نابه يا ميّ كرب
هكذا حالي : إلى   نارٍ بقلبي ليس تخبو

* * *

أيهـــا العاذلُ قَدْ   أسرفتَ في عذلي فحسب
ليس في التهيام رأيٌ ،   ما عَلَى الهائم عتب
كان لي بالأمس لبٌّ   أَين مني اليوم لب
هي من قلبي شَغافٌ(١)   وَهي من كبديَ خِلْبُ(٢)

---

(١) الشغاف : حجاب القلب وغلافه .

(٢) الخلب : حجاب الكبد .

صَدَعَ القلبَ هواها ما لصدعِ القلبِ شعب

* * *

ما لهذا الدمعِ إمّا غاضَ غَرْبٌ[1] فاضَ غرب
وَلهذا القلبِ في الصدرِ له نزوٌ وَوَثب
ترقصُ الأضلاعُ مني إنْ حداها منه ضرب
وَلنارٍ في لهاتي وَحيازيمي تشبُّ
وَلأنفاسٍ لقد صُعِّدْنَ أو دمع يصب
وَلهذا المضجعِ القضِ وَجنبي عنه ينبو
تلك أسرارٌ فهل يدركها إلا المحب

* * *

يا خليليَّ أعينا ني فعندي جلَّ خطب
قاتلَ اللهُ غراباً كم له بالبين نعب[2]
أوقرا أذنيَّ عنه بفمِ الناعبِ ترب
فتنائي الروح عندي من تنائيها أحب

* * *

طال هذا الليل جداً أيها النوّام هبّوا

(١) الغرب : الدمع .
(٢) النعب : صياح الغراب .

عل فيكم من يواسي ذا أسىً مازال يربو

ضلّ رأيي كيف أرجو أن يواسي الصبّ خَبُّ[1]

كم دعاهمْ مغرمٌ قبلي وَلكنْ لم يلبُّوا

همْ بعيدون عن الحقّ وَللباطل حزب

إنَّما أبكي عَلَى أَنْ ليس بين القوم نَدْب[2]

وَهمُ لو ظفروا بي روَّعَ الآمنَ رعبُ

* * *

نشرتها مجلة الرابطة الأدبية في جزئها الخامس
في ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ هـ
١٩٢١ م

(١) الخب : الخادع الغشاش .

(٢) النّدْب : السريع إلى الفضائل .

الاجتماعيّات

إغاثة البائس

صنعُ الجميلِ وَفعلُ الخيرِ إنْ أُثِرا   أبقى وَأحمد أعمال الفتى أثَرا
بَلْ لستُ أَفهم معنى للحياة سوى   عن الضعيفِ وإنقاذ الذي عثرا
والناسُ ما لم يواسوا بعضَهمْ فهمُ   كالساءاتِ وَإن سَمّيتهمْ بشرا
إنْ كان قلبكَ لم تعطفه عاطفةٌ   عَلَى المساكينِ فاستبدلْ به حجرا
هي الإغاثةُ عنوانُ الحيــاةِ فإنْ   فقدتها كنت مَيْتاً بعد ما قبرا

* * *

ديني الذي عُظِّمَتْ عندي شعائرُهُ   وَدينُ كلِّ امرئ قد رقَّ أو شعرا
خفضُ الجناحِ لأَبناء السبيل إذا   ما ازداد خدي لذي الكبريا صعرا
بسْلٌ عَلَى العينِ تكرى بالنعيم إذا   ما كان جاريَ من ضرّائه سهرا
فجنةُ الخلدِ ما أنفكُّ أحسبها   —إذا انفردت بها دون الورى— سقرا

* * *

قومي: وَدعوتهمْ قد كانتِ الجَفَلَى(١)   إن كان غيرهمُ يختصُّ بالنقَرَى(٢)

---

(١) الجفلى: هي أن تدعو الناس إلى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص.
(٢) والنقرى: الدعوى الخاصة.

المؤثرونَ وَلو أعيت خصاصتهمْ والحافظونَ إِذا ما غيرهم غدرا
مَنْ «كابن مامة[1]» إيثاراً لصاحبه يعالجُ الموتَ في الإيثار مصطبرا
يقول: وَهوعَلَى وِرد الردى ظَمِئٌ من حيث صاحبه ريّان قد صدرا
لو أَعْوَزَ الماءُ أَصحابي سقيتهم دمي وَلست عَلَى العِلاَّتِ[2] معتذرا

* * *

إن فاتك الخيرُ والإحسان في بطلٍ حيّ البطولةَ والإحسانَ في «عمرا»
أمسى «الخليفة» يولي مِن معونتهِ مَنْ أنشبَ الجوعُ في أطفالِها ظفرا
وقوفُه عندها بالباب منكسرا أجلُّ منه بباب «القدس» منتصرا[3]

* * *

بنتَ العفافِ وَأختَ الطهرِ يابأَبي أكاد أعبدُ فيك الطهرَ والخَفَرا[4]
إنَّ الحنانَ «وَأسرار الحياة به» فضيلةٌ شأَتِ الأُنثى بها الذكرا
ما راض جامح نفسي للقريض سوى معنى الحنانِ وَمعنى البؤس إذْ خطرا
فالرودُ تحنو عَلَى الأَيتام ماسحةً من أدمعِ اليتمِ ماقدْ حارأَو قطرا

(١) هو كعب بن مامة وحديثه: أن رجلاً صحبه وفي الماء قلة فمازال يؤثره بالماء على نفسه حتى مات عطشا.
(٢) العلات: الخصاصة.
(٣) اشارة إلى خبر الامام عمر بن الخطاب مع المرأة التي ألفى صبيتها في الليل يتضورون جوعاً فحمل إليها عدلاً من الدقيق فيه كبة شحم وجعل ينفخ النار ويحرك الدقيق في القدر بيده الكريمة ... إلى نهاية الخبر.
(٤) الخفر: الحياء.

أبهى لدى النفس منها وَهي خاطرةٌ تجري مدامعُ من هاموا بها نهرا
فأنتِ ما بين صرعى الفقرِ أعظم منْ متوَّجٍ حوله القوّادُ والأُمرا
طأمنتِ لوعةَ أيتامٍ وَأرملة ما شئتِ بين ضلوعي فاقدحي شررا
وَمذْ أسوتِ جراحَ البائسين لقدْ أسقطتُ دعوايَ في قلبٍ بكِ انفطرا

* * *

في ٢١ جمادى الثاني ١٣٤٢ هـ
١٩٢٣ م

غداة العيد

كفا الملام إذا دمعي جرى صببا [1] حقُّ البكاء غَداةَ العيدِ قد وَجبا
من كان يأنسُ بالأعيادِ مبتهجاً فإنني قد هجرتُ الأُنسَ والطربا
إن قلتَ - لا قلتَ - في ذا العيد واطربا فما يزالُ مقالي منك واحربا
ما عاد بالضرِّ والأحزانِ عائدُه إلاّ ليجمعَ منها شملَ ما انشعبا
لم يكفه ما نقاسي اليومَ من ألمٍ حتى أراح علينا منه ما عزبا [2]
ماذا يعيد من الذكرى عَلَى أممٍ أضاعتِ المجدَ والعلياءَ والحسبا

* * *

نظمت لعيد الفطر سنة ١٣٤٠ هـ ، ونشرتها جريدة الحقيقة في ٢٩ رمضان ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م

---

(١) الصبب : الانسكاب .

(٢) عزب : بعد وغاب وخفي .

رياضة وشموس

من فاته أن يرى الأشجان ماثلةً ... فليأتني حين أمرُ الليلِ يجتمعُ
يجدْ عَلَى مضجعِ الأَحزانِ نَضْوَ أَسى ... سيَّان في بثّه مرأى وَمستمع
العينُ ترتدُّ عبرى عَنْهُ إنْ نظرتْ ... تكاد بالدمِ من مرآه تندفع
والأذنُ تسمعُ من تطريبه نغماً ... يكاد منه نياطُ القلبِ ينقطع
وَلو درى ناظرٌ ماذا تضمَّنه ... قلبي لأَصبح منه القلبُ ينصدع
كم زفرةٍ عند إدبارِ النجومِ إذا ... صعَّدتها خلتُ مَعْها النفسَ تنتزع
سيلُ الشجونِ غدا قلبي قرارته ... ينصبُّ فيه وَمن عينيَّ ينهمع
من طولِ ما لزمتني قد سكنتُ لها ... حتى ليدركني من نأيها جزع
طالَ التجلدُ حتى عقَّني جلدي ... وَحصن صبريَ أمسى وَهو مفترع[1]
لا أملكُ الصمتَ إنْ أضحى عَلَى مضضٍ ... وَلستُ آمنَ قولاً دونه الفزع
فويح من كان جوّالاً بعقوله ... وَما له في مجالِ القولِ متَّسع
يا مَنْ يسومونني خفضَ الجناحِ لهمْ ... تعاظمَ الخلفُ فيما بيننا فدعوا

---

(١) مفترع : مقتحم ويقال افترع البكر إذا أذال بكارتها .

عاهدتُ نفسي مذْ صعَّرتُ[1] خدي أنْ | لا يستبينَ به نحو امرىءٍ ضرع[2]
لا رفَّه اللهُ عني ما أُعالجه | إنْ كنتُ غيرَ مراد العز أنتجع
إذا النفاقُ سما يوماً بصاحبه | فإنه ساقطٌ من حيث يرتفع
قد هوَّن الناسَ عندي أنَّ شأنهمُ | من عهد (آدم) خداعٌ ومنخدع
ما ينقمون سوى علمي بأنَّ علَى | خداعِهِمْ قامتِ الأحزابُ والشيع
حاذرْ علَى الحقِّ من قومٍ سياستهمْ | لا تنتهي بهمُ حيث الذي شرعوا
واحذرْ علَى الدينِ من قومٍ تضمُّهمُ | تلك المساجد والأديار والبيع
فررتُ منهمْ بآرائي ومعتقدي | فرارَ من جدَّ في آثاره السبع
استغفرُ اللهَ من حالٍ وجدتُ بها | نفسي ترى رأيَهمْ حيناً وتتَّبع
والحمدُ لله أني قد مسحتُ يدي | من كلِّ ما لفقوا بغياً وما وضعوا

* * *

نشرت في جريدة البرق في ٣ شوال ١٣٣٩ هـ

٩ حزيران ١٩٢١ م

---

(١) صَعَّر : صعّر خده أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً من كبر .

(٢) ضرع : ضعيف .

الإعلانُ بالشكوى

كَمْ ذا أُجمجمُ داءً كاد يقتلني ... والداءُ أَقْتَلَه ما كان محتجبا

الرزءُ أعظمُ مِنْ صبرٍ يهوِّنه ... هيهاتَ لست تراني فيه محتسبا

أعالِمٌ أنتَ من أبكي وَأندبُه ... فإنني أندبُ الإسلامَ والعربا

يحقُّ للعينِ أَنْ تبيضَّ من حَزَنٍ ... إذا قضتْ من لُباناتِ[1] البكا أربا

يَئِسْنا نؤملُ من مجهودِ أُمَّتِنا ... حسنَ المصيرِ لنا إذْ ساء منقلبا

ملَّ المقام بأرضٍ ما نزالُ بها ... نكابدُ الهونَ والأحداثَ والنوبا[2]

قمْ فابغني سلَّماً أبغي النجاةَ به ... إلى السمواتِ أو تحت الثرى سربا[3]

* * *

---

(١) اللبانات جمع لبانة وهي الحاجة .

(٢) النوب المصائب .

(٣) سرَبَ : ذهب على وجهه ومضى .

المضحكُ المبكي

إيهِ فتى العُربِ من (قيسٍ) ومن (يمنٍ) أما نمى لكَ عمّا نحنُ فيه نَبا
إنّا من المضحكِ المبكي عَلَى مضضٍ في كل يومٍ نرى من شأنهِ عجبا
بفضلهِ وَبفضلِ العاملين به لقد جُعِلْنا مكانَ الهامةِ الذنبا
بني أَبي ؛ وَعساكُمْ تنذرون دمي إذا أمطتُ لكم عن أمرِكم حجبا
ماسوَّلَتْ لكمُ النفسُ الخبيثةُ إذْ ؟ وأدتمُ[٤] للعلى أمّاً زكتْ وَأَبا
ذوقوا وَبالَ الذي أيديكمُ كسبتْ كذاكَ كلُّ امرىءٍ رَهْنٌ بما كسبا

* * *

---

(٤) وأد : تقول وأد فلان ابنته اذا دفنها حية .

عودٌ على بدء

دَعْ عَنكَ هذا وَخذْ فيما شَرَعْتَ به　　فربَّما قد سعى الواشي به خببا [1]
كم حرَّفَ القولَ بَغْياً عن مواضِعه　　وَجَـدَّ يَبْني عَلَى حَبّاته قُببا

* * *

مناسِكُ العيد

وَربَّ نضوِ [2] أسىً فاضتْ مدامعُهُ　　فاهتزَّ نبتُ الأَسى في صدرِه وَربا
قد لوَّحَ الهمُّ ضاحي وَجهِه فإذا　　رأيته خلته بالهمِّ منتقبا [3]
أنشا يقول وَفجرُ العيدِ منتشرٌ　　قولاً يشبُّ بقلبِ الواجدِ اللهبا
كنّا نـكبّر تنويهاً بعزتِنـا　　فما نقولُ ؟ وَمِنّا العزُّ قد سُلبا
قمْ فارفعِ الصوتَ بالتكبيرِ إنَّ به　　معنى النعيِّ إذا كبَّرتَ منتحبا

في آخر شهر رمضان ١٣٤٠ ﻫ
١٩٢١ م

(١) الخبب : ضرب من السير وقيل السرعة .
(٢) النضو : المهزول .
(٣) منتقب : لبس النقاب .

تحية ميّ *

* ميّ ١٨٨٦ - ١٩٤١

هي ماري بنت الياس زيادة من أشهر الكاتبات في عصرها ، ولدت بالناصرة وتلمذت في احدى مدارسها الابتدائية ثم انتقلت إلى قرية عين طورة في لبنان متممة دراستها .

كانت تحسن مع اللغة العربية الفرنسية والانكليزية والايطالية والالمانية ومن أشهر كتبها : باحثة البادية ، ومد وجزر ، وسوانح فتاة ، وكلمات وإشارات ، وابتسامات ودموع ، وظلمات وأشعة .

لها شعر باللغة الفرنسية .

قضت معظم حياتها في القاهرة ودفنت بها .

تحيَّــةً طيِّبــةً إلى النُّبوغِ العربي

وَنظرةً خاشعــةً إلى بهــاءِ الأَدبِ

قد جمعتْ بينهما (ميٌّ) بأُمي وَأَبي

كان النبوغُ قَبْلَهَا حملاً ببطنِ الكتب

يا طالمــا عاملنا بالصدِّ والتجنب (١)

قد زُرعتْ من قبلها الـــمنى بوادٍ مجدب

مضتْ عَلَى أمِّ اللُّغا تِ أَعصرٌ لَمْ تنجب

(١) التجنب البعد والإعراض :

حتى إذا ما جهدت		في يومها العصبصب[1]
تفضلَ اللهُ بمن		ترونها عن كثب
فبشَّرتْ وَأنذرتْ		بنثرها والخطب

* * *

يا آيةً ساطعةً		طوَتْ ظلالَ الغيْهَبِ[2]
وَدرةً مصونةً		وَإنْ تكنْ لم تحجب
وَنجمةً لامعةً		في شرقها والمغرب
تنازلتْ لكِ الرجا		لُ عَنْ رفيعِ المنصب
قد أخفقوا في سعيهم		عساكِ لن تخيِّبي

* * *

وُلاةُ[3] أمرِ الأَدبِ		وَلّوكِ مُلكَ الأدب
وَقلّدوكِ أمرَهمْ		وَذاكَ أعلى الرتب
وبايعوكِ بالتي		عزَّتْ عَلَى المطلِّب
وانقاد في بيعته		كلُّ عصيٍ أَو أَبي
فانتفتِ الفوضى وقرَّ		الأمرُ بعد الشغب

---

(١) العصبصب : الشديد .

(٢) الغيهب : الظلمة .

(٣) الولاة : جمع وال وهو الحاكم .

وَباتَ ملكُ العلمِ مشـــــدودَ العرى والطنُب[1]

أعظمْ بها مليكةً أعدلْ بها وَأحبب

إذْ لم تكنْ بيعتُها[2] بالغصْبِ والتغلب

* * *

يا (ميُّ) ما رأيتِ في ديارِنا من معجب

قطعتِ عرضَ البحرِ إذْ ذرعتِ طولَ السبسب

عسى ترين راحةً من بعدِ طولِ التعب

بل ما عساك تذكريـــــنَ مِنْ أُمورٍ عجب

لا أكذب اللهَ فما في عيشِنا من أَرب

إنَّ الرزايا مقبلا تٌ والمنى في هرب

ضمــامةٌ[3] خبيثةٌ أعيتْ عَلَى المطبب

يا حسرةً عَلَى الأديـــــبِ والفتى المهذب

مضيعاً كمصحفٍ أمسى ببيت النصب[4]

فنَحْسُهُ في صعــدٍ وَسعدُه في صبب

---

(١) الطنب : حبل يُشد به سرادق البيت .

(٢) البيعة : المبايعة .

(٣) الضمامة : الجماعة .

(٤) النصب : الأوثان .

رنا إليه دهرُه بوجهِهِ المقطَّب
ضاق عليه وَحْدَه صدرُ الفضاء الأرحب
نهارُه وَليلُه في سهرٍ وَنصب
فكفكفي يا ميُّ من مدمعِهِ المنسكب

* * *

القيت في حفلة التكريم التي أقيمت للكاتبة ميّ في قصر البلور مساء يوم الثلاثاء في ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٢٢ م و ١٩ صفر سنة ١٣٤١ هـ .

إنا إلى الله

رُدّي عليَّ رقادي فهو مختلَسُ وَكفكفي غربَ دمعي فهو منبجسُ
جفناكِ قد سَلَبا جفنيَّ نومَهما وَشاهدي فيهما ذيّالك النعس
أحقُّ صبٍّ بأَنْ يولى المعونةَ مَنْ لم يألُ جهداً وَلـكنْ حظه تعس
أنّى قسوتِ وَلمْ تعطفْكِ مرحمة وَقد يلينُ لقولي العارمُ الشرس
مَنْ آخذٌ بيدي مما أُكابدُه فإِنَّ ما بيَ قد حارَتْ به النطس
قالوا السلوُّ: وَقد سيط[1] الهوى بدمي وَزفرةُ الشوقِ موصولٌ بها النفس
يا رشفةً مِنْ لمىً[2] (لمياء) باردةً كم شبَّ من ذكرِها بين الحشا قبس
وَزفرةٍ تلو أُخرى بت أقذِفُها يكاد ينشقُّ من تسعيرها الغلس[3]
إنّا إلى الله.. ما بالعيش من أَربِ بل الأمانيّ في نعمائه هوس
ذكراكِ ما قد مضى: همٌّ، وَأنتِ على حالٍ: تسوء، وَما يأتيك ملتبس

* * *

لا بدَّ من وَقفةٍ أُوفي النذورَ بها فطالما استنجزتني الأَربعُ (الدرس)

---

(١) سيط: ضرب بالسوط.
(٢) اللمى: سمرة في باطن الشفة.
(٣) الغلس ظلمة آخر الليل.

لها عَلَى العينِ أَنْ تذري المدامعَ أَوْ يَخْضَلَّ فيها يبيسُ العشبِ واليبس

إِنْ لم أَبرَّ بأَيمانٍ حلفتُ بها فــإنني بوبالِ الحنْثِ منغمس

وَقفتُ في الدارِ أقضي من مناسِكها بفيضِ دمعٍ وَنار في الحشا تطس (٤)

أطوفُ مستلماً أركانها وَبها سحائبُ الدمعِ من عينيَّ ترتجس

وَللأَسى في الحشا نارٌ إذا اتقدتْ سمعت منها أزيزاً دونه الجرس

والليلُ يصنع من ظلمائه صوراً شتى لقد أنكرتها الجفنُ والأَنس

إذا رفعتُ إليها طرفَ ذي مقةٍ (٥) تخازرتْ (٦) بيَ منها أَوجهٌ عبس

تخالهــا (وَهي لا تنفك ماثلةً في كلِّ مطرحِ طرفٍ) أَنها حرس

* * *

يا دارُ ما حال من جدَّ الرحيلُ بهم فحالُ من قعدوا يا دارُ منتكس

من كلِّ أَسيان مطويِّ الضلوعِ عَلَى نارٍ يروح ويغدو وَهو مبتئس

إذا تشاكوا بعادَ الأَقربين كنوا خوفَ الوشاةِ وَإمّا صرَّحوا همسوا

فما لجفنيَ لا يُجري الدموعَ دماً والشامُ تبكي وَ(بغداد) وَ(أَندلس)

بل ما لعينيَّ لا تبيضُّ من حزنٍ وَأَعينُ المجدِ والعلياه تنطمس

نشرت هذه القصيدة في جريدة ألف باء في ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٤١ و ٧ تشرين الثاني ١٩٢٢م وفي ٣ ربيع الثاني ١٣٤١ هـ و ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٢ م ونشرت الجريدة مايلي :

---

(٤) وطس ضرب .

(٥) المقة : الكره والبغض .

(٦) تخازر : قبض جفنه ليحدد النظر .

في رياض الشعر

وعدنا القراء في عدد الأمس بالقصيدة المجهولة التي جاءتنا من مصر جواباً على قصيدة الأستاذ خليل مردم بك وهذه هي :

يا شاعرَ الشامِ ما كلُ المنى هوسُ(١) ما دام (للوصل في العشاق) ملتمسُ
واسهر فإنَّ جفوني منذ فارقها نورُ الأحبةِ لم يستهوها نعس
والقلبُ ما زال (مذ جدَّ الرحيل بنا) كأنما هو نارٌ في الحشا تطس
كيف السلوُّ وما شأن السلوِّ وهلْ يرضاه في الحب إلاّ عاشقٌ يئس(٢)

* * *

واللّيلُ ما اللّيلُ إلاّ ما تُكابدهُ فاصبرْ تجِدْه إلى الإصباحِ ينعكِسُ
والدارُ سوف تراها وهي آهلةٌ وَسوف تزهر تلك الأَربعُ الدرُسُ(٣)
وَسوف يأتيك من عشّاقِها نبأٌ يريك كيف يلينُ العارمُ الشرس
إني أُعيذك مما الليل صانعه فأقبحُ الخلقِ تلك الأَوجهُ العبس

* * *

(١) هوس : طرف من الجنون .
(٢) يئس : قانط .
(٣) الدرس جمع دارس والدارس الممحو .

وَطالما كنتَ والأخطارُ محدقةٌ وَقد نجوتَ وَلمْ يظفرْ بكَ العسس[1]

فناسمِ[2] الدارَ واهتفْ في مناسِكها وَلا تصخْ لعذولٍ أنه ... تعس

مهما تبدل من أوضاعِها عرضاً فإنها ثابتاتٌ تلكم الأُسس

* * *

أما العواذل فالأيـــامُ بينهمُ وَبيننا وقصارى أمرهم « مرس »

* * *

(رجل من ذي قار . . .)

(١) العسس : الحرس .

(٢) ناسم : قارب .

لِمَنْ ؟

جواب القصيدة التي نشرتها ألف باء بتوقيع (رجل من ذي قار)

لِمَنْ بعالي الذرى أبياتُ أشعارِ   زندُ الحميّةِ في أعلامها واري
هاجتْ شجى النفسِ منها نفحةٌ خطرتْ   كأنها ريشةٌ مرّتْ بقيثارِ
الشعرُ شعرُ (ابنِ حمدان)[1] بغربته   تمدّه نفسُ هاني يومَ ذي قار

* * *

يا أيها الشاعرُ المزجي فرائدَه   كالنيّراتِ بدَتْ للمدلجِ الساري
كأنما أنتَ عن بعدٍ تساجلني   مهاجرٌ في الهوى يرثي لأنصاري
كُفيتَ ما قمت تدعوني إليه فما   أزال بعدُ على رأيي وإصراري
لن يبرحَ السهدُ من جفنيَّ منزلَه   حتى أرى الليلَ موصولاً بأسفار
آثرتُه بجفوني إذْ تضيّفني   ومنزلُ الضّيْفِ عند الناسِ في الدار
أما الهتافُ لمن هام الفؤادُ بها   فالله يعلم أورادي وأذكاري
نعمْ لقيتُ الرزايا في محبتها   وذاك أبلغ في حبي وإيثاري

(١) هو الشاعر أبو فراس الحمداني .

قلْ للعواذلِ يستفتوا قلوبَهمُ إنْ ضمّ قلباً سليماً صدرُ ختّار[1]
فيم الملام وَما باعدت مكرمةً فيما أتيت وَلمّا أدنُ من عار

* * *

وَلستُ أرهبُ كيدَ العاذلين إذا كنت الكفيلَ بأني مدركٌ ثاري

* * *

نشرتها جريدة ألف باء في ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤١ هـ
٢٨ تشرين الثاني ١٩٢٢ م

شؤمٌ على شؤم

لعمرو أبيك الخير ما ازددتُ خبرةً بدهري إلاّ ازددتُ شؤماً عَلَى شؤمي
يخيّرني أمرين لا خير فيهما تظلّمَ غيري أو قراراً عَلَى الظلم
شقيتُ وَكَمْ تُشقي الحقيقةُ أهلَها فمن لي بأنْ أقضي حياتيَ بالوهم

* * *

في ١٤ رمضان سنة ١٣٤١ هـ
١٩٢٢ م

---

(١) ختار : غدار .

هوى التاج

وَقفتُ عَلَى الفيضِ أنفاسُ مصعَّدةٌ ... وَأدمعٌ أرْسَلتْهُنَّ الجفونُ دما
تنكّرَ الدهرُ واربدَّتْ[1] مخايلُه[2] ... من بعدِ ما نكثتْ أيامُه الذمما
فكلُّ ساعةِ أُنسٍ أوْرثتْ حزناً ... وَكل راحةِ نفسٍ أعقبتْ ألما
لا تدَّخرْ جَلَداً أو مدمعاً لغدٍ ... ما بعد ذا اليوم ما يُخشى وَإنْ عظما
فهل أتاكَ حديثُ التاجِ حينَ هوى ... والعرشُ لما وَهى (بالشام) فانهدما
عَزَّ (النبيَّ) وَخَفَّفْ (للوصيِّ) أسىً ... فالبثُّ خامَرَ منذ اليوم قلبهما
وابردْ غليلَ (أبي بكر) وَ (صاحبه[3]) ... وَواسِ (عثمانَ[4]) في خطبٍ طغى وَطما
شاطرْ بني (عبد شمس) ما أهمَّهمُ ... (مروانَهم) و(الأشجَّ[5]) العدلَ والحكما
وَآسِ من آل (عباس) (رشيدَهمُ) ... و(الهاديين) و(مأموناً) و(معتصما)

* * *

(١) أربدَّ : تغير لونه :
(٢) مخايل : أسارير .
(٣) هو الخليفة عمر بن الخطاب .
(٤) هو الخليفة عثمان بن عفان .
(٥) هو عمر بن عبد العزيز .

ما أَصعبَ الحزنَ إنْ باحَ الحزينُ به وما أَحرَّ عَلَى الأَحشاءِ منكتما

زرْ ساحةَ القصرِ قصرِ الملكِ تلْقَ به ما يحملُ العينَ تذري الدمعَ منسجما

أَرجاؤه مقشعراتٌ لقد نشرتْ كآبةُ البينِ في أَجوائه غمما

أَضحتْ خلاءً مغانيه وآزره[1] من مرهفٍ مخذماً أَو مرهف قلما

* * *

وَموقفٍ عبَسَ الموتُ الزؤامُ به كان (الوزير) به جذلان مبتسما

يبوئُ القوم للهيجا مقاعدَهم من هابطٍ وادياً أَو مرتقٍ أَكما

ما زال يقدمُ والأَبطالُ محجمةٌ حتى المنية منه أَصبحتْ أَمما[2]

فما تردَّدَ في تفضيلِ موردِها عن أَنْ يقال (وَزيرُ الحربِ) قدهُزِما

في ذمةِ اللهِ أَشلاءٌ مجندلةٌ تقحّمتْ جاحمَ[3] الهيجاءِ مضطرما

قدأَبلغوا النفسَ عذراً في مصارِعِهم وَمبلغٌ نفسَه عذراً كَمَنْ سلما

* * *

ما (العلقميُّ) وَإنْ جلَّتْ خيانتُه وكان في الغدر ما بين الورى علما

ببالغٍ شأْوَ قومٍ لا أَبا لهمُ من جاحدٍ عرفاً أَو كافرٍ نعما

أَعمى عيونَهمُ الدينارُ حيث عَلَى قلوبهمْ وعَلَى أَسماعهمْ ختما

---

(١) آزر : ساعد .

(٢) أمم : قريب .

(٣) الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال .

كادوا لأُمتهمْ لكنْ لأنفسهمْ — كادوا لو أنَّ رشيداً بينهم علما
وَكيف بالرشدِ في قوم كبيرهمُ — من فوق عرنينه بالغدر قد وَسما

* * *

ياداحيَ الأَرضِ هل ترضى بما اجترحتْ — أَبناؤها وَهمُ من عَقَّ أو ظلما
فاخسفْ بهم أَرضَهمْ وابعثْ عواصفَها — وَكوِّرِ الشمسَ وانثرْ نجمَها زِيَما (٢)
واجعلْ مياهَهمُ غوْراً بما ظلموا — واحبسْ سماءَك أو أمطرهُمُ نقما

* * *

يا صاحبَ العرشِ لا تقلقكَ عاصفةٌ — هبَّتْ عليه بنحسٍ شيَّبَ اللمما
فعرشُ ملكك قد أضحتْ قواعدُه — في قلبِ كلِّ أبيّ ثبّتتْ قدما
وَتاجُ ملكك ما ينفكُّ ميسمه — عَلَى جبينك للرائين مرتسما
وَلا غضاضة في تركِ البلادِ وَقَدْ — (خُيِّرتَ أَمرينِ ضاعَ الحزمُ بينهما)

* * *

في ذي القعدة ١٣٣٨ هـ

١٩٢٢ م

هذه القصيدة رمزية يهدف الشاعر بها إلى تسطير مأساة بالذات وقد نظم الشاعر هذه القصيدة إثر خلع الملك فيصل بن الحسين عن عرش سورية وكان يقال إن بعض وزرائه قبيل وقعة ميسلون زينوا للجنرال غورو دخول سورية حرباً وأطلعوه على خارطة الدفاع .

---

(٢) الزيم : القطع المتفرقة جمع زيمة .

تحيـّة شوقي *

* أحمد شوقي ١٨٦٨ – ١٩٣٢

أحمد بن علي بن أحمد شوقي شاعر العصر دون منازع ولد في القاهرة وترعرع في البـلاط الملكي درس الحقوق في باريس ولما أتم دراسته عاد إلى القاهرة وظل مقترباً من الخديوي عباس وملازماً له حتى خلع من قبل السلطة الانكليزية . من آثاره الشوقيات في ثلاثة اجزاء وروايات شعرية منها مصرع كليوباترة ، ومجنون ليلى ، وعنترة ، وعلي بك الكبير .

توفي بالقاهرة ودفن بها .

بَرَزَت بزينتِهـــا إليكَ الشامُ　　　وافترَّ بشراً ثغرُهـا البسّامُ

فتجاوَبَ الأَطيارُ بين رياضِها　　　منهـــا عليكَ تحيةٌ وَسلام

صوتُ النسيمِ أَمامَ حاجبِ شمسِها　　　هذاك إِيمـاءٌ وذاك كلام

شهدتْ بطلعتك (ابنَ ثابت[1]) وافداً　　　أتعودُ (بابنِ الحارثِ[2]) الأَحلام

يا شاعراً والدهرُ بعضُ رواته　　　باتتْ عليك تحَـاسَدُ الأَقوام

للعبقريةِ في قريضِك طابعٌ　　　وعليه من آيِ النبوغِ وسام

---

(١) حسان بن ثابت الشاعر الصحابي المشهور .

(٢) هو جبلة بن الحارث من أواخر ملوك بني غسان في الشام الذين كان يفد عليهم

لاحتْ عليه نفحةٌ قدسيةٌ أدى إليها الوحيُ والإلهام
فكأنما المعنى رحيقُ مدامةٍ واللفظُ شَفّافًا عليه جام
صوّرتَ خائنةَ العيونِ لنا وما تخفي الصدورُ وما تعيه إلهام
أُخذٌ من السحرِ الحلال نفثتَها فكأنها عند النشيدِ مدام
أدركتَ من غاي الخلود مكانةً بعدتْ فما طمعتْ بها (الأهرام)
واشتدَّ أسرُ الشعرِ فيك وَطالما كانت تساور جسمَه الأسقام

* * *

تبني من الأبياتِ كلَّ ممرّدٍ من شأنِه التشييدُ والإحكام
في كل بيتٍ غادةٌ تنويلها ووصالُها إلاّ عليكَ حرام
فكأنها في البيتِ تشرق زهرة وَكأنه من حولها أكمام
حَدَّثتَ عن ذاتِ الإلٰه[1] بكل ما ليستْ تحيط بدركِه الأفهام
وَكشفتَ سرَّ النفس[2] وَهو مقنعٌ ضلتْ محجةَ كنهِهِ الأوهام
ذهنُ الرئيسِ أبي علي مرهفاً عن دركه قَدْ عادَ وَهو كهام
بأبي وَأمي (مصرَ) ماذا أنجبتْ بكَ من إمامٍ ما شآه إمام
فاجمع مشتتَ شملها فلربما قامتْ مقامَ سيوفِها الأقلام

(١) اشارة إلى قصيدة الشاعر شوقي التي عنوانها (الله).

(٢) اشارة إلى قصيدته في النفس التي عارض بها الرئيس أبا علي بن سينا.

كم مِنْ مقامٍ كنت محموداً به　　في موقفٍ زَلّتْ به الأَقــدام
مصرُ العزيزةُ والشآم عَلَى الولا　　إلفانِ ضمّهما هوى وَغرام
والله ما نقضتْ لها عهداً وَلم　　يخفرْ لمصرٍ في الشآم ذمام
من عهد عمرو(١) لم تحلّ عظيمةٌ　　في مصر إلاّ شاركتها الشام

* * *

أُنظر تجدْ (بدمشق) ما يعيا به　　قلمُ البليغِ وَيبهتُ الرسّام
الغوطتانِ محيطةٌ كلتاهما　　بدمشق تُخفى فيهما الآكام
زندانِ مدّهما أخو شوقٍ إلى　　مشتاقةٍ فدنتْ فتمّ ازام
والغوطتانِ عَلَى محيًا جلقٍ　　من سندسٍ عند الشروقِ لثام
نسجتْ لها شمسُ الصباحِ خيوطَها　　برداً عليه طرائقٌ وَسهام
والبدرُ ألبسهــا إزاراً أبيضاً　　من نورِه فكأنه إحرام
هل كان غصنٌ في خمائلِ (جلّق)　　نايٌ وَأنفاسُ النسيمِ زنام(٢)
هي صفوةُ اللهِ البديع بأَرضه　　فإذا صبوتُ لها فكيف أُلام
طافَ الخليلُ بها وَبارك حولها　　نوحٌ وَخار(٣) بها الإقامةَ (سامُ)(٤)

(١) هو عمر بن العاص فاتح مصر .
(٢) زنام : زامر مشهور .
(٣) خار : اختار .
(٤) سام بن نوح .

قد كانَ للمجدِ الموطدِ ركنُهُ   من (قاسيون) ذروةٌ وَسنام
قمْ واستلمْ دورَ الخلافةِ إنها   أمسى لها بيدِ الردى استسلام
طفْ في زواياها وعظِّمْ شأنها   من شأنها التعظيم والإكرام
ماذا دهى الخضراء[1] صوَّحَ غصنها   وَعلا محيّاها الوسيمَ قتام
فكأنها لم يأتلقْ في أفقِها   عمرُ الخليفةُ والإمامُ هشام[2]
أعززْ عَلى الخلفاءِ ذل بلادِهِم   وَلو أنهم تحتَ الترابِ رمام
قل للذي وَسعتْ سياستُه الورى[3]   ضاقتْ سياستها بنا الأيام
واعطفْ لقبرِ أبي المظفر[4] ساعياً   أَفَلَمْ يعزَّ بسعيه الإسلام ؟
قل للذي غلب الحوادثَ بأسُه   إنّا بأيدي الحادثات نضـــام
فجعتْ بفقدِ التاجِ (جِلّقُ) وانطوتْ   من بعدِ نشرٍ تلكمُ الأعلام
والبدرُ أفجع ما يكون خسوفه   في ليلةٍ زهراء وَهو تمام

* * *

(شوقي) وَإني مستجيرٌ عائذٌ   بك إنْ مناني العيُّ والإفحام
من ذا يقول وَأنت منه بمشهد   أفليس غايةَ أمرِهِ الإبهام

(١) الدار الخضراء هي دار الخلافة .
(٢) عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك من خلفاء بني أمية .
(٣) هو معاوية بن أبي سفيان .
(٤) أبو المظفر : السلطان صلاح الدين الأيوبي .

أقدمتَ حيث ارتاع كلُّ مفوَّهٍ قد يركب الأمرَ المخوفَ غلام

* * *

يا أيها الحفل المعظَّم قَدْرَ من كانتْ تُعظِّمُ قبله الأَصنام

وَلّوه وَجْهَكُمُ وحيّوا قبلةً كَرُمَتْ وأنتمْ للسلام قيام

* * *

في ٩ المحرم سنة ١٣٤٤ هـ

تليت في الحفلة الكبرى التي أقامها أدباء دمشق في المجمع العلمي تكريماً لأحمد شوقي بك في ١ آب ١٩٢٥ م و ١١ المحرم ١٣٤٤ هـ .

أُنْشُودَة

لله وَللمثلِ الأَعلى وَلوجه الأُمةِ والوطنِ
سرْنا في خطتِنا المثلى بالعلمِ وَبالخلق الحسن
نبغي عزاً نأْبى ذلاً لا نخشى عاديةَ الزمن

* * *

نادانا الداعي فلبَّيْنا لبَّيْكَ أيا داعي العليا
جئنا صفّاً قدْ آلينا أنْ لا نرتدَّ وَلا نعيا

* * *

في أُفقِ (دمشق) لقد بزغتْ شمسٌ هتَكتْ حجبَ[1] الظلمِ
في أَقطارِ الدنيا رفعتْ للعلمِ مناراً والعلم
أَعظمْ (بأُميَّة) إذْ فتحتْ بالسيفِ الدنيا والقلم
بلغتْ أَوجَ العليا وَسَمتْ بالعربِ عَلَى هام الأُمم

* * *

قرّي يا (شام) بنا عيناً الموتُ لأَجلكِ والمحيا

---

(١) الحجب جمع حجاب وهو الستار .

الصعبُ لقد أمسى هيناً		إنْ متنا نحن لكِ البقيا

* * *

يا (ليلى) دون البلدانِ		(قيسٌ) في حبكِ واليمنُ
وَحَدْتِ شتيتَ[1] الأوطانِ		فاجتمعَ (بأندلس) عدن
كم فيك لنا حلوُ أماني		وَخواطرُ هاجَ لها الشجن
عهدٌ لكواكبِ غسان		وَشموس أمية مؤتمن

* * *

في حبكِ إنّا غالينا		وَتسابقنـــا فيه جريا
وَببذلِ الروحِ تواصينا		بالدمِ والدمع لك السقيا

* * *

قد هيضَ جناحُ النّسْرِ وَلَمْ		يسقطْ فتحاملَ مكسورا
أما (السيّار[2]) وَكان حرم		فأبيحَ وَأمسى مأسورا
فبكى لهما (قاسون[3]) وَلَمْ		لا يندبُ تاجاً وَسريرا
وَعروس (أمية) ذاتَ أَلَمْ		تستصرخ كفؤاً وَمجيرا

* * *

(١) الشتيت المفرق .

(٢) السيار موقع مرتفع في جبل قاسيون وبه قبة السيار .

(٣) جبل قاسيون .

أين الحامون لها أينـا		كم ذا نادتْ حيًّا حيّا
ما أشجى إذْ تشكو البينا		ما أَلهف إِذْ ترجو اللقيا

* * *

نسَماتُ (الغوطة) إذْ تسري		لو تسمعُ ناحتْ أرواحا
وَظلالُ الحور علَى النهر		في الليلِ تراءتْ أشباحا
بين الريحان أو الزهر		عرفٌ لذكيٍّ دمٍ فاحا
(بردى) يبكيه إذا يجري		والبلبل إنْ غنى ناحا

* * *

هل من واعٍ نحن وَعينا		هيّا للمجد بنا هيّا
هل من ساعٍ نحن سعينا		هيّا نعلُ سمع الدنيا

* * *

في ٢١ ذي القعدة ١٣٥٠ ﻫ
٢٨ آذار ١٩٣١ م

الولد الأعمى

تعريب قصيدة للشاعر الانكليزي كولي سيبر (١٦٧١ — ١٧٥٧)

ماذا الذي تدعوه نوراً   أنا ما سعدتُ به بصيرا
بل كيف ينعمُ مبصرٌ   هَلْ تُخبرُ الولدَ الضريرا

* * *

يا طالما حدثتني   عما تراه وَتشهدُ
فزعمتَ أنَّ الشمسَ تشرق جذوَةً تتوقد

* * *

أنا لستُ أجهلُ وَهجَها   لكنَّ ما لا أعلم !
أنىّ يكون بها نهاً   رٌ ثم ليلٌ مظلم

* * *

الصبحُ عندي والمسا   ءِ إذا لعبتُ وَحينَ أكرى[1]
لو لم أنمْ لجعلت أيا   مي نهاراً مستمرا

* * *

---

(١) أكرى : سهر .

كم ذا سمعتك تُرسلُ الز   فرات محزوناً عليّا
هي نعمةٌ لَمْ أعطهـــا   فبفقدها لم أرز شيّا

* * *

حزني عَلَى ما لا سبيــــل إليه يَحرِمُني السرورا
أنا كالمليكِ إذا شدو   تُ وَإنْ أكنْ أعمى صغيرا

* * *

في ٣٠ مايس ١٩٣٣ م

*
* *

حُماة الديار

النشيد الرسمي للاقليم السوري

حماةَ الديارِ عليكمْ سلامْ
أبتْ أنْ تذلَّ النفوسُ الكرامْ
عرينُ العروبةِ بيتٌ حرام
وَعرشُ الشموسِ حمىً لا يضام

* * *

ربوعُ الشآمِ بروجُ العلاءْ
تحاكي السماءَ بعالي السناء
فأرضٌ زهَتْ بالشموسِ الوضاء
سماءٌ لعَمَرُكَ أوْ كالسماء

* * *

رفيفُ الأماني وَخفقُ الفؤادْ
عَلَى عَلَمٍ ضمَّ شملَ البلاد
أمَا فيه من كلِّ عَيْنٍ سواد
وَمن دمِ كلِّ شهيدٍ مداد

* * *

نفوسٌ أباةٌ وَماضٍ مجيدْ
وَروحُ الأَضاحي رقيبٌ عتيدْ
وَمنّا (الوليدُ) وَمنا (الرشيد)
فَلِمْ لا نسودُ وَلِمْ لا نشيد

* * *

في ١٢ ايلول ١٣٣١ م

الظالم المظلوم

ما زالَ يأكلُ مِنْ لحمي وَيشربُ مِنْ
دمعي وَيرتعُ في جلدي بمخلبِهِ
حتى إذا الدّهرُ جازاه بفعْلتِهِ
لم يُبْقِ لي مدمعاً أبكي عليه بِهِ

* * *

في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٥٩ هـ

٢٥ حزيران ١٩٤٠ م

بَرق وَسَراب

رأى البرقَ في جنحِ الدجى يتألقُ ... فعلَّلَ قلباً بالأمانيِّ يخفِقُ
وَكاد وَقد هَبَّتْ مِنَ الحيِّ نفحةٌ ... بأذيالِها من شوقِه يتعلَّق
تطيبُ بريّاها النفوسُ وَتنتشي ... فمن دون ريّاها الرحيقُ المعتَّق
وَما زال هذا البرقُ يوري غليله ... وَيُطمعه بالريِّ إذْ باتَ يَبْرُق
فأمسى يُرجّي عندإيماضه[1] الحيا[2] ... فَجادَ وَلكنْ... بالصواعقِ تحرق

* * *

وَيا ربَّ ظمآن رأى في مفازةٍ ... عَلَى البعد وِرداً ماؤُه يترقرق
فهبَّ إليه والهواجرُ[3] تلتظي ... يجدُّ عَلَى الإعياء سيراً وَيعنق[4]
فلمّا دنا ألفى سراباً بقيْعةٍ[5] ... فكاد من الإخفاقِ وَاليأسِ يصعق

* * *

---

(١) الايماض : اللمعان .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) الهواجر جمع هاجرة وهي نصف النهار في القيظ .

(٤) أعنق : أسرع وسار العَنَق .

(٥) القيعة : أرض سهلة .

أَلا أَيها الساري عَلَى غيرِ منهجٍ قعودُكَ إنْ لم تسلكِ النهجَ أَوفق

إذا لم تكنْ أُولى الخطى مستقيمةً فويلٌ لأَقدام تضلّ وَتزلق

وَمن ينز في أرضٍ تسوخُ[1] فإنه عَلَى قدرِ ما ينزو يغوصُ وَيغرق

وَإنْ أَنتَ لم تملك من الأَمر غيرما تضرّ به فالعجزُ أَولى وَأَخلق

فــككتَ يداً مغلولةً فقطعتها حنانيك إنّ الغلَّ أَرجى وَأَرفق

وَما ينفع المأسورُ إطلاقَ قيدِه إذا كان بعد القيدِ للنطعِ يطلق

وَيا ناسجاً ثوباً ليُلبس غيرَه وَثوبُك لو أَبصرتَ بالٍ ممزق

إذا ظنّ عبدٌ نفسَه باتَ سيداً فلا عتقُه يُرجى وَلا هو يأْبق

وَمَنْ ضاقَ ذرعاً بالقريبِ فذرعُه وَحيلتُه عَمَّنْ سواه لأَضيق

فكيف ترجّي جمعَ (قيس) و(يعرب) وَشملُكَ يا هذا شتيتٌ مفرّق

وَكيف ترجّي (وَحدةً عربيةً) وَمن دون (راشيا[2]) حدودٌ وَبيرق

وَهل بيدٍ من بعد ما بان كفُّها يُوقع عهدٌ أَم يؤكد موثق

وَما نفعُ دارٍ لست تملكُ بابَها هل السجنُ إلاّ بابُه حين يغلق

وَإنّ أمراً أَمسى يُغنّي بمأْتمٍ وَيرقصُ مفراحاً لسمجٌ محمّق

---

(١) ساخ قدمه غاصت .

(٢) راشيا قضاء سوري في الأَصل سلخ عن سورية أيام الانتداب وأُلحق بالجمهورية اللبنانية .

إذا جدَّ بين القوم أضحك جدُّه ومِن هزله تغثى[1] النفوس وتزهق

ترفقْ بمن جرَّعته الصابَ[2] إنه بوجهك ما جرَّعته الصابَ يبصق

لئن كنت فيما قد بدا منك (أخطلا) فهذا (جريرٌ) راصدٌ و(الفرزدق)

* * *

في ربيع الأول ١٣٦٤ هـ
آذار ١٩٤٥ م

(١) غثا تقول غثت نفسه إذا اضربت حتى تكاد تتقيأ.

(٢) الصابُ: شجرٌ مر.

نشيد

حطّمتُ أغلالَ يدي	برأسِ كلِّ معتدِ
لا أرتضي لأُمتي	إلاّ مكانَ السيّد
يا صرخةَ المجروحِ في	إبائِه والسؤدد
صَحا لها الزمانُ مِنْ	تعنّتِ المعربد

* * *

قلْ للطواغيتِ أما | نحن كسرنا الصنما
في الأرضِ مِنْ فتوحِنا | مآثرٌ وفي السما
عَلَى البروجِ فيهما | لَقَدْ رفعنا العَلَما (١)
فيا لهــا شواهداً | أضحتْ لسانًا وفما

* * *

هذي يدي للعرَبِ | في الشرقِ أو في المغربِ
عَلَى اجتماعِ شملِنا | لغـايةٍ ومطلب

(١) اشارة إلى أسماء النجوم العربية المستعملة في عدة لغات .

يا يومَ إدراكِ المنى فداكَ أُمي وأَبي
أثاره فجرٌ فيا خيل (العروبة) أُركبي

* * *

فتاكِ في قبيلهِ مشى لنَيلِ سؤْلهِ
إنْ عورض السيلُ طغى فخلِّ عَنْ مسيله
أَو أُرسل السهمُ مضى فنحِّ عن سبيله
أَو هوجم الليثُ حَمَى أَشبـاله في غيله[1]

* * *

لبيكِ ألفاً واشهدي ذزعــــةَ المجدَّد
بدِّلَ من طلولِه بصرحكِ الممرّد
نفوسُنـــا مطيفةٌ بركنِكِ المشيّد
فأَنتِ عصمةٌ لنـا وأَنتِ برجُ الأَسد

* * *

في ٣٠ ذي الحجة ١٣٦٧ هـ
١٣ تشرين الثاني ١٩٤٧ م

اقترح عليَّ نظمه الأستاذ أحمد أمين بك مدير الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

---

(١) الغيل : بيت الأسد .

تاريخ بناء مراحيض

رئيس المجلسِ البلدي (غالبْ)   بنى كُنُفاً[1] متينات الجوانبْ
حذا حذوَ الفرنجةِ في بناهـا   فلستَ ترى لها في الناسِ عائب
إذا ذُكرتْ محاسنُها لديه   يُفتِّلُ باسماً منـه الشوارب
فإنْ أودى ادفنوه بهـا لتبقى   له ذكرى عَلَى كرّ العجائب[2]
وخطّوا فوقها للنـاس أرِّخ   مراحيضَ الحضارةِ (رمس غالب)

* * *

في سنة ١٣٣٣ هـ

---

(١) الكنف جمع كنيف والكنيف المرحاض .

(٢) العجائب جمع عجيبة .

شهيدة الطوى

أَضرَّ بغادةٍ هيفـاءَ رود طوىً بحياتِها قَدْ كادَ يودي
فباتتْ تحتَ جنحِ الليلِ تذري من الآماقِ كالدرِّ النضيد
وتندبُ من يعول بها بصوتٍ يلين لسمعِهِ القلب الحديدي
وزاد شجونَها إعوالُ طفلٍ لها داني العهودِ مِنَ المهود
خوتْ أحشاؤه مما يقاسي بمادي الجوعِ من ألمٍ شديد
فضمَّته تعلِّله وَأَمستْ لظى أحشائها ذات الوقود
وَلما ذرَّ[1] قرنُ الشمسِ أنشا يطالبها بإنجازِ الوعود
فظلتْ في خواطر مزعجاتٍ يضيقُ بوصفها صدرُ القصيد
أأهرق ماءَ وَجهي في سؤالٍ وَما في الحيِّ من رجلٍ رشيد
أَم أهتك عفةً بسبيلِ قوتٍ إذاً إني لفي غيٍّ بعيد
وَما عندي من الأَموالِ شيءٌ سواءٌ من طريفٍ أو تليد
وَإنْ يك ليس بدٌّ من سؤالٍ فما من خالتي لي من محيد

(١) ذرَّ : انتشر .

فقامتْ ترجفُ الأوصالُ منها　　وَقد عجزتْ عن المشيِ الوئيد[1]
وَأمّنها عَلَى كرهٍ وَآبتْ　　بنزرٍ من دراهمِها زهيد
وَقد كتبتْ لها صكاً بِدَيْنٍ　　لأيام بأربعةٍ شهود
وَعادتْ لابنها الطاوي بخبز　　يلذّ أمامَه طعمُ الهبيد[2]
وَلما بات دفعُ الدَيْنِ أدنى　　وَقيت الدين من حبلِ الوريد
وَقدْ نفِدَ الذي ادخرتْ وَكانت　　تقيم ببعضِه صلب الوليد
وَلمّا يبق مما استقرضته　　سوى مائةٍ من المال الجديد
غدتْ للسوقِ وابتاعت ببقيا الـ　　ـفلوسِ مسدساً واري[3] الزنود[4]
وَأوصدتِ النوافذَ ثم همّتْ　　بمحوِ النفسِ من طرسِ الوجود
فقام الطفلُ مذعوراً إليها　　وَفي أجفانِه سنةُ الهجود
فلو تر إذْ تعلّقَ وَهو يذري　　شَبيهَ الدرِّ منها بالبرود
تقبله مودعــــةً ثلاثاً　　فمن خدٍ وَناظرةٍ وَجيد[5]
تقول لئنْ سأقضي خوفَ عارٍ　　يسجله الطوى أبدَ الأَبيد[6]

---

(١) الوئيد : البطيء .
(٢) الهبيد : حب الحنظل .
(٣) واري اسم فاعل والفعل أوري ، ويقال أوري الزّند أخرج ناره .
(٤) الزنود ، جمع زند وهو العود الأعلى الذي يقتدح به النار .
(٥) الجيد : العنق .
(٦) الأبيد : تقول أبد الأبيد وهو تأكيد دوام الأمر الذي أتى به .

قَدِ استودعتك المولى وَليستْ　　تضيع وَدائعٌ عند الودود

وَأدنتْ مِنْ مسدسِها جبيناً　　تلوحُ عليه آياتُ السجود

وتمَّ الأَمرُ وهي تقول دون الســـؤالِ وذلّه موتُ الشهيد

لذاب القلبُ منك وإنْ يكنْ من　　صليبِ الصخرِ أو قاسي الحديد

* * *

في سنة ١٣٣٥ هـ

١٩١٥ م

اليتيم الجائع

هَلْ مَنْ يعينُ عَلَى التجلدِ ساعةً فمع الدموعِ تجلُّدي قد سالا
طفلٌ بجوفِ الليلِ يبكي عارياً نال الضنى من جسمه ما نالا
ما راعـــه إلّا دنوّي نحوه كالفرْخِ ريع لكاسرٍ قَدْ صالا
سـاءلته ما خطبُه فتدفّقتْ منه الدموعُ فما استطاع مقالا
فمسحتُها حتى اطمأنّ فؤادُهُ وأعدتُ بعدئذ عليه سؤالا

* * *

ماذا أقول وقد رميت بكلِّ فا دحةٍ تدكُّ[1] بهولِها الأَجبالا
ذهب الزمانُ بوالديَّ ولم يدعْ حتى طوى عمّاً وأودى خالا
وشقيقة كالغصنِ في غلْوائه[2] عصفتْ به ريحُ المنونِ فمالا
وأَعضَّ نابُ الجوعِ طاويَ مهجتي وأثابني داءٌ عليه عضـــالا
فسعيتُ نحو الموتِ أَعلم أنه من ضنكِ[3] هذا العيش أَحسن حالا

* * *

(١) دكّ : نسف ، هدم .
(٢) الغلواء : أول الشباب .
(٣) الضنك : الفقر ، الشدة .

وإلى هنا انقطعَ الحديثُ لعارضٍ		بينَ الكلام وبينه قد حالا
لله إذْ ألقى عليَّ بنفسه		والموتُ جدَّ بجسمه إيغالا[1]
لَفَظَ الحياةَ عَلَى يديَّ فشمتها		نوراً إلى الملإ العليّ تعالىٰ
وسمعتُ هينمةَ الملائِكِ حوله		ورأيتُ رحمةَ رَبِّنَــا تتوالى
فهناك أسقط في يديَّ وعقَّني		جلدٌ تملَّك مدمعاً هطّالا

* * *

في سنة ١٣٣٥ هـ
١٩١٥ م

(١) الايغال : الامعان في السير .

شكوى الدهر

تركتُ هوى بيض الطَلى[1] والترائبِ[2] | وَسود شفارِ العين سود الذوائبِ[3]
فأَصبحتُ عِزْهاةً[4] عن اللهوِ والصبا | وَقد كنتُ قبل اليوم زيرَ كواعب
فما تتصبــاني الأوانسُ والدمى | ولا قاصراتُ الطرفِ زجّ الحواجب
زجرتُ فؤادي عن هوى الغيدِ فارعوى | وَقرّ وَقبلاً كان قلقَ الجوانب
نفضتُ يديَّ اليوم مِنْ كلِّ صبوةٍ | وَقد بيّض الفودين[5] سودُ النوائب
وَهل للصبا واللهو يا سعدُ موضعٌ | بقلبِ حزينٍ مترع بالمصائب
إلى اللهِ أشكو البثَّ والحزنَ وَحده | فــإني لقد ضاقتْ عليَّ مذاهبي
وَأسلمني دهري لكلِّ ملمَّة | وَأنــكرني صحبي وأدنى أقاربي
وكلّ خليلٍ كنت آملُ ودَّه | نأى ثانياً عطفيه عني بجــانب

---

(١) الطلى : جمع طلية وهي الأعناق .

(٢) الترائب : عظام الصدر واحدتها تريبة .

(٣) الذوائب منبت الناصية من الرأس .

(٤) عِزْهاة : العازف عن اللهو .

(٥) الفودان : الفوْد معظم شعر الرأس والفودان ضفيرتان .

فوالهفتا أني أضام ولا أبٌ		يعز عليه أن تذلّ جوانبي
كذاك ولا أمٌ تشاطرني الأسى		ولا من أخٍ لي أرتجي أو مصاحب
ألا من لطفلٍ إنْ تراءى لي الردى		كفرخٍ قطا في العشّ ليس بزاغب[1]

* * *

في سنة ١٣٣٤ هـ

١٩١٤ م

(١) زاغب : كان ذا زغب .

أنّات

أعينا عَلَى ليلٍ حيارى كواكبُه ... تَطاوَلَ حتى أنكرَ الصبحَ راقبُه
بهيمٌ يضلُّ النجمُ فيه سبيلَه ... وَيزورُّ ذعراً بدرُه فيجـانبه
فوارحمتـا للمستهـامِ بجوفِه ... تهـادنه الآمُـه وَتواثبه
كملقىً بيمٍّ موجُـه متلاطمٌ ... فيطفو به آناً وَآناً يجـاذبه
عَلى مثلِ هذا بتُّ أنشج بالبكا ... وَأشربُ دمعاً ليس تصفو مشاربه
وَأذكر أحباباً كراماً لقد نأى ... بهم زمنٌ عاتٍ عظام نوائبه
يلذع قلبي ذكرُهم فأضمه ... مخافةَ إنْ جاريته هو شاعبه(١)
وَربَّ حماماتٍ بكتْ فاستفزَّني ... بكاها وَجادتْ بالدموع غواربه(٢)
علام البكا لا شملكنَّ مفرقٌ ... وَلا الدهرُ تُزجى نحوكنَّ مصائبه
أثرتنَّ لي وَجداً وَما كنتُ ناسياً ... وَلكنما ازدادتْ عليَّ متاعبه

---

(١) الشاعب : المفرق المصدع .

(٢) غوارب : أعلى كل شيء ، جمع غارب .

وَطال عليَّ الليلُ حتى حسبته		محتْ آيةَ الإصباحِ جوراً غياهبه
فما هو إلاّ أنْ بدا الفجرُ ساطعاً		وَشابتْ من الليلِ البهيم ذوائبه
وَغَرَّدَتِ الأَطيارُ فوق غصونِها		وَقرب من قلب الشجيِّ رغائبه
هنالك قد أَيقنتُ أنَّ الدجى وَإنْ		تمادى فسيفُ الصبحِ لاشك ضاربه

* * *

في سنة ١٣٣٥ ﻫ
١٩١٥ م

*
* *

رحلة حاكم سورية العسكري العام[1]

بين دمشق وحلب

ذرِ النفسَ لا يودِ الأَسى بذَمائها[2] إذا ذكرتْ حيناً من الدهر ماضيا
أُنيطتْ به الويلاتُ حتى أقمننا عَلَى الخسفِ أياماً دَجَتْ وَلياليا
فَمَدَّ عن الذكرى التي تقرح الحشا وَتهتك من خِدْرِ[3] الجفونِ جواريا
وَحبّر عَلَى نيلِ الأماني تهانئاً لأخلافِ من فيهم أجدتُ المراثيا
أبَوا أن يساموا الذلَّ في عقرِ دارهم فهبوا إلى الهيجا أسوداً ضواريا
أصاخوا إلى الداعي ببطنانِ(مكة) وَلبوا عَلَى بذلِ النفوسِ المناديا
تقاضوا إلى البتّار[4] مَعْ شرِّ عصبةٍ وَقدماً تجيد الباتراتُ التقاضيا
بقيتَ أميرَ العربِ للعرب عصمةً وَدمتَ لهم من حادثِ الدهرِ واقيا

---

(١) هو الفريق رضا باشا الركابي الذي كان رئيس مجلس الوزراء في حكومة الملك فيصل الأول .

(٢) الذَماء : بقية النفس .

(٣) الخدر : الستر .

(٤) البتار : السيف الصقيل .

فلولاك بعد الله ظلّتْ بلادُنا وَأنفسُنا سَبْياً لمن كان سابيا
لقد كنتُ قبل اليومِ للعرب ناعياً فأصبحتُ منذ اليوم بالعرب شاديا
وهالكَ الذي كانت دموعي تخطّه وَينفثه صدري بهميَ جاويا :
ليبكِ فخار العرب من كان باكيا فلم يبقِ من أعلامِه الدهرُ باقيا
خبا ذلك النورُ الذي كان ساطعاً وَفلَّ شبا [1] السيفِ الذي كان ماضيا
وأقفر من أحيائِه كلُّ آهلٍ وَأضحتْ مغانيه طلولاً بواليا
وَمن أعظم البلوى بذلك أنْ أتتْ عَلَى القومِ أحداثٌ تُشيبُ النواصيا
أُحِلّت ذراهم واستبيح حماهمُ وَسيموا هواناً سادةً ومواليا
غدوا هدفاً من بعد عزٍ ومنعةٍ ولا دافع يرميه من كان راميا
يساقون باسمِ الدينِ للموتِ عنوةً وهل كان إلاّ منهمُ الدينُ ناشيا
فكم سيدٍ مَرّتْ رواحلُ [2] عمرِه بستين عاماً واستزادتْ ثمانيا
تغضُّ لمرآه النواظرُ هيبةً كأن (أبا بكر) [3] ببرديه جاثيا
وأبلج يستسقى الغمامُ بوجهِه كريم إذا ما الجدبُ ألقى المراسيا
وأروع قد كنّا بجنةِ رأيه نردُّ سيوفَ الخطبِ عنا نوابيا [4]

(١) الشبا : الحد .
(٢) الرواحل جمع راحلة وهي النجيب الصالح من الابل .
(٣) هو الخليفة أبو بكر بن أبي قحافة .
(٤) النوابي جمع نابي وهو الذي لا يعمل في الضربة .

غدوا طعمةَ الأَجذاع تُبلي وجوهَهمْ ونضرتَها هوجُ الرياحِ سوافيا
لَوَتْ منهمُ الأَسبابُ أَسباب صلبهم رؤوساً من العلياء كانت دوانيا
وغلّتْ أَياديهمْ كبُولٌ[1] وطالما بيسطتِها فكّوا أسيراً وعانيا
مشوا للردى مستبشرين كأَنهمْ من الهيم عاينَّ الحياضَ صواديا[2]
أَلا هَلْ أَتى شبهَ الجزيرةِ نعْيُهمْ وَمَنْ كان (قيسيّاً) بها و (يمانيا)
أُولئك قومٌ لست تعدم منهمُ عَلَى كل حالٍ ناصراً أَو مواسيا
يعز عليهمْ أَنْ رمى حادثُ الردى بإخوانهم والأَقربين المراميا

* * *

أَراكَ أَجزتَ الحدَّ في الحزن فاتئدْ وفت عَلَى ندبِ الكرام البواكيا
فمن دون هذا خِضْرِمٌ[3] الدمعِ نافدٌ وَقلبُكَ مصدوعٌ وإِن كان قاسيا
فسلِّ همومَ النفسِ عنكَ برحلةٍ تشاهدْ منارَ العربِ يا سعد عاليا
وبادرْ لذاكَ الركبِ تلفَ أَمامه سراجاً إذا ما الليلُ عَسْعَسَ ساجيا
أَجزت دمشقَ الشام والركب مظهراً فما بتَّ إلاّ في ذرى (النبك[4]) ثاويا
وقلت لنضوٍ من رفاقيَ شأنه لقد كان في حملِ الصبابةِ شانيا

---

(١) كبول جمع كبل وهو القيد .
(٢) الصوادي : العطاش .
(٣) الخِضْرم : البئر الكثيرة الماء .
(٤) النبك قرية كبيرة تبعد عن دمشق ثمانين كيلو متراً :

عَلَى (النبك) قِفْ نبكِ الربوعَ فإنها علالة محزونٍ وَخيرٌ مداويا

* * *

وَسيــارةٍ تغلي مراجلُ صدرِها كأَن بها داءً من البثِّ داويا

إذا صعَّدتْ أَنفاسَها خلت والهاً وأَنفاسُه منه بلغنَ التراقيا

أَقلَّتْ رحالي نحو (حمص[1]) فخلتني علوت بها وَفداً من الريحِ سافيا

وَلما نزلنا حمص يمَّمتُ (خالداً[2]) أُحيي به عهد الفتوحات زاهيا

أَخالد لا تيأَسْ فسيفُك لم يزلْ بأَيدي بنيك العربِ يلمعُ فاريا

لئن فلَّتِ[3] الأَيامُ غربيه[4] حقبةً فقد أَرهفوا حدَّيه بالدمِ جاريا

ليهنك أَنْ هبّوا معيدين مجدَهمْ فقرَّ بهمْ عيناً بلغتَ الأَمانيا

كذلك حييتُ (ابن ليلى[5]) تحيةً نشرتُ بها جسماً تخدَّد فانيا

رعى الله (حمصاً) إنها خيرُ بلدة وَحيّا الحيا منها الحمى والمغانيا

ترى من بنيها كلَّ بشٍ تخاله من البشر ذا قربى وَخلاً مصافيا

وَلما قصدنا من (حماة[6]) سبيلَها علونا متونَ الصافناتِ عواديا

---

(١) حمص بلدة شهيرة يمر بها العاصي .

(٢) هو خالد بن الوليد .

(٣) فلَّ : ثلم .

(٤) الغرب : الحد .

(٥) هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

(٦) حماة بلدة معروفة بنواعيرها وكانت موطن الفارس أبي الفداء .

١٩

وَفي الركبِ ميمونُ النقيبةِ أروعٌ كفى بمحيَّاه إلى الركبِ هاديا
صليبُ قناةٍ دونها كلُّ غامزٍ وَذو مرةٍ يعنو لها الدهر جاثيا
ففي السلم مثل الأم ترأم طفلها وَفي الحربِ مثل الليثِ يزأر عاديا
أقام عَلَى حكمِ المساواةِ أمرَه فأَضحى به جيدُ المساواة حاليا
فمن حكمه (موسى) و(عيسى) و(أحمد) وَمن هو من أتباعهمْ بات راضيا

* * *

وَأدهم كالصبحِ المنيرِ جبينُه وَتنظر في جثمانه الليل داجيا
جرى بي وَخيلُ الركبِ تعدو أمامه فخلَّفها من غير جهدٍ وَرائيا
يجدون سيراً زاجرين بخيلهم وَلن يدركوه من عنانيه ثانيا
هبطتُ به وادي (حماة) بسحرةٍ وَكل جواد ظلَّ خلفيَ كابيا[1]
هنالك غصنُ المجدِ فينانُ باسقٌ[2] وَما نورُه يوماً عَلَى الدهر زاويا
وَفي (حلب[3]) لمَّا نزلنا بطاحَها شهدنـــا بمغناها نجوماً دراريا
فـكل فتى مِنْ آلِ يعرب دائبٌ صباحَ مساءَ أَنْ ينالَ المعاليا
أهاب بهـــا قومي فلبَّتْ نداءهمْ وَدانَ من الأَتراكِ مَنْ كان عاصيا

* * *

---

(١) كابي : مقصر .

(٢) باسق : ممتد طويل .

(٣) حلب مدينة معروفة كانت عاصمة ملك سيف الدولة الحمداني .

وَطيف (للمياء) العزيزةِ زارني		فشرَّدَ من نومي وَما كنت غافيا
بذلتُ له طيبَ الكرى علَّ عطفة		يعاونني فيها عَلَى ما عنانيا
فآب بنومي لا يصيخُ لشكوتي		وخلّى جراحَ القلبِ تدْمى كماهيا
هياطيفَ مَنْ كانتْ تكفكفُ مدمعي		وترثي زمان الكارثاتِ لحاليا
ألكني إليها بالسلام رسالة		تكون لديها إنْ قضيت وصاتيا

* * *

سقى (حلبَ) الشهباء عارضُ مزنةٍ		كعارضِ دمعي إنْ ترقرق هاميا
برحتُ حماها ذاكراً لعهودها		إلى بلدٍ ما عهدها كنت ناسيا
وَظلنا نجوبُ البيدَ شرقاً وَمغربا		وَنهبطُ أوداء[1] وَنعلو روابيا
إلىأنْ بلغنا (بَعْلَبَكَّ[2]) وَرفقتي		بهم لمغانيها من الشوقِ ما بيا
تحسّى بها عمرو بن كلثوم[3] كأسَه		ونحن انتشينا إذْ جلونا الأعاديا
وفي القلعةِ القوراء ذكرى وعبرةٌ		لمن وعن سادوا القرونَ الخواليا[4]
عرتني لِما شاهدتُ واللهِ دهشةٌ		جهلتُ يميني عندها من شماليا

---

(١) الأوداء جمع وادي .

(٢) بعلبك مدينة معروفة وبها القلعة الشهيرة .

(٣) اشارة إلى قوله في معلقته :

وكأس قد شربت ببعلبك		وأخرى في دمشق وقاصرينا

(٤) الخوالي : المنصرمة .

فماذا عساني أنْ أقول بوصفِها ... وما سامعٌ منّي كمن كان رائيا

وقفتُ حيالَ الهيكلِ الفخمِ برهةً ... ترنُّ زواياه برجعِ كلاميا

وصعّدتُ في آثارِ قوميَ زفرةً ... ألنتُ بها صمَّ الصفا والسواريا (1)

وعدتُ إلى سيارتي مع صحابتي ... فعادتْ تغذُّ (2) السيرَ كالبرق ساريا

ولمـا تبيّنّا (دمشقَ) تهلّلتْ ... وجوهٌ عليها البشرُ أصبح باديا

فمن مستكفٍّ يستبينُ خليطهُ ... ومِنْ قائلٍ هذي وربّي صحابيا

سلامٌ علَى وادي دمشق فـإنه ... مواطنُ خلاّني ومهوى فؤاديا

* * *

نشرتها جريدة المقتبس في ٢١ ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ

١٩١٩ م

---

(١) السواري : جمع سارية وهي الأسطوانة والسواري عند الملاحين الأعمـدة التي تنصب في أواسط الفن .

(٢) تغذ : تسرع .

فتاة بيروت

هلمّ ننشدْ يا صاحبيَّ معاً   قلباً تلا تلوهمْ وما رَجَعا
وما أرجّي من خافقٍ قرعتْ   صفاتَه النائباتُ فانصدعا
ساروا وخلّوا بين الضلوعِ أسى   تقطّعتْ منه مهجتي قطعا
وَحالفَ الطرفُ سهدَه فإذا   راوَدتْهُ النومَ لجَّ وامتنعا
وَناءَ بالدمعِ جفنُه فإذا   كَلّفْتُهُ كفَّ غربِهِ دَمَعا
والنفسُ جاشَتْ يومَ الفراقِ فما   ترى لها في الضلوعِ متسعا
بانوا بمن لو يشيم طلعتها   كالشمس بدر الدجى ما طلعا
قد صاغها اللهُ آيةً كملتْ   خلقاً وَخُلقاً يا حسنَ ما صنعا
بزّتْ نساء الورى فما بِسِوا (م)   ها الحسنُ والعلمُ والنُهى اجتمعا
فدوحةُ الطهرِ طيّ بردتِها   ونورُها في جبينِها لمعا
(أسماءُ[1]) ترجي ابنَها الملحمةِ   يطيرُ منها قلبُ الفتى فزعا

(١) إلماع إلى قصة أسماء بنت أبي بكر الصديق مع ابنها عبد الله بن الزبير في حربه مع بني أمية .

أو (الحميرا[1]) تروي محدثةً ... ما صحّ خبراً وَطاب مستمعا

أو (بنت عمرو[2]) تنشي روائعَها ... و(بنت عمران[3]) بعد ذا ورعا

نضتْ ثيابَ الخمولِ وابتدرتْ ... للعلم كالهيمِ عاينتْ كرعا

بمثلِ هذي ترقى الشعوبُ إلى ... طودٍ من العزِّ والعلى ارتفعا

* * *

سرُّ الشعوبِ الفتاة فهي بمـا ... توليه تجري مع خلقها شرعا

ضلَّ الأُولى يحسبونها وطراً ... وَباء بالخسرِ من لذا نزعا

من يصطنعها بالعلمِ والخلقِ الطا ... هرِ يعلم إحسانَ ما اصطنعا

وَباذرُ الجهلِ والرذائلِ هَلْ ... يحصدُ إلاّ من الذي زرعا

* * *

كانتْ فتاةُ الإسلامِ في الزمن الخا ... لي سراجاً في وَجهه سطعا

أيام كانتْ تحلُّ من عقدِ الرأ ... يِ صعـاباً وَتعقدُ البيعا

واهاً لعهدٍ زكتْ به وَسقا ... ه اللهُ صوبَ الغمامِ ثم رعى

هبّتْ عليها نكباءُ[4] زعزع لا ... يقال مَعْها للعاثراتِ لعا[5]

(١) هي السيدة عائشة زوج النبي عليه السلام.

(٢) هي الخنساء الشاعرة الشهيرة.

(٣) هي السيدة مريم البتول.

(٤) النكباء: ريح انحرفت عن مهاب الرياح.

(٥) لعا: تقول للعاثر، لعاً لك أي أقال الله عثرتك.

فبات ذاك السراجُ منطفئا والفضل أمسى في غيهبٍ سكعا[1]
حتى بدا نورُه يبدد من غياهبِ الجهلِ أجبلا فرعا
فحيِّ (بيروتَ) فهي سـابقةٌ لهدْيِهِ بل بأُفقِها سطعا

* * *

نشرت على مجلة الفتاة البيروتية في جمادى الثانية ١٣٣٦ هـ
١٩١٨ م

(١) سكع: مشى على غير هداية.

شكوى المحزون

ألقيت في حفلة النادي النسائي

حقَّ لِلمحزونِ أنْ ترثِيَ لَهْ   وَاسِهِ إنْ شئتَ أوْ دعْ عذَلَهْ
لا تزدْ ضيقاً عليهِ سبلَه   ضَمنتْ سودُ اللَّيالي تبلَه[1]
وَكَفاهُ ما به مِنْ كمدِ

ذَكَرَ الماضي وَذِكْراهُ شجنْ   فاستثارَ الدمعُ منه ما أجنْ
وَرأى البرقَ شآمياً فَحَنْ   كَحنينِ العَوْدِ[2] يوماً للعطَنْ[3]
وانثنى نحو حشاه باليدِ

يا لَهُ برقاً خبا ثمَّ أضا   موهِناً كالعرقِ لمَّا نَبَضا
تركَ القلبَ عَلَى جَمرِ الغضا   كلُّ جفنٍ شامه ما أغْمضا
فَاعذُروه في البكا وَالسُّهدِ

---

(١) التبل : الترة والعداوة .
(٢) العود : المسن من الابل .
(٣) العطن : المناخ حول الورد .

ذَكَرَ الشامَ عَلَى عَهدِ الوليدْ   وحمىً بغداد أيّامَ الرَّشيدْ
وَرأى ٱلحالَةَ في العصرِ الجديدْ   كيف حالتْ فارْتمى فوقَ الصَّعيدْ
خائرَ القوّةِ واهي الجلدِ

قفْ عَلَى الرَّبعِ وَلو لَوْثَ[٤] الإزارْ   عَلَّني أُطْفِئُ بالدَّمعِ الأُوارْ[٥]
وأسألِ الرَّبعَ متى أُعهد الجوارْ   إنَّ لي قلباً عليهمْ مُستطارْ
دينهُ منْ متهمٍ أَو منجدِ

وَقفتْ والليلُ قَدْ أرخىٰ السُّدولْ   تسكُبُ الدَّمعَ عَلَى تلك الطُّلولْ
أيُّ شيءٍ هو أدعٰى للذُّهولْ   مِنْ بكاءِ الرُّودِ[١] في رَسمٍ محيلْ
موحشٍ ليس به مِنْ أحدِ

لا تَسلْ عمّا عراني وَعَراها   ساعةً حيث تراني وأراها
حُزنٌ كمَّ فمي إذْ كمَّ فاها   وَعلتْ آياتهُ منّا الجباها
منبِّئات عن أسىً في الخَلَدِ

لوعةٌ وَثابَةٌ بينَ الضُّلوعْ   وأسىً ذادَ عن ٱلعينِ الهجوعْ[٢]

---

(٤) لوث ، لاث العمامة يلوثها لوثاً لفها وهنا كناية عن البرهة القليلة .
(٥) الأوار : حر النار .
(١) الرود : الفتاة الناعمة .
(٢) الهجوع : النوم .

ليتَ شِعري فيمَ تسكابُ الدُّموعْ وَقديمًا ما درتْ معنىً ٱلوُلوعْ
جلدةَ العينِ وخلب الـكبدِ

إنَّما تبكي لمجدٍ قَـدْ سلفْ لم يكنْ محتفِظًا فيه الخلفْ
آنَ للقـاعدِ منّـا أنْ نخف نحو دَرْكِ المجدِ فالوَقْتُ أزفْ
ليس يكفينا كريمُ المحتدِ

وَملاكُ ٱلأمْرِ تهذيبُ الفتاةِ فهيَ مشكاةٌ (١) تُنيرُ الظُّلُمـاتِ
هل سمعتمْ في القُرونِ الخاليـاتِ أُمةً هبَّتْ بغيرِ النّاهضاتِ
للعُلىٰ أو في العصورِ الجددِ

* * *

نشرتها المقتبس في ١١ ربيع الأول ١٣٣٩ ومجلة العروس الدمشقية في العدد الحادي عشر من المجلد السادس . ١٩٢٠ م

---

(١) المشكاة : المصباح .

الشبابُ والمشيبْ

هَلْ في البكاءِ على مافاتَ منْ حرَجِ ... فذ كرُه هاجَ وَجْداً كان مدفونا
ليكثر الصَّب مِنْ ذكرى أحبَّتِهِ ... فالذِّكْرُ ما زال بِالتَّقريبِ مقرونا
إلاَّ الشَّبابَ فلا يلوي ، وَذا كرُهُ ... مِمَّا يُكابِدُ لا ينفكُّ محزونا
وَرُبَّ ناعِمَةٍ باتتْ تُعيِّرُني ... في الرَّأْسِ شيباً وفي الخدَّين تغضينا(١)
وَصِرتُ أُدعى لها عماً وَلستُ به ... وَقَدْ تعوَّدتُ أَنْ أُدْعى أخاً حينا
لوافِحٌ مِنْ مُصيبات الزَّمانِ لقدْ ... لوَّحنَ وَجهي وَزنَّ(٢) الخُلقَ تحسينا
كرِّي بِطرفِكِ في وجهي تري أَثراً ... منَ النَّضارَةِ في التغضينِ مكنونا
ولا تُراعي لإِيماضِ(٣) المشيبِ فَلَمْ ... أُعدَّ بعدُ سوى خمسٍ وَعشرينا
تبسَّمَ الشَّيْبُ في فودِيَّ عن أدبٍ ... غَضٍّ وَرأْيِ أمرىءٍ ما كان مأْفونا(٤)

---

(١) التغضين : التجعد والتثني .
(٢) زان : حسَّن .
(٣) الايماض : اللمع .
(٤) المأفون : ضعيف الرأي .

لِي منه ميسمُ[1] إجلالٍ وتكْرمةٍ   إنْ كانَ ميسمُ غيري الخِزْيَ والهونا
كأنَّما الشعراتُ البيضُ إذْ سَطعتْ   شُهُبٌ لقدْ رجمتْ دوني الشَّياطينا
إنَّ الشَّبيبةَ نارٌ إنْ خبتْ تركَتْ   مِنَ المشيبِ رَماداً ثابتاً فينا

* * *

نشرت على جريدة ألف باء في ١٤ شعبان سنة ١٣٣٩ هـ .

١٩٢٠ م

(١) الميسم : المكواة أو الآلة التي يوسم بها .

الإخوانيات

الفضيحة المرضية في العودة من البويضية

أقولُ لصاحبي والشيخُ يجثو | لينظرَ بيننا الرودَ (٢) الفتورا (٣)
ألا استرها سُتِرْتَ فضَحْتَ صباً | أهاجَ بقلبِه الحبُّ السعيرا
فقال كذاك طُلاّبُ اللآلي | تغوصُ لقـــاءِ بغيتِها البحورا

* * *

في سنة ١٣٣٣ هـ

ملاحظة وتنبيه : إن جميع القصائد الواردة في باب الأخوانيات نظمها الشاعر وسنه دون العشرين سوى قصائد قليلة تجاوزت سنه بها العشرين بقليل كما يشير تاريخ كل قصيدة ولا يفوتنا أن الشاعر ولد سنة ١٨٩٨ وتوفي رحمه الله في الحادي والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٥٩ ولم يكمل الثانية والستين من العمر .

---

(١) البويضة : هي قرية في قضاء وادي العجم تخص آل مردم بك .

(٢) الرود : الفتاة الناعمة .

(٣) الفتور : السكون .

كِتابٌ الى عارف الخطيب *

* عارف الخطيب

من رجال الادارة والقانون شغل وظائف ادارية كبيرة في الدولة ودرس علم الاقتصاد في كلية الحقوق بدمشق مدة من الزمن وهو أديب مشارك وراوية للشعر .

أيصحو عاشقٌ أم يستفيقُ … لأَصحوَ أم ترى يسلو مشوقُ
وَمَنْ يك مستهاماً بالغواني … فذاك بأَنْ يَضُلَّ بها خليق
وَمن يك هائماً في مثل حبي … فإنَّ به التصبّر لا يليق
أأسلو أَمْ أُصبِّرُ عنه نفسي … وَعودُ صبابتي غضٌ وَريق
فهطْلاً يا سماءَ الجفنِ هَطْلاً … فقد لمعتْ من الذكرى بروق
وَيا عيني اسعدي أَنْ بتُّ شوقاً … أُريقُ من المدامعِ ما أُريق
وَيا قلبي الذي ما زال مضنى … ليزددْ فيك يا قلبي الخفوق
فَقَدْ أَصبحتُ لا أَخشى ملاماً … وَهل يخشى من البللِ الغريق
وَربَّ مليحةٍ كالبدرِ وَجهاً … تغَنَّتْ بالصبا فصبا العشيق

يدبُّ غناؤها في كلِّ عضوٍ وَأَعلَةٍ كما دبَّ الرحيق[1]

ترانا من سُلافةٍ[2] صَوْتِها قَدْ ثملنا للتكلّمِ لا نطيق

سكوتاً والهوى قد نابَ عَنّا وَما غير الهوى فينا نطوق

وإذْ رقصتْ فهزَّتْ غصنَ بانٍ يأوِّدُه الهوى وَبه يحيق

جَرَتْ من حبها في القلبِ مني مياهٌ واستقتْ منها عروق

كأَني وَهي فاطمةُ (ابن حجر[3]) (بدارة[4]) إذْ يقلّهما الفنيق

يجيشُ الشعرُ في صدري وَلكنْ عَنْ اعرابِ الصبابةِ قد يضيق

إليكَ إليكَ أشكو أنَّ قلبي وَدمعي ذا أسيرُ وَذا طليق

لأنك (عارف) بالحبِّ تصبو لكلِّ خريدةٍ[5] وَبه عريق

وَإني مذْ نأيت أخو اكتئابٍ قريحُ الجفنِ في دمعي شريقُ[6]

وَإنَّ النَّومَ ينفرُ عن جفوني كما نفرتْ عن الصبِّ العَلوق[7]

فَلَوْ تك ناظري والسقمُ منّي عَلَى قابٍ وإبلالي سحيق

---

(١) الرحيق : الخمرة .

(٢) السُّلافة أطيب الخمر .

(٣) ابن حجر هو الشاعر امرؤ القيس .

(٤) دارة هي دارة جلجل التي ذكرها امرؤ القيس بمعلقته .

(٥) الخريدة : البكر لم تمس .

(٦) شريق : غريق .

(٧) العلوق : الناقة التي لا تألف الفحل .

تقاذفني يدُ الأدواء[1] بطناً إلى ظهرٍ لتلقفني علوق
أراعكَ منظري وشجاكَ حالي وسالَ بدمعِ ناظرِكَ العقيق
ولكني أراكَ نسيتَ خدناً عَلَى السرّاء والضرا صديق
إذا ذكرَ التئام الشملِ أمسى يكاد تشوّقاً وجدي يسوق
فإنْ يكُ حبلُ ودِّكَ ذا انصرام[2] فإنّ الحبلَ من ودّي وَثيقُ
وإنْ أضحى وما عهدي مشوباً فوُدّي لا مشوب ولا مذيق
أتنسىٰ يومَنا بالديرِ صُبحاً وَهامُ الأفْقِ كلّله الشُّروق
إذِ النّاقوسُ يُقْرعُ والعذارى تُرتّلُ والنُّفوسُ لها تتوق
وأيّاماً (بزحلة[3]) قد تُقضّى لنا عيشٌ بها غضٌّ أنيق
فقدْ قسّمْتَ قلباً في رُباها لقد كادتْ تغصُّ به الحلوق
فريقٌ منه عندكَ يا ابنَ ودِّي وعند كعابِها منه فريق
وفي (دير النجاة) غداة كنّا تكبّلَ بالهوىٰ السدمُ[4] المشوق
أقول وقد بدتْ للعينِ عينٌ وولدانٌ لناظرها تروق

---

(١) الأدواء جمع داء .

(٢) انصرام : انقطاع .

(٣) زحلة : بلدة في لبنان فيها نهر البردوني وهي مشهورة بكثرة كرومها .

(٤) السدم الحزين الذي لا يطيق حركة .

أهذي جنّةُ الفرْدوس أم ذي رُبى (البردون[1]) لولا الجاثليق

فدعْ عنك الخيالَ وعدْ لعتْبٍ عَلَى مَنْ لي بصحبته وثوق

سأبقى عارضاً للعتْبِ رمحاً كماجا عارضاً رمحاً شقيق

أنسيانٌ بربِّك أم تناسي سكوتُك ماعهدت كذاالصَّديق

تذكَّرْ بالحديقة منْ (دمشق) عهوداً كاد يُغضِبها العُقوق

إذا بالقرب مِنّا كلُّ خودٍ غنى منها عَنِ الصَّهْباء ريق

ولا تنْس المواثقَ إذْ سرينا بليلٍ وَجهُه داجٍ غسوق[2]

إلى نادٍ يضمُّ دمى وعينا وإذْأنَّ السُّرى منّا عنيق[3]

سأثني من عنانِ العُتْبِ آنا عسى لك منْ شؤونك ما يعوق

وإلاّ فالقوافي طائعاتٌ وإنَّ جَوادَ أشعاري سَبوق

أنا اللَّسِنُ البليغُ ولا أُدَّعاءُ أنا الزيرُ المشوق ولا فسوق

وها أنا ما قرضتُ الشعرَ كيما يُقالُ لشاعرٍ فطنٌ ذَليق[4]

فإنَّ مقامِيَ السّامي مقامٌ يخرُّ لعزِّه الطَّوْدُ الزليق[5]

---

(١) البردون : نهر البردوني والشاعر يكني عن بلدة زحلة .

(٢) الغسوق : شدة الظلمة .

(٣) العنيق : سير سريع واسع للإبل والدابة .

(٤) ذليق ذو الذلق والذلق من الألسنة الحديد البليغ .

(٥) الزليق : السيقط .

ولـكن في ودادكَ جاء عفواً ... كما تقضي الصَّداقةُ والحقوق
كذلك فليكُنْ لفظٌ رَشيقٌ ... وَمعنى رائقٌ بِـكرٌ رقيق
فإنْ أَحسنت فالإِحسانُ دأْبي ... وهَل غيري به أَبداً حقيق
وإِنْ يَكُ لا فعندي كلُّ همٍّ ... يضيقُ ببعضه الفطن اللَّبيق
أَلا قَدْ أَخْرَجَتْ صدري هُمومٌ ... أرى صدر الفضاء بِها يضيق
وفي الختمِ السَّلامُ عليكَ مِمَّنْ ... يراك بأَنَّكَ الخِدْنُ[1] الصَّديق

* * *

في سنة ١٣٣٣ هـ

(١) الخدن : الصاحب .

وكأنها لما بدت

« كنت وصديقين لي في ملهى ؛ واسطة عقده فتاة مرتدية غلالة زرقاء ، فقلت كأنها بوجهها الوضاء وشعرها الفاحم وغلالتها الزرقاء ، بدرٌ علاه سحابٌ في سماء صافية فاقترح عليَّ أحدهما نظم هذا المعنى فقلت :

وَكأنَّهـا لمَّا بَدَتْ — تختالُ في زُرْقِ الثِّيابِ
والشَّعرُ مَسدولاً حكى بِسوادِهِ حَلَكَ[1] الغُرابِ
أُفْقٌ يَزِينُ صَفاءه بدرٌ تَـكَلَّلَ[2] بالسَّحابِ

* * *

في سنة ١٣٣٥ هـ

---

(١) الحَلَكُ : شدة السواد .

(٢) كَلَّلَ : ألبسه الإكليل .

يا مُزمعَ السَيْر

١٨٩٠ - ١٩٤٢ م

إبراهيم حلمي العمر من كتاب العراق المترسلين اشتهر قبل الحرب العامة الأولى برسائل كان ينشرها في صحف مصر والشام ، اعتقله الترك في أواخر الحرب الأولى وأرسل إلى دمشق ثم أطلق سراحه وعاد إلى بغداد واشترك في إصدار جريدة لسان العرب وتوفي ببغداد .

« كتبتُ على صورةٍ لي قدمتها لابراهيم حلمي افندي العمر البغدادي »

يا مزمعَ(١) السَّيرِ بُلِّغْتَ المنىٰ ؛ مهلاً
يؤدِّ حقّاً من التَّوديعِ قَلبانِ
زَوَّدْتُكَ(٢) الرُّوحَ ذكرى الوُدِّ إِذْ أَزفت(٣)
ساعاتُ سيرِكَ فاقْبَلْ رَسمَ جُثماني

* * *

في سنة ١٣٣٥ هـ

---

(١) المزمع : مظهر العزم تقول أزمع على الامر اذا أظهر فيه عزماً .

(٢) زوّد : أعطى زاداً .

(٣) أزف : اقترب .

الى الأمير شكيب أرسلان *

* الأمير شكيب أرسلان ١٨٦٩ - ١٩٤٦

شكيب بن حمود بن حسن بن يونس ارسلان من سلالة التنوخيين كان علماً من أعلام البيان ؛ كتب كثيراً ، وألف في مواضيع شتى ومن اشهر كتبه الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية ، وغزوات العرب في فرانسة وشمالي ايطالية وفي سويسرة . والارتسامات اللطاف وحاضر العالم الاسلامي .

له ديوان شعر طبع في حياته .

أحسُّ بشيءٍ في الحشا يُشبه الجمرا ... أهذا غرامٌ هيَّجتْهُ ليَ الذِّكرى

أبيتُ على وِرْدٍ (١) غزيرٍ وَمُصطلى ... فمنْ مُقْلةٍ عَبرى ومِنْ كَبِدٍ حرَّى

أُصيخُ (٢) لما يوحي الغرامُ لمسمعي ... فأَنظُمُهُ طَوْراً وَأَنثُرُهُ أخرى

أَأُختَ الدُّمى قلباً خلا ونُعومةً ... وَأُختَ الظِّبا طَرْفاً كَقلبيَ أوْ نحرا

أَتدْرينَ فوْقَ الحبِّ ما هوَ مِنْكُمُ ... يُقرِّبُني فالحبُّ جرَّعَني الهجرا

فَعندَ هُبوبي أنْتِ أَوَّلُ خاطِرٍ ... وَآخِرُهُ واللهِ أنتِ إذا أكرى (٣)

---

(١) الوِرْد : نبع الماء .

(٢) أصيخ : انصت .

(٣) أكرى : نام .

أَمرُّ عَلَى الصَّخرِ الأصمِّ تَعِلَّةً فَأَلثمُه إذْ قلبُها يشبِه الصَّخرا
وَما كُنتُ مِمَّنْ يُعجِمُ الحبُّ عودَه وَلكِنّما يصبو الحليمُ لها خمرا
ولستُ كمنْ تهفو العقارُ[1] بلبِّه ولكنْ سَقَتني من نَواظِرها خمرا
فُتورٌ كَشعرِ الصَّبِّ بالهجرِ رِقَّةً إذاهامَوَجداً أوشعورِالشَّجي المغرى
فلو كان لي شيءٌ مِنَ الأمرِ بين مَنْ هُمُ أَوْلياءُ الشعرِ عَرَّفْتُها شعرا
أجزني أَميرَ الشِّعرِ بالشِّعرِ إنَّني أراني لم أَسلكْ به مسلكاً وعرا
رَدَدْتَ عليه حسنَه بعد ما زوَى قروناً فأضحى غصنُهُ بك مخضرّا
أَعدْتَ لناعصرَ(النَّواسي[2])و(مسلمٍ)[3] فبوركْتَ يا عصرَ القريضِ به عصرا
فَمَنْ مبلغ (شيخَ المعرَّةِ[4]) شيخنا (وأَحمدَ[5])و(الطّائيَّ[6])مَنْ نظموا الدّرا
بأَنّا رأَيناهم جميعاً بشخصِهِ فقرّوا عيوناً فالقريضُ لقد قرّا
إليه فتاةُ الشعرِ أَلقتْ قيادَها ولم تتَّخذْ إلّا روائعَه خِدْرا[7]
بأَكنافِه العليا تلوذُ صيانةً لقد كان والرحمٰن في صونها أَحرى

(١) العقار : الخمرة .
(٢) النواسي : هو الشاعر أبو نواس .
(٣) هو الشاعر مسلم بن الوليد .
(٤) هو أبو العلاء المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء .
(٥) هو أبو الطيب المتنبي الشاعر الحكيم .
(٦) هو أبو تمام الطائي الشاعر الكبير .
(٧) الخِدْر : الستر .

بإحدى يديه السَّيفُ يقطرُ من دمٍ وأُخرى يديه ينفثُ القلمُ السحرا
إليكَ أميرَ السَّيفِ والقلمِ أُنتهتْ كرام خصالٍ قد تجاوَزتِ الحصرا
عَفافٌ وإقدامٌ وَحَزمٌ ومِنْعَةٌ وَمجدٌ تسامىٰ ردَّ عينَ العُلى حسرى
إلىٰ ظِلّكَ العالي زَففتُ[1] خريدةً[2] إجازة شِعرٍ مِنكُمُ أبتغي مهْرا

* * *

في سنة ١٣٣٤ هـ

(١) زفَّ : أهدى .

(٢) الخريدة : البكر التي لم تمس ويقال الى اللؤلؤة خريدة أيضاً .

جوابُ الأمير

أرى جملةً في صفحةِ الكونِ لا تقرا
وَعاطفةً في النفسِ تُدرى وَلا تُدرى

وَناراً بأَحناء الأَضالعِ كلَّما
تخلّلها بردُ اليقينِ ذكتْ[1] جمرا

هي النارُ في الأَحشاء لكنَّها هدى
لمنْ كانَ لا يرضى بإِيمانهِ الكفرا

عَلَى ضوئها سارَ الأئمةُ قبلنا
وَهزّوا عَلَى الأَملاكِ أَلويةً حمرا

وَكم شاهدوها بالحجازِ وَنورها
يضيءُ بأَعناقِ الأَيانق[2] من بصرى

وَلولا سناها ما درى ذو بصيرةٍ
أَقلباً حوى بين الجوانحِ أم صخرا

وَلولاه لم تعرفْ عن الروحِ سيرةً
وَلا أَثراً عنها قصصنا وَلا أَثرا

لقد غاب عنّا كنهُها وَمكانُها
وَلكنْ عَلَى الأَكوانِ آثارها تترى

لها كل آنٍ في البريةِ مظهرٌ
يخبِّر أنَّ اللهَ أَودعها سرا

يقولون خلق كل ما فيه آية
أَجلْ إنما سرُّ الهوى الآيةُ الكبرى

دخانٌ بلا عودٍ وَعرفٌ[3] بلا كِبا[4]
وَبرقٌ بلا سلك وَسَرْيٌ بلا إسرا

---

(١) ذكا : اشتعل .

(٢) الأيانق جمع ناقة .

(٣) العرف : الطيب :

(٤) الكباء : عود البخور .

فمن يتأملْ في البعيدِ يجدْ لدى جوانبه أشياء لا تقبلُ الحصرا
وَمن يتروى في دموعٍ يسيلها يخض عندها من بين أعينه البحرا
رأيتُ عَلَى طِرْسٍ[1] الوجود صحائفاً يداولُ فيها ربّها النظمَ وَالنثرا
منظمـة حبّاً مشتتـــة قلى مؤلفة عرفاً مخلفة فكرا
جنودٌ من الأرواحِ قَدْ أصبح الهوى لأشكالها سِمْطاً[2] وَأصبحتِ الدرا
لها في صباباتِ القلوبِ مذاهبٌ فأشرفُها حباً بأشرفهــا مغرى
كما هام قلبي (بالخليل بن مردم) هناك الهوى العذريُّ قد صحبَ العذرا
أجلّ سراة[3] الشام بيتاً وَإنه لأحدثهم سناً وَأكبرُهم قدرا
وأرجحُهم ذرعاً وأطولهُم يدا وأكرمُهم نجراً[4] وأصدقُهم فجرا
وأقسم أنيّ ما رأيتُ نظيرَه فتى سبَقَ الأشياخَ في قطره خُبرا
ولألأ نورُ المصطفى في نجــاره فمُّ عديّاً مجد نسبته الزهرا
أتاني قصيدٌ منه يبغي إجازتي وَهل لضئيلِ النجمِ أنْ يقبسَ[5] البدرا
وكيف يجيزُ المرءُ من بان شأوه عليه وهل للفترِ أنْ يعدلَ الشبرا

(١) الطرس : الصحيفة .
(٢) السمط : الخيط مادام اللؤلؤ منتظماً فيه .
(٣) السراة جمع سري وهو السيد الشريف .
(٤) النجر : الأصل .
(٥) قبس : الشعلة من النار .

وجاء بشعرٍ كدتُ عند نشيده　　أشكّكُ هل بالشعرِ جاء أم الشِّعرى[1]
يساجلني[2] حرّ القريضِ وهَلْ ترى　　يساجل هذا التربُ ذيّالكَ التِّبرا[3]
إجازة مثلي مثله خالص الدعا　　بتوفيقه والله يربي[4] له العمرا
وإني أرى فيه مذ اليوم مفرداً　　كذلكَ يرجّي البدرَ مَنْ شهد الشهرا
شهدتُ به في الحسنِ بدراً وفي التقى　　شهدتُ به سيماء من شهدوا بدرا

* * *

في سنة ١٣٣٤ هـ

(١) الشيعرى الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدة الحر .
(٢) ساجل : تبارى وتسابق .
(٣) التبر : الذهب .
(٤) أربى : زاد .

ذهب الهوى

« قدمت للأمير شكيب أرسلان أيضاً »

ذَهَبَ الهوى بشغافِ[1] قلبِ الموجع — وأراقَ حبُّ العامريةِ أدمعي
مكسال حوراء[2] المدامع إنْ رنتْ — ذهبتْ بلبِّ العابدِ المتورِّع
خلابةٌ إنْ حدَّثتْ فحديثها — أحلى وأملحُ من حديثِ (الأصمعي[3])
ما ملَّ قطُّ وإنْ يطلْ فكأنَّه — ترديدُ أنفاسِ الشجيِّ المولع
لا غرو إن ملكتْ فؤادي خدعة — إنَّ الكريمَ متى يخادع يخدع
هي أولٌ إنْ ما هببتُ من الكرى — وكذاك آخر خاطرٍ إنْ أهجع
فخيالُها في ناظريَّ وذكرُها — بفمي وطيبُ حديثها في مسمعي
قدْ ضاعَ مني القلبُ يوم نأتْ فهل — من ناشدٍ يوم النَّوى قلبي معي

* * *

(١) الشغاف : حجاب القلب .

(٢) الحوراء من اشتد بياض عينها مع اشتداد السواد .

(٣) الأصمعي من أشهر الرواة المعروفين بصدق الرواية .

ولقد طرقتُ خباءها من بعد ما أغفى الرقيبُ بعدلهمّ أسفع[1]
فتجاهلتني ثمّ قالتْ أنتَ مَنْ ؟ فأجبتها من تعلمين الألمعي[2]
أنا إنْ جُهلت لديك في ذلّ الهوى ما زلتُ أُعرف بالعزيزِ الأروع
أأبيت مجهولاً وَقدْ علم الورى أنيّ ألوذ بذي المقام الأرفع
حامي الذمار (شكيب) خير أولي النهى خِذْن[3] المعالي ملجأ المتضرع
يا مفزعاً للمستغيثِ بكم وَقدْ أمسى وَليس يرى له من مفزع
كم وَقفةٍ لك في (طرابلس[4]) وَقد طاش الحليمُ وَظلّ ذعراً لا يعي
وَكذاك في ذاتِ الحصون (أدرنة[5]) لمّا ظهرتَ عَلَى الجبـان المدعي
من لي بسحرٍ من بيانك علّني أبدي كمينَ محبّةٍ في أضلعي
فلأنتَ أفصحُ قائلٍ من أعجم أو معربٍ إنْ قال لم يتنطّع[6]
آياتُ شعرِكَ يا أميرَ الشعر لو تُتلى على جبلٍ سما يتصدع
فيه شعورُ المستهامِ وَدمعةُ الـباكي الحزينِ وَأنّةُ المتوجّع

---

(١) أسفع الثوب الأسود .
(٢) الألمعي : الذكي المتوقد .
(٣) الخدن : الصاحب .
(٤) طرابلس المدينة المغربية التي سبق أن اعتدى عليها الطليان وقد تصدى الأمير للدفاع عنها .
(٥) أدرنة : مدينة مشهورة في تركيا .
(٦) تنطع في الكلام تعمق فيه وغالى .

وَحنينُ وَرقاءٍ[1] علَى فننٍ ضحىً   وَرجاءِ ذي مقةٍ وَلوعة مولع
وزئيرُ ضرغامٍ وصيحةُ فارسٍ   في ملتقى الجمعين ليس بهَيْرع[2]
وبلاغةُ (الأَعشى[3])وحكمةُ (أكثم[4])   وبيان ذي الكلِمِ المبين(الأصلع[5])
أُحييتَ عصرَ الشعرِ منه بمعجزٍ   من بعد ما قدْ كان قاب المصرع
والقولُ إنْ لم يُحي ميتاً أو يمُت   حياً فذلك ساقطٌ كالأقطع[6]
وهديتني نهجَ البيانِ بآية   منه لقد سفرتْ ولم تتبرقع
لكنَّني ما زلتُ مفتقراً إلى   أخرى تخرُّ لها فحولُ النخَّع[7]

* * *

في سنة ١٣٣٤ هـ

---

(١) الورقاء : الحمامة .

(٢) الهَيْرع : الجبان الضعيف ، الجزوع .

(٣) هو الشاعر الجاهلي المشهور أحد أصحاب المعلقات :

(٤) هو الحكيم أكثم بن صيفي .

(٥) هو الامام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه .

(٦) الأقطع : المقطوع اليد .

(٧) النخع : اسم تفضيل بمعنى الأذل والأقهر .

أُقسِمتُ

وكتب إليّ الأمير المذكور كتاباً يذكر به حادثة وقعت بين شاب وفتاة أرمنية في طرطوس ويصفها بقوله :

أقسمتُ إذْ طلعتْ عليَّ شموسُها ... وزهتْ بها الأَرجاء وهي عروسُها
أعلى محل في الجمــــالِ محلُّها ... وبها فأجملُ بلدة (طرسوسُها)
لم أحسدِ العشّاقَ إلاّ واحداً ... أخطاه ربُّ العرشِ فهو جليسها
في مجلسٍ يدع الحليم مرنَّحاً ... سيّان فيه لحاظُها وكؤوسها
ما إنْ رأتهــا مهجةٌ إلاّ فدتْ ... ذاك المحيّا نفسهــا ونفيسها
ومن العجائبِ وهي ريمةٌ [1] (رامة) ... تعنو لها غُلْبُ [2] الرجالِ وشوسها [3]
هي جؤذرٌ [4] ولكمْ سَبَت من ضيغمٍ ... لا يستبيه من الجيوشِ خميسها [5]

---

(١) ريمة الظبية الصغيرة .

(٢) الغلب جمع أغلب وهو الغليظ العنق .

(٣) الشُوس جمع اشوس وهو الجرىء في القتال .

(٤) جؤذر : الغزال .

(٥) الخميس : الجيش لأنّه خمس فرق .

جارتْ عليهـــا وهي بعد ظبيةٌ نكباءُ تصطلمُ[1] الأسودَ ضروسها
فعدا عليها مذْ نعومةِ ظفرِهـا خبباً نعيمُ الحادثاتِ وبوسهـا
بعد القصورِ العاليات رأيتهـا في كسرِ بيتٍ قصرهـا ناموسها[2]
بعد الثراء الجمّ بذلة صـــانعٍ ولكل حالٍ في الزمان لبوسهـــا
تمضي لها في الغزلِ بيضُ أناملٍ صَدَق الذي مَنْ بالجمانِ يقيسها
القطنُ يهزأ بالحريرِ بكفّها والخزّ ودَّ لو أنّه ملموسهـــا
في الغزلِ أصبحَ شغلها ولنا به متحركاً قطعٌ تضيق طروسها
يرجو الملوكُ نظيرَهـــا لبنيهمُ فيعود ربُّ الملكِ وهو يئيسها[3]
أحببتُ (عيسى) والصليبَ لأجلها حتى يكاد يؤمُّ بي قسيسهـــا
وأخالفُ الشيخَ التميميَّ[4] الذي ما كان يطربُ سمعَه ناقوسها
لو كان شاهَدَ وَجْهَها وَعفافَها مَعْ حسنِها ما آده[5] تقديسها
فتكتْ بنا وَهي الضعيفُ بذاتها فتكات (أنور[6]) بالمداةِ يدوسها

(١) اصطلم : استأصل .
(٢) الناموس : بيت الراهب وتطلق هذه الكلمة على غرفة الصائد التي يكمن بها .
(٣) اليئيس : اليائس .
(٤) الذي قال :

وهل يطرب الناقوس في لحن ضربه كما يطرب الخلخال في ساق أعفرا

(٥) آد : ثنى .
(٦) أنور : هو القائد التركي المعروف صديق القائد نيازي وقصتها معروفة حينما دخلا على السلطان عبد الحميد وخلعاه عن العرش .

هو ذلك البطلُ الذي في ذكره   أبداً يضيء من الوجوه عبوسها
عادتْ به الآمالُ خضراً نضَراً   من بعد ما عمَّ البسيطَ يبيسها
أبقى الإلٰهُ سعودَه موصولة   فيها يغيب عن البلاد نحوسها
وَأراه أعداء البلادِ أذلةً   مخفوضةً للمسلمين رؤوسها

* * *

في سنة ١٣٣٥ هـ

فكتبت اليه على سبيل الدعابة

ما للصبابةِ منك هاجَ رسيسُها [1] وَلنارِ قلبك عاد فيه حسيسُها [2]
عهدي بقلبكَ والأَوانسُ والدُّمى لا تستبيه (سعادُها) و (لميسُها)
شمستْ عن التهيامِ [3] نفسُك ناشئاً هل ريضَ بعد الأَربعين شَموسها [4]
للهِ فاتنة تملَّكَ قلبَ مَنْ تُحنى لديه من الرجالِ رؤوسها
فملتْ به ألحاظُها ما قصَّرتْ عن فعلِه أقداحُها وَكؤوسها
يا مَنْ سُحرتَ بقوله هَلْ ذاك من تأثيرِ عينيها وأنتُ جليسها
إن كنتَ أحببتَ (المسيحَ) لأجلها وَشجا فؤادَك قارعاً ناقوسها
والرّوحِ والإنجيلِ حلفةَ صادقٍ ويمين حقٍ لا يُردُّ غَموسها [5]
إني لهجتُ بذكر (يوحَنّا) و(مر قس) وازدهى في ناظري (جرجيسها)

---

(١) الرسيس : أول الحب

(٢) الحسيس : الصوت الخفي .

(٣) التهيام : الصبوة .

(٤) الشموس: الجامح يقال فرس شموس وهي الفرس التي لا تمكن أحداً من ركوب ظهرها

(٥) الغَمُوس : اليمين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها وهو عالم بان الأمر بخلافه .

وشربتُ تكريسَ (البتولِ[1]) ويوسف وحفظتُ ما قدْ قـــاله قديسها

هذا ولولا حبُّ دينِ محمــــد (من دون كاد) لأمَّ بي قسيسهــا

هامتْ بها نفسي لوصفِك حسنها حتى كأنْ موهومها[2] محسوسها

* * *

في سنة ١٣٣٥ هـ

(١) هي السيدة مريم البتول .

(٢) الموهوم : المتخيل .

فبعث إليّ الأمير المشار إليه بهذه القصيدة
وفيها من الدعابة فنون

واللهِ مذْ طلعتْ عليّ شُموسُها[1] ربضتْ لها نفسي وَزال شَمَوسُها[2]
والشمسُ ما طلعتْ عَلَتْ أنوارها وَعرا الكواكبَ والبدورَ خنوسها[3]
ألقتْ عَلَى قلبي المتيمِ لحظة خضعتْ لها روحي وَلان شريسها[4]
رقَّ الفؤادُ لها فصار رقيقَها وَحنا لها رأسَ العلوَّ رئيسها
تدعى الأَسيرة غيرَ أنَّ غزاتها عادتْ لها أَسرى تذوبُ نفوسها
قد غيَّبوها في السجونِ فلم يطلْ أنْ صار ربُّ الحبسِ وَهْوَ حبيسها
خلصتْ تجرُّ منه ذيلَ صيانةٍ هي منه في لمعانِهِ طاووسها
وَكذا الجمالُ إذا سرتْ أَجناده سارتْ بأوديةِ القلوبِ تجوسها[5]
مذ صوَّبتْ نحوي سهامَ لحاظِها وَهنتْ دروعُ مفاصلي وَتروسها

---

(١) الشُّموس جمع شمس وهي الكوكب النهاري .
(٢) الشَّموس : الفرس الجامح الذي لا يمكن أحداً من ركوب ظهره .
(٣) الخنوس : خنس يخنس خنوساً غاب به.
(٤) الشريس : ذو الخلق السيء .
(٥) جاس : تردّد .

نفذتْ لها بين الجوانح نظرةٌ	فيها يضلُّ الطبَ (جالينوسها)[1]
باتتْ تقلّبُ في ضعيفِ بنانِها	أسداً تضيق به الأُسودُ وَخِيسها[2]
هيهات يُرجى لي الثباتُ أمامها	إذْ يجذب الصوّانَ مغناطيسها
من ذا يعارضها بملكِ عبيدِها	مُذْ فوق عرشِ الحسنِ كان جلوسها
شاهدتُ منهـا منظراً تحيي به	روح وَلو بلَغَ الفصالَ نسيسها
وَسرقتُ نظماً من مباسمِ ثغرِها	درراً يعزُّ بمثلها قاموسها
قُلْ (للخليل) يتيه في (فيحائه)	وَيروضُ كلَّ كريمةٍ وَيسوسها
وَيرودُ مرجتها عشيةَ سبتها	وَله بكل محطةٍ جاسوسها
وَيصيد عفرَ ظبائِها في كنسِها[3]	وَإليه تُجبى (جَوبر[4]) وَكنيسها
أظننتَ شطرَ الحبِ خصّك مفرداً	وَسواكَ في أقسامه مبخوسها
وَحسبتَ ما في الركبِ غير (خليلها)	وَأديب ذلك وَحْدَهُ نقريسها[5]
أو إنْ قطعتُ الأربعين أينبغي	أنْ تستوي غزلانُهـا وَتيوسها

---

(١) هو طبيب اغريقي شهير .

(٢) الخيس : غابة الأسد .

(٣) الكنس : بيت الظبي .

(٤) جوبر من أكبر قرى الغوطة وللشاعر رحمه الله مزرعة بها .

(٥) النقريس : الدليل الحاذق .

أَوَ ما علمتَ الأربعين رجالها   نعم الفوارسُ إذْ يَفُورُ وَطيسها (١)
وَهمُ الجهابذةُ الأَساتذةُ الأُولى   ليسوا أُصَيْبِيَةً (٢) تعاد دروسها
وَهمُ إذا ضَمَّتهمُ أعراسها   مثل الضراغمِ ضمَّها عِرِّيسها (٣)
أيكون مثلي شاعراً وَأكون مَن   لم يجتذبه من الوجوه أنيسها
ما زال سلطانُ الجمالِ محكماً   تأتيه من كلٍّ القلوبِ مكوسها (٤)

* * *

(١) الوطيس : المعركة تقول حمى الوطيس إذا اشتدت الحرب .
(٢) أُصَيْبِيَة : تصغير أصبية .
(٣) العرِّيس : مأوى الأسد .
(٤) المكوس : جمع مكس وهو ما يأخذه أعوان الدولة من الضرائب .

قفا عللا

« فكتبت إليه بهذه القصيدة : »

قفا عَلِّلا قبلَ التفرقِ عانيا فقربُ النَّوى سحق النَّوى[1] قد عنانيا
بفيك البرى[2] يا ناعباً[3] بفراقِنا فما كنتَ إلاّ للميتمِ ناعيا
تحمَّلتُ من حبي المليحة ما إذا تحمَّله رأسٌ تزعزعَ هاويا
فمنْ مدمعٍ خدَّ[4] المحاجرَ هاميا وَمِنْ حرِّ وَجدٍ صَدَّعَ القلبَ ذاكيا
لها اللهُ من مفتونةٍ بجمالها فما موضعٌ من قلبها لي خاليا
وَلستُ بذي بذلٍ فتطمع بالندى وَلا ذي جمالٍ يستبيها[5] جماليا
ملوَّزةَ[6] العينين معسولةُ اللمى كأَنَّ بعينيها من السقمِ ما بيا

---

(١) النوى البعد .
(٢) البرى : التراب .
(٣) الناعب المنذر بالبين .
(٤) خدّ شقّ .
(٥) استبى سحر .
(٦) الملوّز الحسن المليح .

لها ساعدٌ غضٌ كطومارِ[1] فضةٍ وَآخر كالجُمّارِ[2] أمطرَ غاديا
سُحرتُ بعينيها وَلينِ حديثها وَلم ألف من سحريهما لي راقيا

* * *

وذي خطلٍ أمسى يلوم عَلَى الهوى ويزعمُ أنْ لا عذرَ في جهاليا
مررتُ كما مرَّ الكريمُ بلغوةٍ[3] وعذت بحلمي أن أساجل لاغيا
وليس بجبيّهـا عليَّ غضاضةٌ وقد عفَّ عن نيلِ الحرامِ ردائيا

* * *

وَليلٍ كأنَّ الحشرَ آخر عمرهِ أهاجَ بيَ الشوقَ المبرّحَ ساجيا
تردّى ثيابَ الحزنِ لكنَّ أزْرَها[4] مخـالفة منه النجوم الدراريا
كأنَّ اضطرابَ النجمِ والليلُ عيلمٌ[5] سفائنُ تزجيها الرِّياحُ سوافيا
قعدتُ إلى أنْ لاح للفجرِ نهدة[6] كأشمط في لجٍ يعـالج طافيا
وَبرق بدا فيه كأنَّ وميضَه تأججُ نيرانِ الهوى في فؤاديا
إذا اكتحلتْ عينُ المحبِّ به يبتْ ومضجعه عنه إلى الفجرِ نابيا

---

(١) الطومار الصحيفة .
(٢) الجمار شحم النخلة .
(٣) لغوة : اللغو مالا يعتد به من الكلام .
(٤) الأزر جمع إزار والإزار الملحفة .
(٥) العيلم البحر .
(٦) النهدة : كل شي مرتفع .

تَألّقَ شرقياً ففـــاض لِلَمْعِهِ من الدمع غربٌ كاد يحكي السوانيا[1]

* * *

ووُرْقٍ[2] وري قلبي نديٌّ لحونها تغنتْ عَلَى فرعٍ فأجهشتُ باكيا
ظلالنا تروّيني حديثَ شجونهـــا وأنشدها فيمنْ أحب القوافيـــا
قوافي (حبيب) قَدْ تخذها حبيبةً وعنها الرضيُّ الموسوي باتَ راضيا
لها عَلَقٌ[3] بالنفسِ والقلب لوطةٌ[4] ودركٌ لحـــاجاتِ النفوسِ كماهيا
أنارتْ معانيها وأعربَ لفظُهـــا وقد متنتْ رصفاً ورَقّتْ حواشيا
أبان بها عما يجمجمُ شـــاعرٌ ترفّعَ عن مدحٍ ولم يك هاجيا
وما الشعرُ إلا ما الهوى قاذفٌ به ومن كذبٍ خلواً وعوراء خاليا

* * *

أما والذي ساطَ[5] الهوى بجوانحي وملّكَ سكرى المقلتين جنانيا
وددتُ لو اني ميتٌ علَّ رحمةً تخامرُ قلباً من (نهيلة) قاسيا
كفى حزناً أني إذا لجَّ بي الهوى وَصدْع قلبي لم أجدْ لي مواسيا

---

(١) السواني جمع سانية وهي الدلو .
(٢) الوُرْق جمع ورقاء وهي الحمامة .
(٣) العَلَق المحبة .
(٤) اللوطة الالتصاق بالقلب .
(٥) ساط ضرب بالسوط .

وَإني لاخشى (المغربيَّ[1]) وَ (شيخه[2]) إذا بحتُ يوماً بالهوى زندقانيا
وَلولا أخٌ[3] قدْ نَفَّسَ الكربَ مرةً لأمسيتُ قبل اليومِ في القبر ثاويا
رأى ما رأى بي من تباريحِ حبّها فقام بما أعيا الطبيب النطاسيا
فداءٌ (لداغستان[4]) نفسي من أجله فقد كان لي مِنْ فاتِكِ الهجر واقيا
وَيومٍ خلونا فيه من غير ريبة تقطع ذكراه حنينا نياطيا
هوى صاحبي نحو الخدود مقبلا وَأحجمت كالمبهوتِ مما اعترانيا

* * *

وَرب قصيدٍ يبعثُ الوجدَ سحرُه أهاج بيَ الذكرى وَما كنت ناسيا
ألان لمعنـــــاه المقالة ربه فأبقى به (شيخ المعرةِ[5]) عاريا
رأيتُ به ما يعجز الوهمَ دركه وَيرتدُّ عنه ناظرُ الفكرِ عاشيا[6]
ففيه حياة الرودِ سيط بدلِّهـــا وَفيه دموعُ الصبِّ ينشج[7] نائيا

(١) لعله الأستاذ عبد القادر المغربي رحمه الله .
(٢) لعله الأستاذ المحدث بدر الدين الحسني رحمه الله لأن الشاعر درس عليه الحديث مع الأستاذ المغربي .
(٣) هو الأستاذ بدر بن عبد الله جودة الداغستاني أديب واسع الرواية وحاضر النكتة ذكره الأستاذ كرد علي في خطط الشام مع من ذكر من الأدباء ولد في دمشق سنة ١٣٠٨هـ
(٤) أشارة إلى أن أصل الأستاذ بدر الداغستاني منها .
(٥) شيخ المعرة هو الشاعر الحكيم أبو العلاء المعري .
(٦) العاشي الذي ساء بصره .
(٧) نشج بكى .

وَتمتال وَجدانات كلِّ متيمٍ ... يقصرُ عَنْ إدراكها اللبُّ كابيا
فأنشأتُ أذري الدمعَ لمَّا تلوته ... وَأذكرُ أياماً خَلَتْ وليـــاليا
ليالٍ وددنا لو تدومُ وأنهـــــا ... يزادُ بها من ناظريَّ سواديا
أقولُ وقدْ طال الجفا وطغى الجوى ... ولجَّ الهوى والشَّوق أجهز عـاتيا
خليليَّ شدا فوق قلبي فــإنَّه ... تصوَّح للقيا وللقربِ صاديا
ولولا الَّذي لاقاه (قيس) ببيته ... لردَّدته لمَّــا رأيت التجافيا
(قضاها لغيري وابتلاني بحبهــا ... فهلاَّ بشيء غير (ليلى) ابتلانيا[1])
عَلَى مثلِ هذا بات تذهبُ نفسَه ... فتاك شعاعاً فلتكنْ أنت باقيا

* * *

في سنة ١٣٣٥ هـ

---

(١) يقال أن قيساً مجنون بني عامر لما قال هذا البيت سلب عقله .

ثم أن الأمير المشار إليه كتب إلي كتاباً يتضمن قصيدتين ينتصر بهما لرجال الأربعين وأن الهوى لا يزري بهم وغير ذلك من أنواع الدعابة وإليك الأولى :

أرى في غزالِ الدوِّ منه شمائلاً فأهفو إليه كُلّما مرَّ سانحُهُ[1]
وتخطُرُ قضبانُ العذيبِ فتنثني معاطفُه في خاطري وجوانحه
أكادُ لمرأى كُلِّ غُصنِ أراكةٍ أعانقُه من أجله وأصافحه
وأعشقُ نورَ البدرِ ليلةَ تِمِّه[2] لِأَنْ قَدْ بَدَتْ منه عليه ملامحه
يقول عذولي[3] شفَّ[4] مسكتك الهوى فأنتَ لعمري ذاهبُ الفكر سائحه
فقلت جميع الرشدِ في سبل حبه إذا لاح لي من ذلك الوجهِ لائحه
وقالوا أضعتَ العمرَ في حبِّ أهيفٍ ومن علقِ[5] الغزلانِ فاتتْ مصالحه
فقلتُ لهمْ يا حبَّذا ما أضعته بمن حبُّه كنزٌ تنوءُ مفاتحه
فدى كلِّ ظبيٍ بين (سلعٍ) و(حاجرٍ) لمهجةِ ظبيٍ في الفؤادِ مسارحه
ومهما يعذّبني فعذبٌ مذاقُهُ ومهما يؤرّقني فإنيّ مُسامحه

---

(١) السانح الذي يأتي من جانب اليمين .

(٢) التِمّ التمام .

(٣) العذول كثيراً العذل ، والعذل الملامة .

(٤) شفَّ رقَّ من النحول .

(٥) العلق مصدر ، كل ما يعلق باليد

وما أسعدَ الليلَ الذي أنا ساهرٌ وما أقدسَ الدمعَ الذي أنا سافحه

وَقالوا قطعتَ الأربعين فما الهوى وقد صاحَ في فوديك للشَّيبِ صائحه

ولم يعلموا أنَّ المِهارَ وإنْ زكتْ لتعجز عمّا بذَّ في السَّبقِ قارِحه[1]

بلى أنا سُلطانُ الغرامِ وهذهِ صحائفُه في راحتي وصفائحه

إذا في كتابِ الحبِّ طالعَ عاشِقٌ فقلبيَ مُمليهِ ودمعيَ شارحه

أنا الصَّبُّ متبولاً[2] بذِكْرِ حبيبه وشرطُ المُعنّى أنْ تغيبَ جوارحه

خليٌّ إذا رامَ الصَّلاة تداخلتْ تحيّاته معَ ذِكرِهِ وفَواتحه

(١) القارح من ذي الحافر الذي شقَّ نابه وطلع .

(٢) المتبول الولهان .

القصيدة الثانية

« من أشعارنا الغزلية على أثر نظرة حديثه ترامية »

أبيتُ أُحيي اللَّيالي في تذكُّرِهِ ... وهيَ الَّتي فيه تُحييِّني مِنَ العدمِ
مُسَهَّداً[1] وأرى ذاك الخيالَ فيا ... مَنْ باتَ يجمعُ بين السُّهدِ والحُلُمُ[2]
لا غَرْوَ فيمنْ تجلَّى نصبَ ناظِرِهِ ... قوامُه إِنْ غدا مضنىً ولم يهم
فما ثنى عطفَه في الصَّفِّ تحت لوا ... إلاَّ (أرقتُ لذكْرِ البان والعلم)
فانسبْ إلى قدِّه ما شئتَ من هَيَفٍ[3] ... واعطفْ عَلَى وجهه ما شئت من نِعَمِ
غيرِ الملائكِ لا تلقى له شَبَهاً ... إنْ لَمْ يكنْ منهمُ فهو ابنُ عمِّهمِ
لم يبقَ للحسنِ معنى لم يتمَّ به ... فمنْ يهم في حبيبٍ بعده يهم
بين الأَضالعِ منه نارُ حاطمةٍ[4] ... علاجُها رشفةٌ من ريقة الشَّبَمِ[5]

(١) المسهّد الأرق .
(٢) الحُلْمُ الرؤيا .
(٣) الهيف ضمور البطن مع النعومة .
(٤) حاطم كاسر .
(٥) الشَّبم البارد .

يفترُّ عن مبسمٍ تفدى بكُلِّ أَبٍ		منه لآلئُ قَدْ أغرقْنَ في اليتم
ياساقِيَ الكأْسَ ما بالكاسِ لي أَربٌ		وكأْسُ أَلحاظِهِ بالخمر ملءُ فمي
ما زلتُ أَفديه حتّى صار أعذبُها		عندي إذا دارتِ الأَقداحُ كأْسَ دمي
يالائمي فيه سرِّحْ طرفَ طرفِكَ في		رياضِ منظرِهِ الزّاهي وكنْ حكمي
وأنظرْ هُديتَ إلى ممشوقِ قامتِهِ		تَأْخُذْ من العدلِ أحكاماً وتستقِمِ
وَإنْ أَبَيْتَ سوى ظلمي وتخطئتي		فما تشا فأهتضمني فيه وأتّهِمِ
فاقَ المِلاحَ جميعاً في محاسنِهِ		فما لهمْ في قَسامٍ مَنْه من قسمِ
وكلُّهمْ من حبيبِ القلبِ ملتمسٌ		غرْفاً من البحرِ أو رَشفاً من الدِّيَمِ (١)
ومُحرمون وُقوفاً من مكانته		بحضرةِ القدسِ أو في ساحة الحرمِ

---

(١) الديم جمع ديمة وهي المطر .

مهوى الفؤاد

« فكتبت إلى الأمير شكيب بهذه القصيدة »

مهوى الفؤادِ عَلَى ماهجت من ضَرَمِ [1] ... سقاكَ إنْ ضنَّ غيثٌ مدمع السَّدَمِ [2]
ما أنسَ لا أنس أياماً بكَ انصرمتْ ... – لاَهليك البقا – لو بتّ في رَجمي [3]
إذْ كفُّ (لمياء) إشفاقاً عَلَى كبدي ... وجيدُها رأفةً بي حيث كان فمي
إذا شكوتُ أوارَ الحبِّ تبرده ... برشفةٍ عذبةٍ من ريقها الشبم
فَأذْرِ الدموعَ عَلَى ما لا يرد ومَن ... ضاقتْ به الحالُ أجرى دمعه بدم
تاللهِ ما وجـدُ أعرابيّةٍ قذفتْ ... بها النَّوى لحضيضٍ من قرى العجم
ترنُّ [4] وجداً إذا هبَّتْ يمـانيةٌ ... أوأومض البرقُ من أكنافِ ذي سلم
نظير وجدي عَلَى قربِ الديارِ إلى ... تلماحِ (لمياء) أصل البرء والسقم

---

(١) الضرم النار .

(٢) السَدَم الحزن .

(٣) الرجم القبر .

(٤) رنَّ صاح رافعاً صوته بالبكاء .

وناصحٍ قـــال لمّا لَجَّ بي شغفي ... وظلَّ عقـــدُ دموعي غير منتظم
إنْ ضقت ذرعاً بأمر في محبتها ... نبهْ له (بدرَ داغستان[1]) ثم نم
يا (بدر) دعوة معمودٍ[2] أضرَّ به ... هجرٌ ويجزيكَ عني بارئُ النسم
لله (بدرٌ) عَلَى عـلاّتِه رجـــلاً ... يولي الجميلَ بما أوتيه من كرم
ردَّتْ أُصول بطونِ الحبِّ دربته ... موصولة بعد صرمِ الحبل بالرحم
(فكيف أنساه لا نعماه واحدة ... عندي وَلا بالّذي أولاه من قدم)
ولائمٍ في الهوى ألقمتُه حجرا ... إذْ قلت فاعذرْ إذا ما شئت أو فلم
هذا الأميرُ وَقـــاه اللهُ قدوَتنـــا ... أمسى من الحبِّ مطوياً عَلَى ضرم
أغار[3] لا اللوم يثني من عزيمته ... فيه وَأنجد[4] حتى صار كالعلم
رأى الهوى بعد مَرِّ الأَربعين هدى ... وَلم يقلْ إذْ علاه الشَّيبُ واندمي
فؤادُه ، حيث كان الحسنُ ، مرتهنٌ ... لدى غزالِ الحمى أو ظبية الحرم
ما زال يألف جمعاً في الغرام كما ... ما انفك يجمع بين السيفِ والقلم

(١) المقصود هو الاستاذ بدر الداغستاني الأديب الرقيق الحاشية والذي هو من أصدقاء الشاعر الأوفياء وقد وردت ترجمته آنفاً .

(٢) المعمود الذي هدّه الحب .

(٣) أغار أتى الغَوْر .

(٤) أنجد دخل في بلاد نجد .

ما بالصبابة من عارٍ إذا كرُمتْ ... نفسُ الفتى عند هتكِ العرضِ والحرم

كذاك دأبي ولا بدعٌ فلي شرف ... كالشمسِ يرشدني إنْ ملت عن أَمَمي[1]

لعمرو أحمــــد ما همّتْ بمنقصةٍ ... نفسي وأعظم بمن أقسمت من قسم

وَما مددتُ يدي يوماً لفاحشةٍ ... وَلا سرتْ بيَ في نقْبٍ[2] الخناقدمي

أبى ليَ الذلَ آباءٌ مضوا نجبٌ ... من مثل (أحمد[3]) أو (عثمان[4]) ذي الشمم

ما عذر من ضربتْ أعراقُه صعداً ... إلى النَّبي وَللعباس والحكم[5]

خطّتْ يدُ النسبِ الأعلى بجبهته ... شهــــادةً هي محوُ الشكّ والتهم

قضى له وَفق ما يهوى وَيرغبــه ... صوتُ الصوامعِ في الإصباح والعتم

أن لا يطاولَ أهل الأرضِ قاطبةً ... من خالصِ العرب أو كسرية العجم

إني لأجهد من حرّ الجوى عطشاً ... وَما يروّي الصدى مني عَلَى أَمم

وَقدْ أفوزُ بمن أهوى فيمنعني ... إنَّ العفافَ وَطهرَ الذيلِ من شيمي

---

(١) أمم : القصد .

(٢) النقْب : الأرض .

(٣) هو المرحوم أحمد مختار مردم بك والد الشاعر كان من سراة دمشق وتولى أمانة عاصمتها أكثر من مرة .

(٤) هو المرحوم عثمان مردم بك جد الشاعر شغل مناصب كبيرة وكان والياً لحوران مدة كبيرة .

(٥) في هذا البيت يشير الشاعر إلى نسبه بالنبي من جهة والدته السيدة فاطمة الحمزاوي ابنة مفتي الشام السيد محمود الحمزاوي .

أَحببتُ (لمياء) حباً كان أوردني   عَلَى حـــــداثةِ سني موردَ الهرم

أوردتها السلم في حبي فغرَّرهـــا   بالحرب غيريَ حتى ضرَّجتْ بدم

لفظتُها[1] عند ذا لفظَ النواةِ[2] وَلم   آسف لناقضةِ الميثـــاقِ والذمم

* * *

في سنة ١٣٣٥ هـ

(١) لفظ : رمي ، طرح .

(٢) النواة من التمر بزره .

ماكنت أعلم

« وكتبت إلى الأمير المذكور وهو في حوران »

ما كنت أعلم أنَّ الشوقَ يبلغ بي ... ما قد تلاشى لديه الصبرُ والجلدُ
فاذكرْ فتاكَ كذكراه لعهدِكمُ ... عسى تخفف عنه بعضَ ما يجدُ

في سنة ١٣٣٤ هـ

نظم معنى

اقترح الاستاذ سعيد الباني (١) عليَّ معنى لأنظمه فنظمت هذين البيتين .

ولستُ بهيّابٍ من الموت والرَّدى ... ولا فرق عندي طال أو قَصُرَ العمرُ
ولكنَّني أخشى فراقَ أحبَّةٍ ... كِرامٍ وأسفار إذا ضمَّنيَ القبرُ

---

(١) الاستاذ سعيد بن الشيخ عبد الرحمن الباني عالم متمكن في الصرف والنحو وعلم البديع درّس أدوات اللغة سنة ١٩٢٩ في كلية الآداب ولد بدمشق ١٢٩٤ هـ وتوفي بها ١٣٥٢ هـ له كتاب الكوكب الدري المنير وله مؤلفات مخطوطة من أهمها الكشاف في أسرار الأوقاف .

نكأ الجرح بالجرح

بعث الأمير شكيب أرسلان إلى صاحب جريدة الأردن قصيدة يرثي بها السيد أحمد مختار بيهم ومطلعها :

هَلاّ وأنتَ الجوهرُ المختارُ　　عن نيلِ مثلكِ تصبرُ الأَقْدارُ

وطَلَبَ إليه أن يسألني رأيي بها ويستجيش بهذه المناسبة قريحتي فنظمت قصيدتي هذه أرثي بها ابن عمي عثمان رحمه الله[1] وقد نشرت كلتاهما في جريدة الأردن :

أَترَوي قصيداً أذهبَ النفسَ حسرةً　　وَزاد عَلى ما اشتدَّ مِنْ همِّها هَمّا

أَلانَ لمعناه المقالةَ ربُّه　　وَلَيِّنة المرّان أنفذها كَلْما[2]

---

(١) هو السيد عثمان بن السيد عبد القادر مردم بك ولد بدمشق سنة ١٨٩٠ وتوفي عام ١٩١٩ بمرض الحمى ولم يتم الثلاثين من عمره وكان المرحوم السيد عثمان من أنبه الشبان وأشدهم تعصباً للقضية العربية وقد دعا أيام حكم الترك للسياسة العربية وسيق إلى الديوان العرفي مع الشاعر الأستاذ خليل مردم بك . وكان صغر سنها الشافع في إطلاق سراحها وعدم الحكم عليها بعقوبة الإعدام . أنجب السيد عثمان ابنة وحيدة هي السيدة هزار زوج السيد مأمون مردم بك .

(٢) الكلم : الجرح .

فهاج شجوني والاسى يبعث الأسى كأني عَجِيٌّ[1] بات يدَّكرُ[2] الأُمّا

فقلت أجاريه ومن قبل لم يتِحْ ليَ القول حتى خلتُ أنَّ فمي كمّا

وَأعلم أني لست أبلغ شأوَه وَلكنْ كلانا نادبٌ سيداً فخما:

تباريحُ[3] غيظٍ ما أطيق لها كظما عَلَى الدهر لما أصبح الدهرُ لي خصما

له الويل من رامٍ أصاب مَقاتلي عَلَى غرَّةٍ مني فما أخطأَ المرمى

عجبتُ له لما أصابَ وَلم يخبْ وَقد حملتْ نحوي نوائبُه ظلما

وَلو كان غير الدهر رام خصومتي لما كنتُ أخشى منه حيفاً وَلا هَضْما[4]

أيفرخ روعي أم تقرُّ مضاجعي وَقد نزلتْ بي كلُّ داهيةٍ دهما[5]

تتابع أحبابي سراعاً إلى الردى تخالهمُ لما هووا للثَّرى نجما

فَمَنْ لي بأنْ أتلوهمُ غير مبطئٍ فقد مرَّ هذا العيشُ من بعدهمْ طعما

أدور بطرفي لا أرى بعد فقدِهمْ خليلاً عَلَى البلوى يقاسمني سهما

أرى الصبرَ عن عثمان خفراً[6] لعهدِه كأني إذا حاوَلته كاسبٌ إثما

---

(١) العَجيّ : فاقد الأم من الابل والناس .

(٢) ادكر : حنَّ اشتاق إلى .

(٣) التباريح : التوهج .

(٤) الهضم : الظلم .

(٥) دهما : مخفَّفة من دهماء أي سوداء .

(٦) الخفر : نقض العهد .

بنفسي وَأهلي والذي ملكتْ يدي عزيز غزاه الدهرُ فاقتـــاده رغمـا
رأيتُ الليـــالي لا تجودُ بمثلهِ وكيف وَقَدْ أَصبحنَ عن مثلِه عقما(١)

* * *

راقِصة عيد رأس السَنة

لمَّا رقصت عَلَى المنصَّة بدعة فـــأتيت بالإبداع والإغرابِ
عكسوا عليك الكهرباء ملونًا كوميض برق أو كلمع سراب
فوضى من الأَلوان يأخذ مزجها بمجامع الأَبصار والأَلباب
رُدِّيت من تلك الأَشعة حلةً فضفاضة الأَردان والأَهداب
وَبديت من تحت الأَشعة في الدُّجى شمساً قد اتَّشحت بقوس سحاب

* * *

لندرة في ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٩

كان من حق هذه القطعة الشعرية أن تدرج في باب الوصف ولـكن الناسخ سها عنها فأدرجت في باب الإخوانيات تداركاً .

---

(١) العقم الجدب ، عدم إمكان الولادة عند المرأة .

وداع فخري بك البارودي [1]

ليلة سفره إلى أوربا

فخري ! بلغتَ المنى إذْ تنتحي [2] أُمَماً
في الغربِ حازوا قيادَ النَّفعِ والضَّررِ
هُمْ يمترونَ [3] بأنّا مثلهمْ فأَبِنْ
لديهمُ أَننا جيلٌ من البشرِ

* * *

في ١٠ ربيع الأول ١٣٤٠ هـ

وقال يداعبه إثر دعوة أقامها الأستاذ البارودي في دوما ولاعبه النرد وغلبه على وليمة .

ضَلَّ رأي يوم الوليمة يا (فخري) وكانت إجابتي لك زَلَّه
هذه الإبرة التي قد بلغنا ها (بدوما) رُدَّتْ إليكَ مِسَلَّه

(١) الأستاذ فخري البارودي وجيه دمشقي عُرف بنضاله القومي ضد الحكم التركي وضد الانتداب الفرنسي ، اعتقل من السلطات الفرنسية أكثر من مرة له شغف بالأدب والموسيقى وهو أديب مشارك وانتخب نائباً عن دمشق في المجلس النيابي أكثر من مرة .

(٢) انتحى : قصد .

(٣) امترى : شكّ .

السَاعة الخافقة *

* الأميرة ايران تيمور تاش سيدة ايرانية نبيلة كان والدها تيمور وزير البلاط في عهد الشاه بهلوي والد الشاه الحالي وهي على جانب عظيم من الجمال والعلم والثقافة . تتقن اللغة الفرنسية والانكليزية . وكانت الأميرة تعرفت على الشاعر في دمشق سنة ١٩٤٢ . ونشأت صداقة ادبية فيا بينهما . ثم انها أرسلت إليه علبة سكائر ذهبية هدية له فبعث بساعة ذهبية هدية لها وارسل معها شعراً له بالانكليزية وترجمه لهـا باللغة العربية . وهذان البيتان لم يدرجا في ديوانه وإنمـا وجدا في اوراقه الخاصة .

ساعة تحكي فؤاداً   خافقاً يهفو إليكِ
فاقبليها واجعليها   مثل قلبي في يديكِ

في ٣ / ٦ / ١٩٤٦ م

وكتب إلى بعض إخوانه مداعباً

كلنا شعراء :

أَصبح القومُ كلُّهم شُعراء   من نساء أَو صبية أَو رجالِ
لا أُغالي بما أقول إذا هُمْ   قنعوا مِن حياتهم بالخيالِ

١٣٣١ هـ

اللغة الجديدة :

تغيَّرَ مدلولُ الكلامِ فعاذِرٌ   إذا نحن لم ندركه حين يردد
فكلٌّ بذيء ناقد ذو بصيرةٍ   وكلُّ سخيفٍ من مقالٍ تجدد

المراثي

رثاء الحسين بن علي*

* ١٨٥٤ – ١٩٣١

الحسين بن علي بن محمد من أحفاد أبي نمي الحسني الهاشمي ، أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الترك وآخر من حكم مكة من الهاشميين ، استقل عن الترك ١٩١٦ وحاصر الأتراك بمكة وبانتهاء الحرب العامة تمّ استيلاء الحسين على الحجاز كله .

ساومه الانكليز على تقسيم فلسطين فرفض ذلك بإباء ؛ وآثر أن يعيش طريداً من أن يسلم بمبدأ التقسيم .

أسيغوا البثّ (١) واحتبسوا الزّفيرا — وَإنْ ملأ الجوانحَ والصُّدورا

فما يرضي الحسين بأن تطيشوا — وَإن كان المصابُ به كبيرا

فصبراً واستمدوا منه روحاً — تعيدُ جزوعكم (٢) جَلْداً (٣) صبورا

أَلم يك أُسوةً في كلّ خطبٍ — يدكُّ بهولِ هدّته (ثبيرا (٤))

عَلَى أنَّ (الحسينَ) وَإنْ نعوه — كتابٌ بالخلودِ غدا جديرا

---

(١) البث : شدة الحزن .

(٢) الجزوع الذي يكثر من الجزع .

(٣) الجلد : الصبور .

(٤) هو جبل ثبير .

صحائفُهُ المجيدةُ ليس تُطوى عَلَى الأَيامِ بل تَطوي العصورا
فيا رمزَ الحياةِ أفضْ علينـــا عزائمَ في الشدائدِ لَنْ تخورا
تمطّى ليلُ محنتنـــــــا فلما سفرتَ سفرتَ صبحاً مستنيرا
وَكدنا ندفنُ الآمالَ حتى أَهبْتَ[1] بنا فكنتَ لها نُشورا[2]
صدقتَ فكنتَ أوفى الناسِ عهداً وَأَتقاهم وَأَطهرَهم ضميرا
ظللتَ عَلَى الصراحةِ حين راغوا وَوَفَّيْتَ المواثقَ والنــذورا
فلما أيسروا خذلوكَ بَغْيــــا وَكنتَ لهمْ بشدَّتِهم نصيرا
وَليس عليك إنْ نكثوا وَخانوا وَليس عليك إنْ وَعدوكَ زورا

* * *

هَوَيْتَ فزدتَ يومَ هويتَ قدراً وَلم يك فوزُهمْ إلاَّ غرورا
فــكنتَ ككفَّةٍ رجحتْ وَفاءً وَكانوا كفَّةً شالتْ خفورا[3]
هويتَ فكنتَ صاعقةً عليهمْ تشبُّ عَلَى مطــامعهمْ سعيرا
كذاكَ السيفُ أَمضى وَهو هاوٍ وَأَقطع مضرباً منــه شهيرا
حكيتَ (محمّداً[4]) لمّا أَتته قريشٌ تبذلُ المالَ الكثيرا

---

(١) أهاب : نادى .

(٢) النشور : يوم القيامة .

(٣) الخفور : نقض العهد .

(٤) هو النبي ﷺ .

فقـــالوا خلّ ما تدعو إليه وَكنْ إنْ شئتَ ملـكاً أو أميرا
فقال وَعينه بالدَّمع شكرى[1] يروّي دمعُهـــا الأملَ النَّضيرا
أما واللهِ ربي لو وَضعتمْ بكفي الشمسَ والقمرَ المنيرا
لَما خَلَّيْتُ ما أَدعو إليـــه وَلو إدراكه أمسى عسيرا

* * *

أبا الأملاك إنَّكَ طودُ عزٍ يردُّ الطرفَ من زيغٍ حسيرا
أعدتَ لنا (أبا الحسنين[2]) كَهْلا وَشيخاً شيبــة الحمد الوقورا
وَجلَّلك المشيبُ فكان تاجاً يفيض جلالة وَهـدى وَنورا
وَأشبهتَ (الوصيَّ[3]) أباكَ بأساً وَجدَّكَ (أَحمداً[4]) كرماً وَخيرا

* * *

خلعتَ الملكَ عَنْ كتفيك لمّا بدا لك ثوبُه ضَيْقاً قصيرا
تبوأْتَ القلوبَ سريرَ ملكٍ غداة بذلتَ تاجَك والسريرا
ركلتَ[5] التّاجَ لا ترضاه غلاًّ وَغيرُك يعقدون التّاجَ نيرا
وَربَّ مملَّكين علوا عروشاً كأَنهموا بهـــا نزلوا قبورا

---

(١) شكرى ملأى يقال عين شكرى إذا امتلأت بالدمع .
(٢) هو الإمام علي بن أبي طالب .
(٣) الوصي هو الامام علي بن أبى طالب .
(٤) أحمد هو النبي محمد ﷺ .
(٥) ركل : ضرب برجله .

أروني في أديمهمُ مصحـــــاً أكنْ لهمُ (الفرزدق[1]) أو (جريرا[2])
رضيتَ بأنْ تكون وَأنتَ حرٌ لتنقذنا وَتفدينـــــا أسيرا
فكنتَ وأنتَ مأسورٌ عزيزاً (كقيصر) (والرشيد) (وَأزدشيرا)
غضبتَ (لثالثِ الحرمين[3]) حياً فكنتَ لحفظه سيفاً طريرا[4]
وما أغفلته ميْتاً ولكنْ ربضتَ ببـــابه أسداً هصورا
تقدسَ حين قبّل نعل طٰه وضمّكَ تربُه فغـــــدا عبيرا
سعيتَ وما بلغتَ مناكَ لكنْ شرعتَ لنا الطّريقَ فَلَنْ نجورا

* *

تليت في حفلة الأربعين التي أقيمت في ١٣ تموز سنة ١٩٣١ م

(١) الفرزدق هو الشاعر المعروف والذي عاش في العصر الأموي واشتهر بنقائضه مع جرير
(٢) جرير هو الشاعر المعروف والذي عاش في العصر الأموي واشتهر بهاجاته مع الفرزدق
(٣) هو جامع الصخرة الموجود في بيت المقدس .
(٤) الطرير : صفة للسنان المحدد .

خلود شوقي

أنا لستُ أدري كيف أرثي واحداً ... أمسى برغمِ الموتِ حيا خالداً
أبقى من (الأهرام) في آثارِه ... وَأجل مأثرةً وَأبلغ شــــاهدا
دبَّ الفناء له فعــاد بخيبةٍ ... خزيانَ ينظرُ مستشيطاً [1] حاقدا
ما نال منه وَلو علاه سكونُه ... فالبحرُ بحرٌ زاخراً أَو راكدا
شوقي وَهل أرثيه يومَ خلودِهِ ... فالسيفُ يبغي [2] شاهراً لا غامدا
دعني أُشدْ بالعبقريةِ إنَّهــا ... كالشمسِ إنْ غربتْ أرتك فراقدا [3]
العبقريةُ نفحــةٌ قدسيــةٌ ... تُحيي الرميمَ وَتستثيرُ الخامدا
أَو شعلة لمعتْ فجلَّتْ غيهباً ... وَهدتْ أخا جوْرٍ وَردَّتْ حائدا [4]
تتمخَّضُ [5] الأجيالُ أعصاراً بها ... حتى يتيح الغيبُ منهــا وافدا

---

(١) المستشيط الغاضب .

(٢) بغا ، جار .

(٣) الفراقد جمع فرقد وهو النجم .

(٤) الحائد : المائل .

(٥) تمخّض : مخض اللبن استخرج زبده بوضع الماء فيه .

كالبحرِ يندرُ أنْ يجودَ بدرّه وَتراه بالأَصدافِ يقذفُ جائدا
فإذا أَراد اللهُ نهضةَ أُمـــةٍ أَهدى إليهـــا العبقريةَ قائدا

* * *

شوقي وَأنتَ رسالةٌ علويةٌ مرّتْ عَلَى سمعِ الزمانِ نشائدا
روحٌ من اللهِ الكريمِ وَرحمةٌ أَحيا بها ميْتاً وَأيقظَ هـــاجدا
رُضْتَ[1] القريضَ عَلَى اختلافِ فنونهِ في كل وادٍ همْتَ كنتَ الراشدا
أَما القديمُ ففزتَ منـــه بروعةٍ وَجلوتَ من آيِ[2] الجديدِ مشاهدا
فرفعتَ للفصحى (بمصرٍ) دولةً كانتْ تطالع فيك نجماً صاعدا
تَوّجْتَ (مصر) وَشدتَ عرشَ فخارِها وَعقدتَ في جيدِ (الشآم) قلائدا
للعربِ والإسلامِ في آلامِهمْ كنتَ اللسانَ مترجماً والساعدا
أَضحى بيـــانُكَ جامعاً أَهواءهمْ ومن الخمولِ إلى النباهةِ رائدا[3]
ما أَقلقَ الإسلامَ خطبٌ فادحٌ إلا نهضتَ مواسيا أَو ذائدا
وَدعوتَ للخلقِ الكريمِ ، وشرما أَودى بنا قد كان خلقاً فاسدا
ما زالَ فينـا مَنْ يكيدُ لقومِهِ كم ذا نُطيقُ مداجياً أَو كائدا

* * *

---

(١) راض ذلل .

(٢) الآي : جمع آية .

(٣) الرائد الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه ومنه قولهم لا يكذب الرائد أهله .

كم موقفٍ لكَ في (دمشق) وأهلها قـدْ هزَّ يقظاناً ونبَّه راقِدا
غَنَّيْتَها لَحناً يفيضُ صَبابةً فتمايلتْ فيها الغُصونُ تواجُدا[١]
وشَرِكْتَها في بُؤْسِها ونعيمِها يا مَنْ رأى ولداً يشاطر والدا
في الجامعِ الأُمويِّ قُمتَ مكَبِّراً وذكَرْتَ مجـدَ بني (أُميَّة) ساجدا
خلَّفتَ في (الزهراء[٢]) دمعَك جاريا وتركْتَ في (الفيحاء) قلبَكَ واجدا
واسَيْتَ (جلَّق) في عظيمِ مُصابِها وَنضحتَ[٣] عنها بالبيان مُجاهدا
صَعَّدتَ أنفاساً وَجُدتَ بأدمعٍ في يومِ مِحْنتِها فكُنَّ قصائدا
أَشْجاكَ أنْ تُمسي الجِنانُ بها لظىً وتبيت داراتُ النَّعيمِ مَراقدا
جعلوا مُنيفاتِ القصورِ ومَنْ بها للنّارِ في غَلسِ الظَّلامِ حصائدا
عاثَتْ بها سودُ الوُجوهِ تَخالهمْ بين الطُّلولِ عقارِباً وأساوِدا[٤]
وأشدُّ مِنْ هذا الزَّبانيةُ الأُولى كادوا لها يلقون عيشاً راغدا
من كُلِّ عبدٍ للطُّغاةِ وحِزبِهمْ وتراه شيطاناً علينا ماردا

---

(٢) التواجد .

(٣) يشير الشاعر الى بيت من قصيدة لأحمد شوقي حين يقول :

بالأمس قمت على الزهراء أندبهم واليوم دمعي على الفيحاء هتّان

والزهراء قصر في الأندلس لبني أمية . والفيحاء هي دمشق .

(٤) نضح : رشّ بلل .

(٥) الأساود جمع أسود وهو العظيم من الحيّات .

كم متعةٍ في عيشِها لو أنَّهمْ ما كَدَّروه مصادراً وموَاردا
هَيهاتَ لا تنسىٰ صَنيعك إنَّهـا جعلتْ بَلابِلَها لِساناً حامدا

* * *

والآنَ دَعْ جفني يبحْ بشؤونِه فالدَّمْعُ أثقله كميناً[1] جامدا
وَذرِ الحزينَ يبثُّ بعضَ شكاتِه فالصدرُ يحرجُ بالهمومِ حواشدا
لكنْ أخاف عليك تبريحَ[2] الأسى يوري عَلَى جنبيْك جمراً واقدا
فاربطْ عَلَى قلبٍ وَطأمنْ لوعةً واشددْ عَلَى كبدٍ وَصابر جاهدا
يا ناشداً بالأمسِ نوماً شارداً هلاّ نشدتَ اليوم صبراً نافدا
خطبانِ قلبُ العرب قاسى منهما جرحاً يسيلُ دماً وَسهماً قاصدا[3]
ما جفَّ دمعُهمُ لمصرعِ (حافظ[4]) حتى استهلَّ بيومِ (شوقي) واردا
لم أنسَ مؤتمر النساء وَقد نعى شوقي فظلَّ من التفجع مائدا[5]
ريعَ العقائلُ والأوانسُ أعولتْ وَنثرنَ من عبراتهن فرائدا[6]

---

(١) الكمين الداخل في الأمر لا يفطن له .
(٢) التبريح مصدر برّح به الأمر أي جَهَدَه ويجمع على تباريح .
(٣) القاصد : وهي الشدائد النافذة .
(٤) هو الشاعر الكبير حافظ ابراهيم .
(٥) المائد المضطرب ويقال رجل مائد أي يدار برأسه من ريح البحر واضطراب السفينة
(٦) الفرائد : جمع فريدة وهي الدر .

أوجعنَ لي قلبي وهجن مدامعي   وتركن جفني للفجيعةِ ساهدا

* * *

سرُّ الحياةِ يدقّ عن فهم الورى   حارَ اللبيبُ به فأطرق سامدا [1]

لولا رياضُ الشعرِ في صحرائها   كانتْ حياتُك محنةً وَشدائدا

تدنو بأسبابِ الحياةِ إلى الردى   أنّى اتجهتَ رأيت منه راصدا

والمرءُ في دنياه طيرٌ ما نجا   من صائدٍ إلاّ ليلقى صائدا

دعْ عنك تمحيصَ الحقيقةِ إنها   تدعُ الفتى في كل شيءٍ زاهدا

وانصتْ إلى وَحي الخيالِ فإنّه   لولاه كان العيش معنى باردا

وَإذا بكيت عَلَى امرىءٍ فابكِ الذي   ملك البيان طريفَه والتالدا

* * *

أنشدت في الحفلة التي أقامها المجمع العلمي في ٢٦ رجب سنة ١٣٥١ هـ و ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٣٢ م تكريماً لذكرى شوقي أمير شعراء العصر .

---

(١) السامد : اسم فاعل وهو الغبي الغافل .

ذكرى عبد الباسط البني (١)

لهفي عليه شهاباً كان مؤتلقاً
هوى فأخطأ مكانَ الرجمِ فاحترقا
تقبَّل اللهُ قرباناً جرى دمُـــــه
عَلَى الثَّرى فتراءى في السما شفقا

* * *

في ٩ نيسان ١٩٣٣ م

(١) أحد الشبان الوطنيين المتحمسين وقد دفعته غيرته الوطنية حينما فرض المفوض السامي الفرنسي شخصاً معيَّناً لرئاسة المجلس النيابي سنة ١٩٣٣ أن يتقدم من ذلك الشخص ويشهر عليه مسدساً محاولاً اغتياله ولكن العسس المحيطين برئيس المجلس لم يمكنوه من بغيته وأطلقوا عليه النار فأردوه قتيلاً .

رثاء الملك فيصل *

* ١٨٨٣ - ١٩٣٣ م

فيصل الأول بن الحسين بن علي الهاشمي ملك العراق . زار دمشق ١٩١٦ واقسم يمين الإخلاص لجمعية (العربية الفتاة) السرية وتولى قيادة الجيش الشمالي ثم سمي قائداً عاماً للجيش العربي ؛ سافر إلى باريس نائباً عن والده في مؤتمر الصلح ، وعاد إلى دمشق فنودي به ملكا على سورية .

وكانت وقعة ميسلون فاحتل الجيش الفرنسي سورية ، فرحل الملك فيصل عنها إلى بغداد حيث نودي به ملكا على العراق .

لمنْ وَبمنْ عسى يُرجى العزاءُ ... جميع العربِ في البلوى سواءُ
رزئنا فيصلاً فرداً كجيلٍ ... تواتيه الكفاءةُ والغناءُ
طواه الدهرُ تاريخاً مجيداً ... لشعبٍ صحفهُ غرٌّ وِضاءُ (١)
أهابَ بقومِهِ والليلُ داجٍ ... فضاءَ (٢) لهم كما ضاءتْ ذكاءُ (٣)
وَآثر أن يكونَ لهم فداءً ... لقد جلَّ المفدّى والفداءُ
وَشبَّ الثورَةَ الأُولى فأذكى ... نفوساً كاد يدركها انطفاءُ

---

(١) الوضاء : المشرقة البرّاقة .

(٢) ضَاءَ : شعَّ . أنار .

(٣) ذكاء : الشمس .

فعلمنـــا جزاه اللهُ خيراً ... طريقتها إذا طَفَحَ الإنـــاء
وَما دامتْ نفوسُ القومِ يوماً ... تثورُ فلا يزال لهمْ رجاء
بصيرٌ بالسيـــاسةِ ذو وفاءٍ ... وهيهـاتَ السياسة والوفاء
أَفـــاض عَلَى أمانينا حياةً ... فكيف تظنُّ يدركه الفناء

* * *

أَتعلمُ قبل منعـــاه نعيًّا ... تضجُّ الأَرضُ منه والسماء
أَما اشتركتْ بمأتمِه البرايا ... وَغصَّ البحرُ وازدحم الفضاء
وَكان النعشُ للمعراج ذكرى ... رأَتها حين حلّق إيلياء[1]

* * *

تولّيناه لا نبغي بديلاً ... به فجرى بما نأْبى القضاء
فجربنا عَلَى كرهٍ سواه ... فلم نفلحْ وَتمَّ له الولاء
برمنا بالروايةِ حين طالتْ ... فصولٌ كلُّ ما فيهـــا هراء[2]
مناظرُ سمجةٌ وَسخيفُ لغوٍ ... فقلْ أينَ التصامُمُ والعماء
فقدْنا الجدَّ بل والهزلَ فيها ... وَأشخاصُ الروايةِ أغبياء

---

(١) ايلياء : نجم معروف .

(٢) الهراء : السقط من القول والفعل .

فما بال الذي أعطى طِلاءً[1]   يمنُّ به وَقد نَصَلَ الطلاءُ
وَمجملُ ما لنا فيه اختيار   خضوعٌ أَو إِسارٌ أَو جلاءُ

* * *

فلا واللهِ لا أنساه يوماً   بقربٍ منه أَسعدني اللقاءُ[2]
جلالُ نبوةٍ وَجلالُ ملكٍ   عَلَى قسماتِه لهما رواءُ[3]
ذكرتُ له (دمشق) وَكيف باتتْ   تراقُ عَلَى أَباطحِها[4] الدماءُ
أبيحتْ حرمةُ الأَشياخِ فيها   وَريعتْ في مآمنها النساءُ
وَأقفرتِ المساجدِ من مصلٍّ   وَعُطِّلَ من مآذنِها النداءُ
وَأصبحتِ الكنائسُ خاوياتٍ   تفيضُ أَسى هياكلها قواءُ
فَدرَّ عَلَى جبينِ الملكِ عرقٌ   تراءى الحزنُ فيه والإِباءُ
وَغالبَ أدمعاً في مقلتيه   فلم يظفرْ وَقد غلبَ البكاءُ
فلا عجب إِذا جزعتْ (دمشق)   فلوعتُها للوعتِه جزاءُ
هديرُ مياهها نوحٌ عليه   وَهينمةُ[5] النَّسيمِ بها رثاءُ

---

(١) الطلاء : الحبل .
(٢) يشير الشاعر في هذا البيت الى اجتماعه بالملك فيصل في لندن بينما كان نازحاً عن دمشق وملاحقاً من الفرنسيين أيام الثورة السورية .
(٣) الرواء : ماء الوجه .
(٤) الأباطح جمع البطح وهو مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى .
(٥) الهينمة الصوت الخفي .

وسودُ ظلالِها أثوابُ حزنٍ   عليها باتَ يخلعها المساء

* * *

عزاء النفسِ عن بانٍ عظيمٍ   بنى ومضى إذا ثبتَ البناء

فلا تهنوا فما في الوهن إلا   مضاعفة الرزيّةِ والشقاء

ولا يذهبْ رجاؤكمُ هباء   لفرطِ أسى وإنْ عَظُمَ البلاء

فبعد (محمّدٍ[1]) والجرحُ دامٍ   توالى الفتحُ وانتشرَ اللواء

* * *

تليت في حفلة الأربعين التي أقيمت بدمشق في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩٣٣ م .

(١) هو النبي ﷺ .

أبو الطيب المتنبي *

* ٣٠٣ - ٣٥٤ هـ
أحمد بن الحسين الجعفي الكندي اشهر شعراء العرب ، وهو صاحب الأمثال السائرة والشاعر الحكيم .

يفنى الزّمانُ وَذكرُه يتجدّدُ آمنتُ أنَّ (أبنَ الحسين) مخلدُ
لَمْ تألفِ الأيّامُ صحبةَ غيرِه أمسِ البعيدُ ويومُنا ذا والغد
الشّعرُ والنّفسُ الأبيّةُ والحجى(١) جُمِعتْ لـهُ فعـلامَ لا يتفرّد
أمّا الطُّموحُ فخلٍّ عنكَ حدودَهُ مِنْ دونِهِ يدنو السُّهى(٢) والفرقد
وسع الورى ببيانِهِ أفـلم يجدْ كلُّ أمرىءٍ في شعرِه ما ينشد
فَكأنّه فلكٌ تلوحُ نجومُهُ للمبصرين وكلُّ بيتٍ مَرصد
أنظرْ تجدْ في كلِّ بيتٍ قَبْسَةً(٣) كالنُّورِ في مشكاتِهِ يتوقّد

* * *

(١) الحجى : العقل .
(٢) السُّهى كوكب خفي من بنات نعش الصغرى ومنه المثل أريها السُّهى وتريني القمر يضرب لمن يسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيداً .
(٣) القبسة : الشعلة .

سقيًا لبادية (الشآم) فقد نضتْ   سيفًا وشبّتْ شُعلةً لا تخمد

مَدّتْ له أملاً كرحبِ فضائِها   وورَتْ زنادَ عزيمةٍ لا تصلد[1]

طبعته مرآةً يريك صفاؤها   صُورَ النُّفوسِ عواريًا تتجسد

وحي البداوَةِ صادقٌ ما شابه   زورُ الكلامِ ولا عراه تزيد

بالشيحِ والقيصومِ يَعْبَقُ شعرُه   والعُنْجُهِيَّةُ فيهما تتمرد

مَحْضَ (ابنَ حمدانَ[2]) هواه لأَنَّهُ   سيفٌ بوجهِ المعتدين مجرَّد

* * *

يا مالئَ الدنيا وشاغِلَ ناسِها   الدّهرُ راويَةٌ لشعرِك منشد

ضمِنَ الزّمانُ بقاءه فكأنَّهُ   أنفاسُه في صدرِه تتردَّد

آياتُهُ لا تنقضي وعظاتُهُ   كالبحرِ زاخرُ موجِهِ لا ينفدَ

للهِ رأيُكَ في السِّياسةِ إنَّهُ   سهمٌ إلى كبدِ الصّوابِ مُسدَّدُ

العربُ ما صلحتْ عَلَى يدِ أعجمٍ   حكمُ الأعاجمِ للعروبةِ مفسد

أخذوا عليك قساوةً ولو أنهمْ   خبروا النفوسَ كما خبرتْ لأيَّدوا

شكواكَ ما زلنا نعاني مثلَها   كفٌّ مضرجةٌ[3] ووجهٌ أسود

* * *

---

(١) صلد الزند صلوداً صوّت ولم يور .

(٢) هو الأمير سيف الدولة .

(٣) مضرجة : ملوّثة

ساموه خطةَ عاجزٍ فأبتْ له ... نفسٌ مشيعةٌ (١) وَعزمٌ أيد (٢)
عرضوا حمايتهمْ عليه بجزيةٍ ... أمرانِ ذا نكدٌ وذلك أنكد
أترى الفتى العربيَّ يُعطي جزيةً ... أم كيف يرضى بالحماية سيد
يأبى له أنفٌ أشمٌ وَصفحةٌ ... تزورُّ من صعرٍ وَعنقٌ أصيد
شرفٌ حماه بنفسهِ وَوَحيدهِ ... لمَّا هوى وَتلا خطاه (محسَّد) (٣)
لو دافع المستضعفون دفاعَه ... ما كان ثمَّ ثعالبٌ تستأسد
ما ضمَّه قبرٌ وَكيف يضمهُ ... أرأيتَ حياً في الضرائحِ (٤) يلحد

* * *

لو نال ما يبغي لكانتْ دولة ... أهدى إلى سبلِ الصوابِ وَأرشد
وَلَسَنَّ فيها للأنامِ سياسةً ... ما للخديعةِ والرياء بها يد
الحقُّ فيهـــا لا يُغالب إنَّه ... بظبي السيوفِ إذا استبيح مؤيد
تأبى التسلط والخنوع فما بها ... مستعبدٌ عاتٍ وَلا مستعبَد
فالماكرون أذلُّ مِنْ أنْ يمكروا ... والمعتدون أقلُّ مِنْ أنْ يعتدوا

* * *

---

(١) مشيعة : بمعنى أبية .

(٢) أيد : القوي .

(٣) محسد هو ابن الشاعر ابي الطيب المتنبي .

(٤) الضرائح جمع ضريح وهو القبر .

يا جامعاً شملَ العروبةِ بعدما | أَمسى بأيدي الحادثاتِ يبدد
فأَخو العراقِ بسحره (متدمشقٌ) | وَأخو الشآمِ بآيه (متبغدد)
الشعرُ في كفِّ الزمانِ دراهمٌ | يُرمى ببهرجه[1] ويبقى الجيد
ذهب (ابن أَوس[2]) و(الوليد[3]) بحرِّهِ | لـكنْ بمعجزه تفرَّدَ (أَحمد[4])

* * *

تليت في اليوم الثاني من مهرجان المتنبي الذي عقـده المجمع العلمي بدمشق واستمر سبعة أيام من ٢٣ تموز سنة ١٩٣٦ م الى ٢٩ منه الموافق جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هـ .

---

(١) البهرج : الزائف .
(٢) هو الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس .
(٣) هو الشاعر البحتري .
(٤) هو المتنبي .

ألمُ الجرْحِ حينَ يبرُدْ (١)

لزوالٍ جميعُ ما أنتَ رائي فاعتبرْ بالظلالِ والأفياء
ما اختلافُ النهارِ والليلِ إلاّ كاختلافِ السيوفِ في الهيجاء
تطلعُ الشمسُ ثم تغربُ في أثوابِ جانٍ مخضوبةٍ بالدماء
وَكأنَّ السماء تخشى الليالي حين تبدو بنثرةٍ (٢) حصداء
وَكأنَّ الحياةَ جرمٌ وَما للحيِّ إلاّ وِرْدُ الردى من جزاء

* * *

---

(١) بهذه القصيدة رثى الشاعر الاستاذ خليل مردم بك ولده هيثم الذي توفي عام ١٩٤٢ ولم يبلغ العشرين من عمره ؛ وقد ترك موت هيثم في نفس الوالد المفجوع جرحاً عميقاً لا يندمل ، جعله ينطوي على نفسه ويزهد بكل شيء وقد ظل الشاعر رحمه الله طوال أيام حياته حزين النفس منقبض السريرة يكتم حزنه في طيات نفسه ، وقد أعرب الشاعر عن حزنه العميق سنة ١٩٤٨ في قصيدته هذه . وعرف الفقيد هيثم بسرعة الخاطر وتوقد الذكاء وقد نظم الشعر في سن مبكرة ونشرت بعض قصائده الشعرية في صحف دمشق وله ديوان شعري مخطوط محفوظ عند صديقه المقدم تاج الدين خالد بك .

(٢) النثرة : الدرع .

حسراتٌ تحت الترابِ ظِماءٌ فجَّرتْ في الصفا[1] عيونَ الماء

كلُّ غصنٍ في الأرضِ ينبت رمزٌ لِبِلىً كلٌّ قامةٍ هيفاء

والأزاهيرُ بهجةً وَسناءٌ من وجوهٍ تحت الترابِ وِضاء

* * *

وَكأنَّ الزمانَ كيرٌ[2] وَأنفا سُ الورى بين أخذه والعطاء

تتكافا الحياةُ أخذاً وَرَدّاً فنفوسُ الورى بهذا الهواء

هو لَوْ لَمْ يأخذْ نفوسَ البرايا ضنَّ حتى بالنفحةِ السجواء[3]

* * *

مبتغي أسوةٍ[4] بكلِّ حزينٍ مستعينٌ بالداء لا بالدواء

يأمرُ اللبُّ بالتصبرِ لكنْ ليس يقضي بسلوةٍ بلهاء

ربما يصبرُ الحزينُ وَلكنْ صبرُ عينٍ عَلَى القذى رمداء

* * *

طالَ صمتي حتى لقد ظَنَّه النا سُ عزاءً وَلاتَ حينَ عزاء

إنَّ للحزنِ غصَّةً تمنعُ البا كِيَ مِنْ رفعِ صوتِه بالبكاء

طولُ عيشِ المفجوعِ مهما تأسّى بعد فقدِ الأَحبابِ طولُ عناء

---

(١) الصفا : الحجر .

(٢) الكير : زق ينفخ فيه الحداد .

(٣) السجواء : اللينة .

(٤) الأسوة : ما يتعزى به :

أَلَمُ الجرحِ حين يبردُ والمذ بوحُ آلامُه بطولِ الذَّماء[1]

* * *

دمُ قلبي وَفيضُ دمعي وَأنفا سي تجارتْ قصيدةً في الرثاء

هي عذراء من ملائكةِ الشعـــرِ بناتِ الإلهامِ والإيحاء[2]

أرسلتْ دمعَها سخيّاً وَما يُشـــجي وَيُبكي كأدمعِ العذراء

* * *

في تشرين الاول ١٩٤٨ م

*
* *

(١) الذَّماء : بقية الروح .

(٢) الإيحاء : الإلهام ، الفعل أوحى يوحي ايحاء .

نعش أبي

أقول ونعشُهُ يَختالُ تيهاً
تحيطُ بِهِ المهابةُ والجلالُ
خليليَّ أحسرا(٢) دمعي قليلاً
لأنظرَ كيف سُيِّرتِ الجبالُ

* * *

في سنة ١٣٣١ هـ

---

(١) حينما توفي المرحوم السيد أحمد مختار مردم بك والد الشاعر الأستاذ خليل لم يكن ولده تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، فقصيدة الشاعر هذه وقصيدته في رثاء والدته هما من أول شعره وقد آثرنا نشرهما لأن الفقيد ثبتها في ديوانه المخطوط

(٢) حسر : كشف .

تاريخ وفاة أمي (١)

هٰذا وربِّك مثوى كلِّ إنسانِ ‏ فكلُّ ما أنت راءٍ منقضٍ فاني
كذاكِ حلَّتْ هنا بنتُ الّذينَ سموا ‏ فخراً ومجداً عَلَى الجوزا وكيوان (٢)
ياقبرُ لم تدرِ ما ضمّنتَ من شرفٍ ‏ عالٍ تفرَّع من (فهر) و (عدنان)
أمّاه أُبدلتِ بالأملاكِ مكرُمةً ‏ (أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيران)
ذهبتِ قانتةً (٣) لله صائمةً ‏ فكان عيدكِ لقيا اللهِ ذي الشّان
يا بنتَ خير أَبٍ تاريخ يومِك بشرىٰ قَدْ حُظيتِ من ٱلمولى بغُفران

* * *

رمضان ١٣٣٣ هـ

---

(١) هي السيدة فاطمة ابنة مفتي الشام السيد محمود الحمزاوي .
(٢) كيوان : اسم كوكب وهو زحل .
(٣) قانتة : القائمة بالطاعة لله تعالى والمواظبة عليها .

على فراش المرض

خليليّ إني قد حننتُ لقربهـــا فزادتْ بيَ البلوى كما تريَاني
وَهيهات ما أبغي من القربِ واللقا (وَقد حيل بين العَيْرِ[2] والنزَوانِ[3])
تمكّنَ مني السقمُ في كلِّ مفصلٍ وَلم يبق بي إلاّ ذَما[4] كدخان
يرددُ في مثلِ الخلال وينثني ليخرجَ لولا بارقاتُ أماني
كأني وما جاوزتُ عشرين حجةً من السقم هِمٌّ[5] قد تجدد فاني
فَلَوْ تريَنّي ساهماً خلتِ هيكلاً أناخ عَلَى أركانه الملوان[6]
تُقلبني كفُّ الضنى فتمضني وتعبث للأوجاعِ فيَّ يدان
أجودُ بما ضنَّ الأنامُ ببذله وأبخلُ فيما يزهد الثقلان

---

(١) أصيب الشاعر بالحمّى حينما كان في العشرين من عمره فوقع طريح الفراش مدة شهرين وإثر تماثله للشفاء نظم هذه القصيدة يصف حاله .

(٢) العَيْر : الحمار مطلقاً وحشياً أم أهلياً .

(٣) النزَوان : الوثوب .

(٤) الذَماء : بقية الروح .

(٥) الهِمّ : الشيخ الفاني .

(٦) الملوان : الليل والنهار .

بروحي وما روحي عليَّ عزيزة ... وموتي عساني أستريح عساني
يئستُ فما لي في حياتيَ مطمعٌ ... فيا موت عجِّلْ ويك آن أواني
ويا حبَّها زدني فهل أرجو بعد ذا ... حياة وما بالعمر غير ثواني
كأني وقدْ حمَّ القضاء وسير بي ... إلى جدثي وانهدَّ ركنُ كياني
وسار بنعشي كلُّ أروع ماجدٍ ... يرجِّع أسيانا ويندب عاني
وقامَ على قبري ابن عميَ حاسراً ... حزيناً يريق الدمعَ أحمر قاني
وقيل لأمي وهي عجفاء[1] نضوةٌ ... رمتْ بابنك النائي يدُ الحدثان
فهمَّتْ لتلقي للحضيض بنفسها ... وَكادتْ فلم تقدرْ من الرجفان
فلم تبق إلاَّ بعض يوم وَليلةٍ ... تقاسي من الثكلِ الأسى وَتعاني
و(عدنان[2])مَنْ قدأَصبح اليتمُ تربَه ... وَخامر روحي حبه وَجناني
بكى لبكاء الأم إذْ يجهل البكا ... وَرقرق دمعاً قد وَهى كجمان[3]
فلم يبق لمّا عمَّ نعييَ كاتبٌ ... وَلا شاعرٌ إلاّ بكى وَرثاني

* * *

إلى اللهِ أشكو سقم حالي وَشقوتي ... وَظلم التي أهوى وَجور زماني

---

(١) عجفاء: هزيلة .
(٢) عدنان هو بكر أولاد الشاعر .
(٣) الجمان جمع جمانة وهي حبة من الفضة كالدرة .

كأني إذا ذُكِّرتها بيَ جنِّةٌ[1] أكان هواها داعياً لهواني
كأنَّ علَى قلبي قطاةً[2] ذبيحةً معلَّقةً من شدةِ الخفقان
تكهرب أعضائي إذا ما ذكرتها فأرزم[3] حتى ما يشير بناني
فلو أنَّ ما أشكو إليها وَقد قستْ شكوتُ إلى صلْدِ الصفا لبكاني
وَلو أنَّ لي قلبين عشتُ بواحدٍ وَكافحتُ ريبَ الحادثات بثاني

* * *

في ١٣٣٥ هـ

(١) جِنّة : جنون .
(٢) القطاة طرئر في حجم الحمام .
(٣) أرزمت الناقة إذا حنّت لولدها .

رثاء عبد الفتاح افندي السكري

هو عبد الفتاح بن درويش الركابي السكري ، شاب محمود السيرة والخلق ؛ كتب مقالات اجتماعية في جريدة المقتبس وكان محباً للعلم وأهله توفي رحمه الله إثر إصابته بالحمى .

رمتْ وَلم ترم غيرَ العلم والعملِ ... يدُ الزمانِ رماها اللهُ بالشللِ
محتْ بودقِ الرزايا والفجائع مِنْ ... صحفِ[1] الكمالِ سوادَ القابِ والمقلِ
لله أيّ مصاب جلَّ إذْ قصدتْ ... فتى إباء وَفضلاً نادر المثل
وَأي خطبٍ دهانا يومَ مصرعِه ... فحسبنا اللهُ في ذا الحادثِ الجلل[2]
يا مَنْ قصدتُ عليه في الإخا أملي ... أصبحتُ بعدك في الدنيا بلا أمل
فكيف حالك من بعدي فإنيَ قَدْ ... أصبحتُ عما سوى ذكراكَ في شغل
واهاً لغضٍّ شبابٍ بات منعفرا[3] ... تحت الترابِ وقدٍّ منك معتدل
فاذهبْ حميداً حباكَ اللهُ مغفرةً ... منه وَعظَّمَ أجرَ العلمِ والعمل

في سنة ١٣٣٤ هـ

(١) الصحف جمع صحيفة وهي القرطاس .
(٢) الجلل : الأمر العظيم .
(٣) المنعفر : المتمرغ في التراب .

رثاء شريفة

عجْ بالمطي عَلَى قبرٍ ببلقعةٍ[1] تضمَّن الطهرَ والأَخلاقَ والكرما
وَخلِّ عينكَ تذر الدمعَ منسجماً إنَّ العفافَ بكى من ذا المصاب دما
سقى ضريحَكِ ماءِ الجفنِ إنْ بخلتْ مدامعُ المزنِ يا بنتَ الرسول هما
وَروَّحَ اللهُ روحاً منك طاهرةً وَزادكِ اللهُ في فردوسِه نعما
وَعظَّمَ اللهُ أجرَ الدينِ فهو شجٍ وألهم الطهرَ عنك الصبرَ فهو كما

* * *

في سنة ١٣٣٤ هـ

(١) البلقعة : الحفرة ؛ المكان المنخفض .

(٢) روّح : أنعش وطيّب .

رثاء المرحوم احمد بك الحسيني المصري [1]

لا تنكري جزعي وَفرطَ تفجّعي — حلَّ الذي أخشاه فانتحبي[2] معي
خطبٌ ألمَّ فكلُّ قلبٍ واجفٍ[3] — فرقاً وَجنب لا يقر بمضجع
أصمى من الإسلام حبةَ قلبه — فانهدَّ منه كلُّ ركنٍ أمنع
والبيتُ ضاق به وَ نفسُ (محمد[4]) — بالقبرِ باتتْ وَهي ذاتُ توجّع
مَنْ لي بأنْ أرد المدينة حاسرا — أحثو التراب لدى الضريح الأرفع
اعززْ عليَّ (أبا الحسينِ)[5] بمصرعٍ — لك والمهيمن لا يقاس بمصرع

---

(١) من سراة المصريين ومن أكبر فقهاء الشافعية في عصره وكان يطلق عليه اسم الشافعي الصغير اعترافاً بعلو منزلته . وقف بجانب الشعب المصري ضد الحكومة البريطانية حين أثير حق ملكية ترعة السويس وكان بيانه مفحماً مما أوغر عليه قلب المفوض البريطاني فنزح عن القاهرة إلى دمشق وظلَّ بها حتى نشبت الحرب الكونية الأولى. ولد في القاهرة سنة ١٨٥٤ وتوفي بها سنة ١٩١٤ وله مؤلفات فقهية كثيرة منها : تحفة الرأي ؛ دليل المسافر ، كشف الستار . ومرشد الأنام .

(٢) انتحب : بكى .

(٣) الواجف : الخائف .

(٤) هو النبي عليه السلام .

(٥) هو المرثي ، وولده الأستاذ حسين مازال على قيد الحياة .

ما زلتُ مذ وَضعوا فراشك خائفاً دانٍي الأَكفّ من الحشا والأَضلع
حتى إذا طرق النعيُّ تحشرجتْ نفسي بصدرٍ بالأسى متقنع
رفقاً بسمعي أيهـــا الناعي فقدْ أَوقرته [1] من حيث أنك مسمعي
عِمْ بمن تنعاه لي (أُمَّ القرى) واجمعْ من الأَحياء كل موزَّع
وأرفعْ عقيرةَ [2] ذي عويل ناعياً أركانَ فهر فالعماد لقد نعي
ساروا به وَطوائفُ الأَملاكِ إثْـــرَ النعشِ بين مشيِّعٍ ومودع
والناسُ مبهوتون بين محملقٍ بالنعشِ أو مستعبرٍ مسترجع
والمرضعاتُ ذهلن عمّا أَرضعتْ وحسرن عن خدِّ الذليل الأَضرع
حتى إذا لحدوه [3] قامتْ ضجةٌ كالرعدِ للمـــلاء العليِّ الأَرفع
آبوا وللدينِ الحنيفِ من الأَسى آهاتُ ذي شجنٍ وَأَنَّةُ موجع
والفضلُ بات عَلَى ثراه جاثياً متوهج الأَحشـاء هـامي الأَدمع
واهاً لجثمانِ الإمام موسعاً تحت الجنادل بالمكانِ البلقع
أين الوفودُ ببـــابه يتدهد هو نَ [4] إلى الحظيرةِ كالحمام الوقَّع [5]

(١) أوقر أثقل .
(٢) العقيرة : صوت المغني والباكي .
(٣) لحد : دفن .
(٤) تهدهد : تحدّر هدهد الشيء من علو إلى أسفل حدره .
(٥) الوقّع : يقال وقع الطير على الشجر أو على الأرض نزل .

فإذا بدا غضّوا الجفونَ وَخَفَّضوا من صوتِهمْ إلا إشارة أُصبع

ما عاد منهم وافدٌ إلا من أمر الـــدين والدنيـــا بذخر أنفع

مالي إذا ذكرُ الإمامُ اغرورقتْ عينايـ حزناً بالدموع الهمَّع[1]

وَمشى بصدري الهمُّ واتقدتْ أسى لي غلةٌ بالدمع لمّا تنقع

خُتِمَتْ بصرعِه الخطوبُ فأصبحتْ للكارثاتِ قلوبُنا لم تجزع

* * *

في سنة ١٣٣٤ هـ

(١) الهمَّع : يقال همت عينه أسالت الدمع .

وقفة على القبر

وَمَهدِ يأسٍ زرتُ والليلُ دامسٌ ... تخال به الأجداثَ أسنمةً[1] سحما[2]
تناوَحتِ الأرواحُ بين فروجه ... وَمن فوقه الظلماء قد عقدتْ غيما
كآبةُ حزنٍ تشعر النفسَ وحشةً ... وَتملأُها رعباً وَتفقدها العزما
وَلمّا استلمتُ القبرَ فاضتْ مدامعي ... فحييته لثماً وَحيّيته شمّاً
لئن ترني والهِمُّ أثقلَ كاهلي ... أطوف عليه خلتني رجلاً هِمّاً[3]
أقول وَصوتي لا يجاوز مسمعي ... وَدمعي لقد روّى الضريحَ وَمن ضمّا
ألا أيها القبرُ الذي ضمّ تربُه ... كريمَ خصالِ النفسِ والحسبِ الضخما
سقتكَ الغوادي[4] كلَّ حينٍ وَلا تزلْ ... عليك دموعُ الغيثِ ساجمةً[5] سجما
وَيا أيها الثاوي إليك شكايةٌ ... فيا ليتَ شعري هَلْ تحيط بها علما

---

(١) الأسنمة جمع سنام والسنام حدبة في ظهر البعير .

(٢) السحم : السود .

(٣) الهم : الشيخ الفاني .

(٤) الغوادي جمع غادية وهي السحابة .

(٥) الساجم الهاطل السائل .

بودّي وَهل تجدي الودادةَ إذأرى سريرَكَ محمولاً أكون امرأً أعمى
وَغالطتُ نفسي عن نعيِّك برهةً فما زلتُ منذ استوثقتْ أغبط الصما
وَها أنا مذ وسِّدْتَ تنبو مضاجعي كما أنا مذ أغفيتَ لاأطعم النوما
سألت إلهي أنْ يلقّيكَ فرحةً وإنْ كنت قدأورثتني بعدكَ الغما

* * *

تبصَّرْ تجد أنَّ المنيةَ يقظةٌ إذا كان عيشُ المرءِ في دهره حلما
إذا أعمل الإنسان بالعيش رأيَه رأى غيرَ مأفونٍ (١) حقائقَه وَهما
وَلكنْ حميد القومِ مَنْ كان نفسه عَلَى كلِّ حالٍ تنبذُ الذلَّ والضيما
وليس الذي يرضى مِنَ الدهرِ بالتي تجلّله خزياً وتلحقه ذمّا
فَمَنْ لا يرى خفضَ الجناحِ مذلةً فقد جعلتْ من فوق عرنينه(٢) وسما
لحى اللهُ نفساً تقبل الخسفَ والأذى وأخزى امرأً قد عَدَّ كالعربِ العجما

* * *

في شعبان ١٣٣٨ هـ

---

(١) المأفون : ضعيف الرأي .

(٢) العرنين الأنف أو ما صلب منه .

رثاء عبد القادر بك المؤيد *

* ١٨٤٧ – ١٩٢٠ م

عبد القادر بن أحمد المؤيد ؛ وجيه دمشقي له باع طويلة في الأدب وعلم الحقوق وقد شغل منصب الرئيس الثاني في مجلس الشورى أيام الملك فيصل الأول .

إنْ كان للموتِ حتماً كلُّ مولودِ ... فما البكا والأسى في إثرِ مفقودِ
الناسُ في وِردِهِمْ حوضَ الردى شرعٌ[1] ... أمّا الخلودُ فحوضٌ غير مورود
والصبرُ أمنعُ درعٍ يُستجنُّ[2] بها ... والدمعُ شرُّ سلاحِ المرءِ إنْ عودي
أجدرْ بمن قرعته كلُّ نائبةٍ ... أنْ يستعينَ عليها قلب صيخود[3]
لِذاك آليتُ أنْ أقسو إذا غمزتْ ... نوائبُ الدهرِ أو أحداثه عودي
قد كنتُ فيمن يرى في العيش بغيته ... أيامَ طالعِ عيشي غير منكود
أمّا وقد ذهبتْ منه بشاشتُه ... سيان عنديَ أنْ أحيا وأنْ أُودي[4]
فقدُ الأعزاءِ أصلى القلبَ نارَ أسى ... حرّى وطوّلَ مِنْ همٍّ وتسهيدي

(١) شرع : سواء .
(٢) استجنّ : استخفى .
(٣) الصيخود : القاسي من الصخر .
(٤) أودى هلك .

رُدُّوا عليَّ رقادي فهو مختلسٌ وطأمنوا شجناً قد آد مجلودي[5]
نعى النعاةُ كريماً سيداً بطلاً ثبتَ الجنانِ جريئاً غير رعديد[6]
عضبُ اللسانِ ذكيُّ القلبِ أصمعه[7] عفُّ السريرةِ منجادٌ إذا نودي
ملءُ العيون وقاراً والنفوس نهى أحسنْ بخلقٍ وخلقٍ منه محمود
رقَّتْ شمائلُهُ حتى لتحسبها دمعَ المتيّمِ أو ماءَ العناقيد
وَفى وَأَخلص في سرٍّ وَفي علنٍ إذ كان بعضُهمُ في الغدرِ كالسيد[8]
سادَ الأكابرَ فضلاً راجحاً وَحجى لذاك ألقتْ إليه بالمقاليد
قد نال وَهو غزيرُ الحلمِ مقتصد ما قصَّرتْ عنه باعُ البأسِ والجود
عَزَّ الفضائلَ والآدابَ إنَّ لها عليه من وَجدها أنَّات معمود[9]
إن الذي قتل الأيامَ معرفةً كرَّتْ عليه بأحداثٍ مناكيد
موتورة قد أصابتْ منه غرَّته فأقصدتْ وَكذاك تك الرعاديد[10]
لله ما دفنوا تحت الصفائح مِنْ سنخٍ[1] كريمٍ وَفضلٍ غير مجحود

---

(٥) المجلود : الجلد .
(٦) الرعديد : الجبان :
(٧) الأصمع : الذكي الحاذق .
(٨) السيد : الذئب .
(٩) المعمود : الذي هدّه العشق والضنى .
(١٠) الرعاديد جمع رعديد وهو الساقط الجبان .
(١) السنخ : الأصل .

محاسن الخلق في الأكفان مدرجة ... أدلوا بها حين أدلوا بالتجاليد[1]
يفدي الذي جاوز السبعين كل فتى ... غض الشباب رطيب الغصن أملود[2]
كيف السلو وقد جدّت نوى قذف ... مسيرها بالمفدّى غير تهويد[3]
لو يعلم الميتُ ما بالحيّ من كمدٍ ... رثى له ثاوياً تحت الجلاميد[4]
أقول والبثُّ قد فازت مراجله ... والدمعُ ما بين محلولٍ ومعقود
يا ثاقبَ الرأي في (الشورى) إذا أفنت[5] ... آراء أهليه أضحى غيرَ مردود
أعزز علَى الأمةِ المنكود طالعُها ... بفقدِ مثلِك في أيامِها السود

* * *

في ١٨ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ

---

(١) التجاليد : الجسم والبدن يقال فلان عظيم التجاليد إذا كان ضخماً قوي الاعضاء .
(٢) الأملود : الناعم من الناس والغصون .
(٣) التهويد المشي الفاتر الساكن .
(٤) الجلاميد جمع جلمود وهو الصخر .
(٥) أفن ذهب عقله .

على قبر سنيّة

١٩٠٤ – ١٩٢٠

هي المأسوف على شبابها السيدة سنية كريمة المرحوم راشد باشا مردم بك وزوج الأستاذ خالد العظم ، أحد رجال الإدارة المعروفين ومن رؤساء مجلس الوزراء في الحكومة السورية .

أنجبت الفقيدة سنية من زوجها ابنتها الوحيدة السيدة علية .

نظمت هذه الأبيات لتوضع على قبر الفقيدة

من ضاق ذرعاً بالبلية فليزرْ ‏ ‏ هذا الضريح يهنْ عليه بلاؤه
ما الزهر يذوي وهو غضٌ ناضرٌ ‏ ‏ والنجم يهوي ساطعاً لألاؤه
بأشدَّ فجعاً من (سنية) إذ قضتْ ‏ ‏ يجري لها من كل جفن ماؤه
إن الذي جعل الخطوب عظيمة ‏ ‏ لا بدَّ يعظم بالثواب عطاؤه

* * *

١٩٢٠ م

الإسلاميّات

المولد

إنْ كان باليمنِ هذا اليوم قد سَنَحا[1]
كم يوم شؤمٍ علينا بعده بَرَحا[2]

ذكرى السرورِ إذا عادتك في حزنٍ
هاجتْ عَلَى قلبك الأَشجانَ والترحا

دمعانِ لاءمَ هذا اليومُ بينهما
لميّتٍ ولمولودٍ لقَدْ سَفَحا

دمعٌ يفيض عَلَى ميْتِ الرجاءِ أسى
وآخرٌ يوم ميلادِ النبي فرحا

* * *

تبسَّمَ الفجرُ عن ميلادِ مؤتمنٍ
لولاه فجرُ الهدى في الكونِ ماوضحا

لولا (محمدُ) ظلَّ النـاسُ بعضهمُ
ربًّا لبعضٍ وما كان الهدى رجحا

ساوى بشرعتهِ ما بين أُمَّتِـهِ
فأكرمُ الناسِ عند الحقِ مَنْ صلحا

(محمَّدٌ) وهو يدعو الرسلَ إخوته
إلى المؤاخاةِ في الأَديانِ قد طمحا

أبْكَى الطواغيتَ[3] في ذاتِ الإِله وكم
من مدمعٍ ليتيمٍ بائسٍ مسحا

واسى اليتامى وعالَ المعدمين وكمْ
عمَّنْ أساءَ وآذاه لقد صفحا

---

(١) سنح مرّ من المياسر إلى الميامن .

(٢) برح مرّ من الميامن إلى المياسر .

(٣) الطواغيت جمع طاغوت : وهو الكاهن .

أدالَ[1] للشرق ممنْ كان يرهقه ... ذلاً شديداً وظلماً بيّنًا فدحا
ولو أضاءتْ بجوّ الغربِ دعوته ... لَدانَ بالرفقِ أو عَنْ غيّه لصحا

* * *

ما الجاهليةُ مِنْ طبعي ولستُ كمَنْ ... طرق التعصب في دينِ النبيّ نحا[2]
لكنْ أراني الحجى من بعد تبصرةٍ ... بأنه خيرُ هادٍ صادقٍ نصحا
لافرقَ عنديَ في الأديانِ قاطبة ... لكنَّ صدري لدينِ المصطفى انشرحا
لا دينَ مَنْ جعلوا أركانَ دينهمُ ... عمائماً ومساويكاً وطول لحىٰ
لم يفقه الدينَ مَنْ لاثوا عمائمَهُمْ ... ولا الأُولى حملتْ أيديهمُ السبحا
أهاب في معشرٍ لا العلمُ ثقفّهمْ ... ولا الحضارة فيهمْ نورُها لُمحا
يخرّبون بأيديهمْ بيوتَهمُ ... زندُ التقاطعِ فيما بينهم قدحا
فأصبحوا بهداه يقتدى بهمُ ... ديناً ودنيا فسبحانَ الذي منحا
آض الجفاء وآلتْ عنجهيتهم[3] ... إلى مكارمِ خلقٍ طاهرٍ سجحا[4]

* * *

(١) أدال يقال أدال الله فلاناً من عدوه جعل له الكرّة عليه فغلبه بالظفر.
(٢) نحا : اقتفى.
(٣) العنجهية : الكبر والعظمة .
(٤) سجح : لان في اعتدال .

إن الاولى كانتِ (الحبشانُ[1]) تحكمهمْ … وعاملُ الفرسِ يمشي بينهمْ مرحا

(هرقلُ[2]) ذعراً رمى بالصولجان لهم … وَتاجُ كسرى لديهمْ بات مطّرحا

خطّوا عَلَى وَجه هذا الدهرِ منقبةً[3] … آلتْ إلى خلفٍ مِنْ بعدهمْ فمحا

أَعظمْ بهم سلفاً وَأعجبْ له خلفاً … للذل والهونِ من بعد العلى جنحا

أَنىّ تسكعتِ الإسلامُ في ظُلَمٍ … وَكانَ دينُهمُ نوراً وما برحا

المسلمون وَما يحصى لهم عددٌ … دارتْ عَلَى جمعهمْ للنائبات رحى

لا سيَّما العُرب منهم إنَّ دهرَهمُ … أَشاح عنهم بوجهٍ عابسٍ كلحا[4]

مستضعفون عبيدٌ في ديارِهمُ … يدُ الشقاقِ أَدارتْ بينهمْ قدحا

على تقاسمِهمْ مِنْ دون غيرهمُ … يبيتُ مختلفُ الأَقوامِ مصطلحا

ما مِنْ قبيلٍ ولا شعبٍ له خطرٌ … إلاَّ ومن دمِهمْ أو مالهم نضحا[5]

وكلُّ شعبٍ شريكٌ في دمائِهمُ … فمجهزٌ هَبَّ يعدو إثرَ مَنْ جرحا

إذا شكوا ضرَّهمْ كانتْ شكايتُهمْ … شكوى الذبيحِ بعينيه لمن ذبحا

* * *

(١) الحبشان : افراد الحبشة .

(٢) هرقل نائب امبراطور روما والوالي على سورية .

(٣) منقبة : الخصلة الحميدة .

(٤) كلح : عبس وتجهّم .

(٥) نضح : سال ورشح .

ما بالُ مَنْ منحوهمْ أمسِ مملكةً تمتدُّ مِنْ طَوْدِ (طوروس[1]) إلى (رفحا[2])

ضنّوا عليهمْ (بعمانَ) ودمنتها كأنَّ واعدهمْ في وعـده مزحا

لا غرو إمّا لقوا عقبى تخـاذلِهمْ فكلُّ شعبٍ رهينٌ بالذي اجترحا[3]

أعجبْ لسيِّد (نَجْـدٍ) لا يني أبـدا يكيد لابن رسول الله مكتسحا

يرمي (الحجـازَ) بقومٍ لو رمى بهمُ = غير الجزيرة = قطراً مغلقاً فتحا

والله لو ربح البيتُ الحرامُ بهمْ فإنه خاسرٌ من حيث ما ربحا

إلى الملوكِ ملوك العربِ قارصة[4] تردُّ من غيّهمْ ما ندَّ أو جمحا

العربُ ما شقيتْ إلاّ بمثلكمُ وعن يديكمْ بها عادي الردى ضبحا[5]

لمتُ (الخوارجَ[6]) حيناً في تآمرهمْ عَلَى اغتيال (عليٍّ[7]) واللذين لحا

حتى رأيت شقاء العربِ عن يدِكمْ وددتُ لو بعث الله الذي اقترحا

* * *

---

(١) هي جبال طوروس .

(٢) هي قرية رفح .

(٣) اجترح : اكتسب وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة في الجرائم ؛ وورد في القرآن الكريم أم حسب الذين اجترحوا السيئات .

(٤) القارصة : الكلمة المنغصة المؤلمة .

(٥) ضبح : صوت الخيل .

(٦) الخوارج : طائفة من الإسلام انكرت التحكيم الذي اجرى من الإمام علي ومعاوية ابن أبي سفيان .

(٧) هو الأمام علي بن ابي طالب .

أقولُ والعينُ لا تنفكُّ دامعةً والقلبُ بالهمِّ والأحزان قد طفحا
يا منقذَ العربِ والإسلامِ إنهمـا تحت اضطهادِ شعوبِ الأَرض قد رزحا[1]

* * *

في ربيع الأول ١٣٤٣ هـ

(١) رزح : ألقى بنفسة إعياء .

هديّة نبويّة

سامَحَ اللهُ الحمامهْ حَرَمَتْ جفني منامهْ

بعثتْ في القلبِ لمّا هتفتْ وَهْناً[1] غرامه

شاقها البرقُ حجازيّاً فرَنَّتْ[2] مستهامه

ما لهذا البرقِ يُوري في حشا الصبِّ هيامه

لاح في الأُفْقِ ولكنْ شبَّ في قلبي ضرامه

هاجَ دمعي وشجاها حين حيّا بابتسامه

* * *

لم تكدْ تسكنُ حتّى قاربَ اللّيلُ ختامه

فتعالى من أذانِ الفجرِ ما راعَ ظلامه

نغمةٌ علويّةٌ للرّوحِ راحٌ ومدامه

---

(١) وَهْناً : أي في منتصف الليل .

(٢) رَنّةَ : صاح رافعاً صوته بالبكاء .

مَذ فيها صوتَه نائي الصدى عذب الرخامه[1]
كبَّرَ اللهَ فَخِلتُ الـكونَ قد طأطأَ هامه
شاهدٌ بالحقِّ ولىَّ باطلُ الليلِ أمامه
يا له عدلاً يزكّي فَلَقُ الصبحِ كلامه
قلتُ لما ذَكَرَ الـهاديَ حبّاً وكرامه
باسمِهِ في كلِّ يومٍ يحسر الفجرُ لثامه[2]
تشرقُ الدنيا وتعلو جبهةَ الأُفْقِ وسامه[3]
التباشيرُ[4] بوجهِ الـصبح مِنْ بشرٍ علامه

* *

مولدٌ قد بَسَمَ الدّهـرُ له بعد الجهامه[5]
في السما عيدٌ وتلك الشُّهبُ قَدْ كانتْ سهامه
وَعَلَى الأَرضِ ربيعٌ ناضرٌ يُولي رهامه
ناشرٌ أعلامَه في كلِّ روضٍ وَخيامه

---

(١) الرخامة : لين في المنطق .
(٢) اللثام : ما على الفم من النقاب .
(٣) الوسامة : الحسن والجمال .
(٤) التباشير : اوائل الصباح .
(٥) الجهامة : العبوسة .

فعمتْ[1] (مكةَ) (نجداً) بشذاها وتهـــامه

* * *

(بنتُ[2] وهبٍ) ولدتْ بد راً لقد وافى تمـــامه

كان إذْ ضمّته كالزهــــرةِ ضَمّتها كمامه[3]

يا يتيماً كفلَ اللّـــــهُ هـــداه واعتصامه

شبَّ أمياً ولكنْ نـــال في العلم الإمامه

هل درى أنْ سوف يرعى الـ خلقَ إذْ يرعى سوامه[4]

* * *

قـــام يدعو للهدى في حلكٍ يزجي ركامه[5]

إنْ يكنْ أعزلَ فالحقُّ له سيفٌ ولامه[6]

أو يكنْ فرداً وحيداً حاوَل القومُ اهتضـــامه

فهو في جيشٍ من الإيـ مانِ ما فَلّوا لهامه

ثقـــةً باللهِ والحق الذي يرعى ذمامه

---

(١) فعم : ملأ الخياشيم بالطيب .

(٢) هي السيدة آمنة بنت وهب والدة الرسول عليه السلام .

(٣) الكمامة غطاء النور .

(٤) السوام : الماشية .

(٥) الركام المتراكم من السحاب .

(٦) اللأمة : الدرع .

خوّلوه الملكَ والما　　لَ وَما كانا مرامه
قال والدمعُ يُوالي　　فوق خدَّيه انسجامه
لو وَضعتمْ بيديَّ الشـ　　ـمسَ والبدر قسامه
لم أَدعْ ذا الأَمرَ حتى　　يرفعَ اللهُ دعامه

* * *

يا رسولَ اللهِ شكوى　　ذي شجونٍ ، وظلامه
نحن في (الشامِ) نقاسي　　فوق أهوال القيامه
ما لنا من أمرِنا حتى　　ولا مثل قلامـــه[1]
أخذوا الأمرَ وأعطوا　　نا (المعالي) و (الفخامه)
هل يصيرُ الهرُّ ليثاً　　حين تدعوه أسامه[2]
كم نفوسٍ تتلظى　　حسراتٍ ونـدامـــه
تتنزى[3] للتي تغـ　　ـسلُ عاراً وملامـــه

* * *

ما عسى أهديَ إلى مَنْ　　رَفَعَ اللهُ مقامه

---

(١) القلامة : ماسقط من طرف الظفر ويضرب بها المثل في الخسيس الحقير .
(٢) أسامة من أسماء الأسد .
(٣) تنزّى : توثب وتسرع .

باقةٌ من زهرِ (الغو طةِ[1]) طلّتها[2] غمامه

حملتْ (للمصطفى[3]) نجـ وى محبٍّ وسلامه

* * *

تليت في الحفلة التي أقامتها جمعية الهداية الإسلامية في مصر بمناسبة ذكرى المولد النبوي في ربيع الأول ١٣٥٣ هـ .

(١) الغوطة : إحدى جنات الدنيا الأربع تبلغ مساحتها سبعة عشر كيلو متراً تقريباً تموج بالأشجار والزرع .

(٢) طلّ : قطر الطل .

(٣) المصطفى من أسماء النبي ﷺ .

كلمة شكر

أشكر لأعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق حرصهم الشديد على نشر هذا الديوان وأخص بالشكر العالم النبيل الأمير جعفر الجزائري الذي بذل كل مسعى مثمر لإنجاز طبع هذا الديوان وأني أشكر للشقيقة لميس مساعدتها لي في تصحيح الأخطاء المطبعية .

عدنان مردم بك

فهارس الديوان

فهرس الموضوعات

فهرس القصائد

فهرس القصائد الزمني حسب ما وردت مرتبة في الديوان المخطوط بخط الشاعر

القصيدة	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الصفحة
المحزون	١٣٤٢	١٩٢٤	٣٩
ذكرى الشهداء	١٣٤٢	١٩٢٤	١١٠
دمشق	١٣٤٢	١٩٢٤	٤٣
هوى التاج	١٣٣٨	١٩٢٠	٢٥٦
الشعر	١٣٤٣	١٩٢٥	٤٧
المولد	١٩٤٣	١٩٢٥	٣٨٩
براءة الشام من الاثام	١٩٤٣	١٩٢٥	١١٤
الفجر	١٣٤٣	١٩٢٥	٥٠
شهداء العرب	١٣٤٣	١٩٢٥	١١٧
ذكرى يوسف	١٣٤٣	١٩٢٥	١١٩
تحية شوقي	١٣٤٤	١٩٢٥	٢٥٩
صلاة الشاعر	١٣٤٤	١٩٢٦	٥٢
يوم الفزع الأكبر	١٣٤٤	١٩٢٦	١٢٢
لولاك	١٣٤٤	١٩٢٦	١٧٥
كتابك	١٣٤٣	١٩٢٥	١٨٠
الله	١٣٤٤	١٩٢٦	٣
الشرط أملك	١٣٤٤	١٩٢٦	١٨٥
البحر	١٣٤٤	١٩٢٦	٨
الجمال	١٣٤٤	١٩٢٦	١٤
الطيف	١٣٤٤	١٩٢٦	١٦
الرقص	١٣٤٥	١٩٢٦	٢٠
الراقصة ليلة رأس السنة	١٣٤٧	١٩٢٩	٣٤٤
سلام على دمشق	١٣٤٧	١٩٢٩	١٢٦

فهرس القوافي

فهرس الأعلام والقبائل

فهرس البلدان والأمكنة

استدراكات

كان الشاعر رحمه الله أورد البيت الأول من قصيدته (الطفل) على النحو الآتي :

أمل تدركه العين فأين ... فوق إدراك المنى قرة عين

وتناقلته عنه أكثر الصحف والمجلات الأدبية ؛ ثم إن الشاعر مؤخرا أجرى تصحيحاً على البيت الشعري المنوه عنه وثبته كما يلي :

أمل تدركه العين وأين ... بعد إدراك المنى قرة عين

فالروايتان صحيحتان ولكننا أخذنا بالرواية الثانية التي أوردها الشاعر .

وكان البيت السادس من القصيدة التي عنوانها (فراشتان) على النحو الآتي :

وضمت من جناحيها فكانت ... كعرف الديك أو رقم الثمان

وقد حفظه أكثر الناس على هذا النحو غير أن الشاعر عدّل الشطرة الاخيرة بالصورة الآتية :

وضمت من جناحيها فكانت ... كعرف الديك أو حرف السنان

وورد البيت قبل الأخير من قصيدة (بردى) بالرواية التالية :

أرى الكنانة تشق في مواطنها ... والرمز أبلغ من شرح وإيضاح

ونشرته مجلة الأديب البيروتية على النحو المنوه عنه

ثم إن الفقيد عدل الشطرة الأولى بما يلي :

أرى الكناية تشفي في مواضعها ... والرمز أبلغ من شرح وإيضاح

ونحن أشرنا الى هذا الأمر في الصفحة (٦٥) من هذا الديوان .

وإن الناسخ غفل عن تدوين مقطوعة (فجائع الحياة) حينما كان يقوم بنسخ الديوان المخطوط فرأينا من الواجب درج البيتين في صفحة الاستدراكات وهما :

فجائع الحيـاة :

ولم أر كالدنيـا ولا مثل شأنهـا ... على كلّ حالٍ دار همّ وأحزان

فُجِعْتُ بنفسي إنْ تراءتْ منيتي ... وإنْ مُدَّ في عمري فجعت بخلاني

١٩ شعبان سنة ١٣٣٩

فاقتضى التنويه .

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١	َيحيط	ُيحيط
٤	٨	مزبدَ	مزبدُ
٩	٢	الصَبا	الصِبا
٩	٨	أنفاسهَ	أنفاسهُ
١٢	١٢	أحيي	أحيا
١٤	٢	ينعكَسُ	ينعكِسُ
١٤	٤	النَطسُ	النُطسُ
١٥	١٤	أدركه	أدركه
١٧	٥	واللهُ	واللهِ
١٨	٢	التألف	التآلف
٢١	١١	أيّ	أيّ
٢١	١٥	السكهة	النكهة
٢٢	٢	والنفافِ	والتفافِ
٢٣	٩	نال	نالا
٢٣	١١	أهواء	أهواء
٢٤	١٠	سُهمٌ	سَهْمٌ
٢٦	٧	تلالا	تلألأ
٢٨	٤	النجلّد	التجلّد
٢٨	٤	نعابي	نعاني
٣١	٤	رءى	رأى
٣١	٧	بينا	بيننا
٣٤	٧	الصبّى	الصبّا
٤١	٣	كلّ	كلّ
٤٤	٥	الناجَ	التاجَ
٤٤	١١	ظلماء	ظلماء
٤٧	٣	بملّه	بحمله
٤٧	٤	صوبَ	صوبُ
٤٨	١٣	الموجوّد	المجوّد
٤٩	١	عَرَى	عُرى
٥٣	٤	وتدبر	وتدبرْ
٥٣	٩	ألله	الله
٥٧	العنوان	مواكب السماء	مواكب المساء
٥٨	٢	تهاوبل	تهاويل
٦١	٣	ضَلفُ	صلَفِ
٦١	٨	راح	داح
٦٢	١٣	بإمساء	بإمساء
٦٣	٣	هواتِفنْها	هواتِفها
٦٣	١١	النشوانَ	النشوانُ
٦٤	١٢	قلبَ	قلبِ
٧٠	٩	منقرّة	منقيّرة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٠	٩	مصعرة	مصفَرّة
٧٠	١١	أو شررُ	أو شررٍ
٧٧	٣	عَرَقت	عَرِقت
٨٣	٦	سكينةُ	سكينةٌ
٨٣	٩	خَناقها	خِناقها
٨٤	١	بدأ	بدءاً
٨٤	٨	السلاج	السلاح
٨٤	١٠	يطيل	يطول
٩٠	٨	ءثنى	أثنى
٩٨	٤	نرتدي	تَرتدي
١٠٥	٣	كالزبرجِد	كالزبرجَد
١٠٥	١١	ثمّةِ	ثمّةَ
١٠٥	١٢	ماء	ماء
١٠٦	٦	أُرمي	أَرمي
١١٢	١١	عدت	غدت
١١٤	٣	هوا الجور	هو الجور
١١٥	١	تعدوا	تعدو
١١٥	٥	أعطيت	أُعطيت
١١٥	١٢	يذوى	يذوي
١١٦	٥	النهيام	التهيام
١٢٠	١٥	الإنصافِ	الإنصاف
١٢٤	٥	أبى	أنّي
١٢٥	١	النسكل	الشكل
١٣٤	٨	أظهرناً	أظهرنا
١٣٦	١	الموبى	الموتى
١٣٦	٩	تنالهمْ	تنالهمُ
١٣٦	١١	هُتَكتْ	هُتِكتْ
١٣٨	٩	وَرط	فَرط
١٣٩	١٢	شفاءُ	شفاءٌ
١٤١	٧	لم أذنب	لم أُذنب
١٤٢	٤	عِقد	عُقَد
١٤٣	٣	الضَّلال	الضُّلّال
١٥٢	٥	أم	أُمّ
١٥٩	١	الحياةَ	الحياةِ
١٦٣	٥	لأيّام	لأَيام
١٦٣	١٣	أُعد	إعد
١٦٥	٢	فرّائها	فرّاءها
١٧٧	٥	أسوار	أُسوار
١٧٨	١	إشراك	أشراك
١٧٨	٨	عذراءَ	عذراء
١٨٣	٩	شرِقك	شرِقك
١٨٤	٦	انك	أنّك
١٨٧	٤	ملءَ	ملءِ
٢١١	٥	تربع	أربع
١٩٩	٩	حسنِ	حسنٍ
١٩٩	٩	جيد	جيّدٍ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩٩	٩	سحرِ	سحرٍ
٢٠٨	١	غرزمت	غذرمت
٢١١	١٠	وأُحفظهم	وأَحفظهم
٢١٢	٤	مِزتني	مِزْتني
٢١٣	العنوان	سِقيا	سَقيا
٢١٤	١	رايتك	رأيتك
٢١٦	٥	امر١ٍ	امرأً
٢٢٥	١٠	أَفلتت	أُفلتت
٢٢٩	١١	مشاء	مشاء
٢٣٠	٨	أُقضيها	أقضيها
٢٣٣	١	يرـو	يربو
٢٤١	٢	تَضْوَ	نِضْوَ
٢٤٣	١	أقتله	أقتلُه
٢٤٨	١٠	ضامة	ضميلة
٢٥٦	٧	وابرد	أبرد
٢٦٠	٣	إلهام	الهام
٢٦٥	١٠	مبنى	فبكى
٢٦٩	١١	أمّا	أما
٢٧٢	١٤	أمرأ	امرأ

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٧٤	٤	تعنّتِ	تعنّثِ
٣٠٦	١٣	النثام	التثام
٣١٥	٢	من يتروّى	من يتروّ
٣٢٦	٥	تحيي	تحيا
٣٢٨	٢	للميتم	للمتيمّ
٣٢٨	٧	ملوّزةَ	ملوّزةُ
٣٣٠	٣	وأنشدها	وأُنشدها
٣٣٢	١	وتّمتال	وتّمثال
٣٣٢	٣	وأنها	وإنها
٣٣٣	٢	وتّخطَرُ	وتّخطُرُ
٣٣٣	٧	ومن علقِ الغزلانِ	ومن علقَ الغزلانَ
٣٣٥	العنوان	أثر نظرة حديثة ترامية	إثر نظرة غرامية حديثة
٣٤٢	١	لجوهر	الجوهر
٣٦٠	٥	لوأنهم	لوأنّهم
٣٦١	٧	المساجدِ	المساجدُ
٣٦٤	١٢	خبرْتُ	خبرتَ
٣٨١	١	الودادةَ	الودادةُ
٣٩٥	٨	الصحح	الصبح

جدول الخطأ والصواب للحاشية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤	٤ النطس (١)	(١) العالم المتأنق	جمع مفردها نطيس وهو الطبيب الحاذق
٢٤	٥ موبذ (١)	(١) فراس	(١) فارسي
٣١	٥ شقا(١) وسطيحا(٢)	(١) (٢) عرّفان	(١) (٢) عرّافان
٤٩	١ عُرى (٢)	(٢) الناحية الساحة	(٢) مفردها عروة وهي كل ما يؤخذ باليد من حلقة
٦١	٣ رحراح (١)	(١) الوسع	(١) الواسع
٦٥		(٤) أنّ	(٤) إن
٩٠	٩ (٣) (٤)	(٣) (٤) للنزه	(٣) (٤) للنزهة
٩٤	٦ الجبلّة (٣)	(٣) المحلقة	(٣) الخلقة
٩٦		(١) بالأعجية	(١) بالأعجمية
١١٢	٢ بنية الله		(٢) بنية الله الكعبة
١١٧		(٤) الجبال	(٤) الحبال
١٣٩	٦ (٣)	(٣)	(١)
١٣٩	١٢ (٤)	(٤)	(٢)
١٤٢		(٢) النجل	(٢) البخل
١٤٩		وحط	وحظ
١٥٢	٥ أم ملدم		(٢) أم ملدم الحمى
١٥٦	٦ قراحا		(٥) القراح
١٧٥	٧ مرى (٣)		(٣) مرى أرسل
١٧٦		(٣)	(١)
١٧٦		(٤)	(٢)

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
١٧٦		(٥)	(٣)
١٧٦		(٦)	(٤)
١٧٦	٢ حلّئ ب		(ب) حلّئ : صد ومنع
١٧٦	٢ الماكي ح		(ح) الماكي : المصفّر
١٩٢	٣ دجوجي (١)		(١) دجوجي : مظلم
١٩٢	٤ قمطرير (٢)		(٢) قمطرير الشديد ، المظلم
٢٠٨	١ غذرمت ى		(ى) الغذرمة اختلاط في الكلام
٢١٢	٤ مزتني (١)		(١) ماز يميز الشيء فضّل بعضه على بعض
٢٢٠	١ هامة (١)	الهامة: أعلى الرأس وفيه الناصية	هامة : يقال أصبح فلان هامة أي مات
٢٢٩	٣ يوقذني (٢)		(٢) وقذه ضربه ضرباً شديداً أو قيل حتى استرخى وأشرف على الموت
٢٤١			(١) مفترع مقتحم
٢٤٣		(٣) سَرَب : ذهب على وجهه ومضى	(٣) السَّرَب الحفير تحت الأرض
٢٤٥			(٣) منتقبا : أي مقنعا
٢٤٨		(٣) ضمامة	(٣) ضميلة : الزمنة العاهة
٢٧٠		في ١٢ ايلول سنة ١٣٣١ م	في ١٢ ايلول سنة ١٩٣١ م
٢٨٢		(٢) واحدتها تربة	(٢) واحدتها تريبة
٣٠٧			(٥) الزليق : القائم
٣١٥	١٢ أن يقبس (٥)	(٥) قبس: الشعلة من النار	(٥) أقبسه : أعطاه قبساً أي شعلة
٣١٦		(٤) أرى	(٤) أربى
٣١٩	٧ النخّع (٧)	(٧) النخّع	(٧) النخّع جمع أنخع والأنخع اسم تفضيل وهو الأذل

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢٠	٦ ربعة (١)	(١) الظبية الصغيرة	(١) الظبية الخالصة البياض
٣٣٣	٥ عذولي (٣)	(٣) الغذول كثير القذل	(٣) العذول كثير العذل
٣٣٣	٧ علق (٥)	(٣) العلق مصدر كل مايعلق باليد	(٥) علقه وعلق به ، أحبه
٣٥٥	٢ تواجد (١)		(١) التواجد : المحبة
٣٥٥		(٣)	(٢)
٣٥٥		(٥)	(٤)
٣٧٤	٢ القطاة (٢)	(٢) القطاة طرْز	(٢) القطاة ضرب من الطير
٣٨٢	٢ شرع (١)	(١) الردى	(١) شرع
٣٨٢	٣ يستجن (٢)	(٢) استجن استخفى	(٢) استجن اتقى به جعله وقاية له
٣٩٢	٨ ضبح	(٥) جنح	(٥) ضبح